مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

المعالم الحضارية لحضرموت القديمة حتى فجر الإسلام

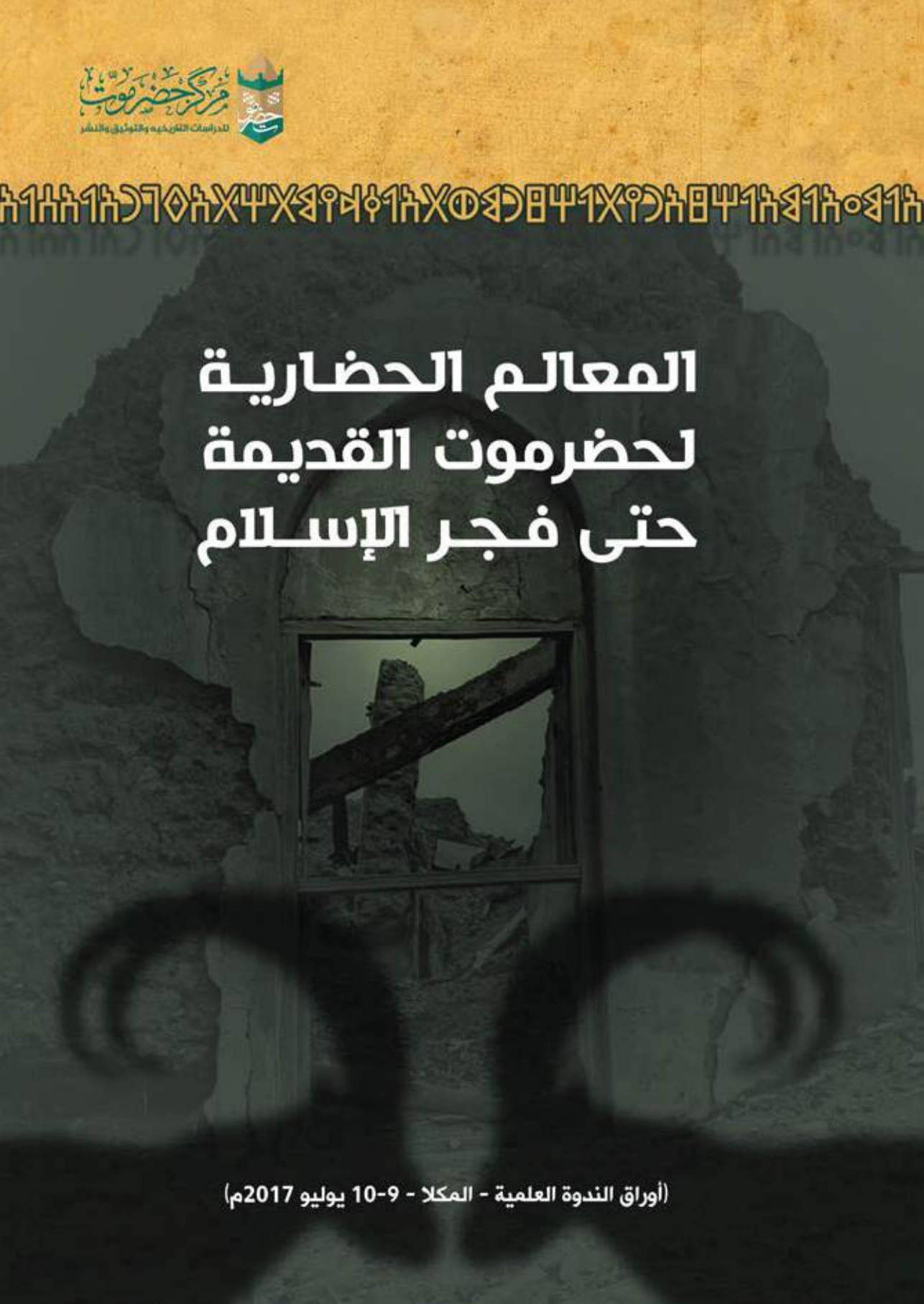

(أوراق الندوة العلمية - المكلا - 9-10 يوليو 2017م)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المعالـم الحضاريـة لحضرمـوت القديمة حتـى فجـر الإسـلام

(ندوة علمية - المكلا 10 يوليو 2017م)

ⓒ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: 341/ 2021م

عنوان الكتاب: المعالم الحضارية لحضرموت القديمة حتى فجر الإسلام

حجم الكتاب: 17 × 24 سم

الصفحات: 250 ص

الطبعة الأولى

1443هـ - 2022م

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتف وواتس آب: 00201008170225

بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المعالم الحضارية لحضرموت القديمة حتى فجر الإسلام

أوراق الندوة العلمية التي نظمها

مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

المكلا - 10 يوليو 2017م

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كلمة رئيس المركز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

الحضور الكريم نرحب بكم نيابة عن أنفسنا، ونرحب بأنفسنا نيابة عنكم فكلنا هنا أصحاب المكان، وإذا كان لأحد أو جهة من فضل أو مِنّة فهي لله عزل وجل ثم لحضرموت التي نرى من حقها علينا نفض غبار النسيان عن تاريخها المجيد وحضارتها العريقة.

وهذه الندوة العلمية الموسومة بـ (المعالم الحضارية لحضرموت القديمة حتى فجر الإسلام) ماهي إلا إطلالة منهجية على بحر زاخر وعميق يمتد في الزمان إلى أكثر من عشرة قرون صنع خلالها الإنسان الحضرمي إسهاماته الحضارية الإنسانية قبل بزوغ نور الإسلام ، وخلال هذه المسافة التاريخية الموغلة في القدم لم تكن حضرموت معزولة عن جوارها الجغرافي فتأثرت به وأثرت فيه.

ومع هذا التدفق التاريخي الكبير فإن ما هو معروف عن تلك الحقبة من معلومات تاريخية ماهي إلا حصيلة نتف من الإشارات تكرمت بها النقوش والآثار بعد جهد في استنطاقها من قبل العلماء ، وهذا القليل من القليل المكتشف من الآثار ما كان ليصلنا ونتعرف عليه لولا جهود البعثات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية والسوفيتية والأمريكية وغيرها بما يتوفر للمؤسسات العلمية التابعة لهذه الدول من إمكانيات علمية كبيرة تعين عالم الآثار في مهمته الشاقة والصعبة والمكلفة ، وهناك جهود علمية لعلماء النقوش

والآثار المحليين تستحق الإشادة سواء تلك التي أنجزوها بجهودهم الذاتية أو باشتراكهم في العمل البحثي التنقيبي مع البعثات الأجنبية.

فهل سنشهد اليوم الذي نجد فيه علماء الآثار من أبناء هذا الوطن في عمل مؤسسي وقد امتلكوا الخبرة المناسبة في نبش الحقائق التاريخية من باطن الأرض؟ أو سيكون ذلك مجرد أمنية تدخل في باب الخيال العلمي، وإذا تركنا التساؤلات وشأنها، فما هو مهم الآن علينا أن نشمر عن ساعد الجد ونشعل شمعة ونمضي بها ونستمر في الخطى، (وما لا يدرك كله لا يترك جله).

كل التقدير لمن أسهم بالمشاركة في هذه الندوة بالبحث التاريخي وبالمداخلة والمناقشة والحضور ونجدد الترحيب بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أوراق الندوة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت من خلال نقوش العقلة

أ.د. محمد بن هاوي باوزير

أستاذ تاريخ اليمن والجزيرة العربية القديم-جامعة عدن

مدخـــل:

تتميز مملكة حضرموت عن جاراتها في العربية الجنوبية (اليمن القديم) بأمرين مهمين كان لهما أثر كبير في ازدهار تجاراتها محليًّا ودوليًّا، الأمر الأول يتمثل في موقعها الجغرافي الإستراتيجي على طرق التجارة العالمية، لاسيما البرية، وكذا وقوعها على ساحل بحر العرب، الذي أقامت عليه موانئها ومراكزها التجارية الرئيسة كميناء قنا، وظفار وميناؤها سمهرم، وجزيرة سقطرى، أما الأمر الثاني فيكمن في مواردها الاقتصادية المتمثلة في استحواذها على محاصيل كان الطلب عليها كبيرًا (البخور ومشتقاته كاللبان والـمُر والصبر)، بل كان الأول أكثرها جذبًا للانتباه؛ نظرًا لاستخداماته المتعددة في معابد العالم القديم، بل في يومنا هذا. والمعروف أن هذه السلع كانت تشكل العمود الفقري لتجارة مملكة حضرموت، بالإضافة إلى ما كان يصلها من بضائع آسيوية وإفريقية، كالتوابل، والمنسوجات، والأخشاب، والعاج، وغيرها، وهي مستوردة من الهند، وسيلان، والصين، ومن إفريقيا ولاسيما من شرقها، وهذه أيضًا لها رواج عند شعوب العالم القديم.

أما بالنسبة لاسمها فقد تعددت الآراء التي قيلت في اسم حضرموت، واختلفت التفسيرات والتعليلات في تخريجات التسمية ومعناها[1]، علمًا بأن هذا الاسم ورد في التوراة[2]، وفي عدَّةٍ من نقوش المسند[3]، وفي كتابات الكلاسيكيين (اليونان والرومان)، وكذا في الشعر الجاهلي[4]، بل ظلت حضرموت منذ العصور الغابرة تعرف بهذا الاسم دون انقطاع، بل ظلَّ الاسم متداولًا على الرغم من زوال مملكة حضرموت، كما حدث لجاراتها من الممالك العربية الجنوبية (معين، وسبأ، وقتبان، وحِمْير). وفي هذا الصدد يقول المؤرخ جواد علي: "ما زال اسم حضرموت حيًّا يُطلق على مساحة واسعة من الأرض، فلها أن تفتخر بهذا على الدول العربية التي عاشت قبل الميلاد، ثم ماتت أسماؤها، أو قلَّ ذكرها قلَّةً واضحة. وقد قطع اسمها مئات الأميال قبل الميلاد، فبلغ مسامع اليونان والرومان، وسجَّله كتَّابهم في كتبهم لأول مرة في القارة الأوربية، وكُتب لذلك التسجيل الخلود حتى اليوم"[5]. وصفوة القول: "أن لفظة (حضرموت) العربية تحمل طيَّاتها معنى الحضر والحاضرة، بمعنى "منطقة التمدن وأرض العمران"، على عكس البادية

(١) لمعرفة المزيد عن ذلك انظر: محمد بن هاوي باوزير: كراسات في تاريخ حضرموت، ص١٧-٣٤.

(٢) التوراة، سفر التكوين، إصحاح ١٥، فقرات ٢٤ – ٢٦، ص١٣؛ وأخبار الأيام الأول، الإصحاح الأول، فقرات ١٨ – ٢٢، ص٥٣٤.

(٣) تعد حضرموت من أكثر الممالك ورودًا في نقوش المسند بعد سبأ، إذ ورد ذكرها أكثر من ثمانين مرة في النقوش.

(٤) ورد ذكر اليمن القديم وحضرموت –خاصة– في مواضع كثيرة من الشعر الجاهلي. انظر: محمد بن هاوي باوزير: اليمن القديم في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الفصل السابع من الأطروحة).

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص١٢٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

التي هي منطقة الصحاري والمراعي"[1].

كل ما تقدم هو من الأمور التي تميزت بها مملكة حضرموت، ولعلها هي التي أدَّت دورًا كبيرًا في شهرتها وسعة صيتها، فعُرفت عند الجغرافيين والمؤرخين الكلاسيكيين (اليونان والرومان) بأنها بلد التوابل والبخور، وأرض الطيوب، بل تحدثوا عنها بأنَّها منطقة تُنتج أجود أنواع البخور، وتحدثوا عن تجارة هذه السلع الثمينة (سلع مقدسة ونقدية)، وزيادة الطلب عليها في حضارات العالم القديم. ولا شك أن هذه الظروف الجغرافية والاقتصادية قد عكست نفسها في المدى التاريخي على الصلات والعلاقات التجارية والحضارية بين مملكة حضرموت والحضارات القديمة، لاسيما المجاورة لها، والكثير من الشواهد الأثرية والنقشية تؤكد ذلك. وعلى هذا الأساس سيكون بحثنا في تاريخ العلاقات الدبلوماسية القديمة لمملكة حضرموت، وسيتكون من مدخل تاريخي جغرافي، وثلاثة محاور: الأول، الكشف الأثري في العقلة تاريخه ونتائجه، والمحور الثاني: نقوش قدماء الحضارمة التي عُثر عليها في العقلة، وأهمية موقع العقلة من خلال النقوش، أما الثالث فهو عبارة عن نماذج من نقوش العقلة، وهي نقوش العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت، وينتهي البحث بخلاصة وملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

(١) ليو هرش، وهو من الأوربيين الذين زاروا حضرموت عام ١٨٩٣م، استغرقت رحلته ستة أشهر، زار فيها المناطق الساحلية، ثم توجه إلى داخل حضرموت، شبام وسيئون وتريم وغيرها من المناطق. انظر، هانز هو لفرتز، الجنوب العربي المنسي، ص٧١-٧٤.

أولًا: الكشف الأثري في العقلة- تاريخه ونتائجه:

سيتطرق هذا المحور إلى عدة من مسائل تتعلق بالعقلة، وأهمها الكشف الأثري فيه، والآراء التي طُرحت عن ذلك، وهو الأمر الذي سيفضي بنا في نهاية المطاف إلى عدد من المسائل، لعلَّ أهمها اسم العقلة وأهمية الموقع.

العقلة: جبل يحتل موقعًا ممتازًا من السهل الواقع غرب مدينة شبوة عاصمة مملكة حضرموت القديمة. وتعود شهرة هذا الجبل إلى اكتشاف بعض الآثار والنقوش حوله خلال رحلة قام بها الرحالة المستكشف البريطاني (هاري سانت جون بريدجر فلبي)، الذي اخترق في رحلته أطراف الربع الخالي قادمًا من المملكة العربية السعودية إلى حضرموت عام ١٩٦٣م[١]، وتستحق رحلته هذه الثناء؛ لأنه استطاع بالفعل بجدية أن يكتشف ويحدد ويصف شبوة (عاصمة حضرموت القديمة)، بل شكلت دراسته لشبوة معلومات أساسية استفادت منها العالمة الفرنسية (جاكلين بيرن) وغيرها من المهتمين بالشأن العربي الجنوبي[٢].

وفي المراحل الأخيرة من رحلته إلى تلك البقاع، وبينما كان يجتاز السهل الرملي بالقرب من شبوة؛ مَرَّ بجبل صغير، وبينما كان يعد العدة لمسح الأرض حوله؛ دعاه أحد مرافقيه لأن يأتي ليشاهد نصوصًا أو نقوشًا رآها على صخرة كانوا قد شاهدوا فوقها بقايا بناء

(١) محمد عبدالقادر بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص٩؛ مسعود عمشوش: المكتشف هاري سانت جون فلبي ورحلته إلى حضرموت، ص٣٩.

(٢) بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص٩-١٠. فان در ميولين: رحلة في جنوب الجزيرة العربية، ص١٢٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

صغير، وقد اتجه (فيلبي) إلى الصخرة، ووجدها مغطاةً بالنقوش، ثم قام بتدوين تلك النقوش، ولعله كان أول من اهتدى إلى نقوش العقلة. ولأن (فيلبي) لم يكن متخصصًا في الآثار والنقوش؛ قام بتسليم كل ما نسخه من النقوش لعالم النقوش (أ.ف.ل. بيستون)، الذي قام بوصفها وترجمتها في ملحق من خمسين صفحة يُكوِّن الجزء الأخير من كتاب فيلبي (بنات سبأ)[1]، وذلك منذ طبعته الأولى سنة ١٩٣٨م. وقد ورد في أحد نقوش فيلبي (philiby 203) التي عُثر عليها في غرب حضرموت اسم آخِر مكربي حضرموت، ودوّن ذلك النقش بمناسبة إنشاء طريق بهدف تسهيل وصول القوافل إلى شبوة عاصمة حضرموت القديمة، وكذلك لتسهيل وصول الجيش إلى مقر المُلك للدفاع عنه[2].

أيضًا قام الدكتور (ألبرت جام) (A.JAmme) عام ١٩٦٣م بزيارة العقلة، ونقل نقوشها، بل خلصت دراسته لها باسم (نصوص العقلة) (the Al.Uglah Texts). واستلم الأستاذ محمد عبدالقادر بافقيه نسخة منها عام ١٩٦٤م، مرسلة له عن طريق الدكتور (فان بيك) (Van Beek)، الذي ترأس بعثة معهد (أسمشونيان) الأمريكية التي أجرت مسحًا أثريًّا سطحيًّا لوداي حضرموت في عام ١٩٦١ – ١٩٦٢م، وقد كان من بين أعضاء هذه البعثة (ألبرت جام)[3]. وفي هذا الصدد يقول (ألبرت جام) عن

(١) عمشوش: المرجع السابق، ص٣٩– ٤٠؛ أسمهان الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، ص٦٩.

(٢) بافقيه: آثار ونقوش العقلة: ص١٠. وعمشوش: مرجع سابق، ص٨٣.

(٣) انظر: عمشوش: مرجع سابق، ص٨٣–٨٤Phliby - 5، Three New Inscriptions From Hadramout، PP. 124 – 133.

نصوص العقلة في خاتمة القسم الأول من دراسته (ص٣١): "مع أن مجموعة نصوص العقلة قليلة العدد نسبيًّا؛ فإننا نستطيع أن نعدها جوهرةً ثمينةً تنطوي على صفحة جذابة من تاريخ حضرموت وقضاياها اللغوية linguistics. ومجموعة نصوص العقلة كهذه جديرة حقًّا بطبعة خاصة وإصدار جديد. ورجائي أن تساعد هذه الصفحات على إعطاء نصوص العقلة مكانها اللائق بها في علوم جنوب الجزيرة العربية". ويقول في مكان آخر من دراسته (ص٧): "إن مجموعة نصوص العقلة صغيرة في عدها نسبيًّا، ولكنها تقدم لنا معلومات على جانب كبير من الأهمية عن حقبة من التاريخ الحضرمي تشمل حكم أربعة من الملوك". والملوك الأربعة هم الذين تركوا مع أتباعهم وضيوفهم نقوشًا في العقلة، وقد حكموا المنطقة –على رأي جام– فيما بين سنتي ٢٧٠ و ٣٠٠ ميلادية تقريبًا، وكانت فترات حكمهم تقديريًّا[١]. وتجدر الإشارة إلى أن (جام) أغفل ذكر أول الملوك الحضارمة الذين زاروا موقع العقلة، وهو النقش الذي اكتشفه بافقيه، بل هو النقش الوحيد الذي يذكر اسم هذا الملك، بل أقدمها، وقد وُجد النقش في موقع جديد من العقلة على صخرة كبيرة أسفل الجبل من ناحيته الغربية، وهذه الصخرة لا تُرى من الموقع الذي اكتشفه (جون فيلبي) الذي اقتصر عليه (ألبرت جام)، ويبدو أن هذا النقش لملك لم يُعرف من قبل[٢]؛ لذا سيكون ترتيب هذا الملك الأول في قائمة (ألبرت جام)،

(١) بافقيه: المرجع السابق، ص١٠ – ١١.

(٢) النقش (بافقيه – العقلة)، قارن مع بافقيه وآخرين: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص٣٣٨-٣٣٩.
وجمال الحسني: الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، ص١٣٨-١٣٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والنقوش التي وجدت في الموقع قد حددت الحقبة الزمنية لزيارة الملوك الحضارمة لموقع العقلة (أنودم) بين نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي[1]، وهم:

-

وهو أول الملوك الذي زاروا موقع العقلة إلى صخرة (مرواح)، إذن فهو النقش الوحيد الذي يذكر الصخرة مرواح (ج ن د ل ن / م ر و ح / هـ س ل ق ب)، في حين أنَّ بقية النقوش تذكر الصخرة (أنودم). إذن فهو أقدم ملك ترك نقوشًا في العقلة، بل هو أول من سنَّ عادة الذهاب إلى العقلة في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث الميلادي[2].

- ثاني ملوك حضرموت الذين زاروا موقع العقلة، وقد ترك في الموقع عدة من النقوش توضح زيارته.

- ترك عدة من النقوش في الموقع، ومن أهمها النقش (Ja 949) الذي يوثق فيه قيامه بإعادة بناء مدينة شبوة والقصر الملكي شقير، كما ذكر فيه قيامه بطقس الصيد[3].

- حكم بعد أبيه يدع إل، وترك في الموقع عدة من النقوش.

---

(١) بافقيه: في العربية السعيدة (دراسات قصيرة)، ص٩٥-٩٦. جمال الحسني: مرجع سابق، ص١٣٩-١٤٣. ومنير عربش: معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة، ص٧.

(٢) السطر الثالث من النقش (بافقيه – العقلة).

(٣) بافقيه: في العربية السعيدة (٢)، ص١٠٩.

- هو آخر الملوك

الحضارمة الذين زاروا الموقع أنودم، وترك عدة من النقوش[1].

وتجدر الإشارة إلى وجود نقش قديم للملك الحضرمي (يدع إل بين)، المؤرخة مدة حكمة بين نهاية القرن السابع وبداية القرن السادس قبل الميلاد. ويُعد أقدم النقوش التي وجدت في موقع العقلة، إلا أن النقش لم يذكر الموقع، وربما يعود السبب إلى أن الزيارة وتدوين النقش لم يكونا للمناسبة نفسها التي ذهب إليها الملوك المذكورين آنفًا[2].

وبالعودة إلى المجهود أو العمل الذي أنجزه (ألبرت جام) نجده يمتاز بأنه قدَّم تحقيقًا رائعًا للنصوص، صحَّح فيه الأخطاء التي اعترت مجموعة فيلبي، وأكمل النقص الذي كانت تعاني منه، كما وزع النقوش على مختلف مراحل الحكم بطريقة مقنعة، وحاول أن يعطي كل مرحلة من تلك المراحل تاريخًا في ضوء ما جاء في نصوص العقلة ونصوص أخرى من حقائق تاريخية. أيضًا للأستاذ بافقيه جهود لا تُنسى في هذا السياق، فقد زار العقلةَ وشبوةَ في يوليو عام ١٩٦٤م، وشاهد ورصد، وكتب مقالًا بعنوان: "أهمية كتابات العقلة ... وشبوة"، وقال فيه: "ومهما تكن الأسباب التي من أجلها اختيرت العقلة وقلعتها القديمة (أنودم) لتخليد ذكرى أولئك الملوك؛ فإنه لا شك في أن جبل العقلة كان ولا يزال موقعًا إستراتيجيًّا مهمًّا يسيطر تمامًا على طرق

(١) بافقيه: العقلة، ص١١، ٤٦- ٥١.

(٢) نقش (عربش- بافقيه١).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المواصلات[1]. ومن خلال كل ما تقدم تبرز لنا بعض الأسئلة، أو لعلها تفرض نفسها، وهي: ماذا تعني لفظة العقلة؟ وهل وردت اللفظة في النقوش؟ وممَّ يتكون موقع العقلة، وما هي أهميته؟".

(ألبرت جام) وبافقيه لهما آراء عن لفظة العقلة، فمثلًا (جام) يرى أنَّ اللفظة لها علاقة بالقيد والسجن، وعلى هذا الأساس رفض (جام) الرأي القائل بأن لفظ (العقلة) له علاقة بوجود الماء؛ لأنه يعتقد أنه لا وجود لأية آبار هناك، وأن كلمة (عقلة) في العربية تعني: القيد والسجن، وفي ضوء ذلك كان يبرر أو يحاول أن يجد تعليلًا للمبنى الصغير (الحظيرة enclosure) الذي يستند إلى أحد جوانب الصخرة الرئيسة. وقرَّر "أن معنى (عقلة) في العربية يوحي بأن ذلك البناء ربما كان بقايا سجن قديم".

أما بافقيه فيقول: "ومع أنه قد يصح أو ربما لا يصح ما ذهب إليه (جام) من أنه "ليس من السهل أن نتصور الجمال وهي تشرب عبر الجدار العالي للحظيرة"؛ فإن لفظ (العقلة) – إذا كان لا بد من تفسيره– فهو ذو صلة وثيقة بالماء، إذ إن البدو يسمون رؤوس الأودية التي تنحدر منها المياه بعد هطول الأمطار (عُقَل)، جمع عقلة، وفي بروم

(١) بافقيه: الرسالة التربوية: مجلة تصدرها إدارة المعارف بالمكلا، العدد الأول نوفمبر١٩٦٤م، وقد زار بافقيه العقلة وشبوة مرتين في أوائل عام ١٩٦٦م بعد أن أصبحت صيانة الآثار من مهام إدارة المعارف بحضرموت، وبعد أن شرعت حكومة المكلا (السلطنة القعيطية) في الإعداد لإنشاء متحف المكلا للآثار والفنون الشعبية، وبالفعل افتتح المتحف في أغسطس ١٩٦٦م. ولمعرفة المزيد عن نتائج تلك الجهود، انظر: بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص١٢-١٤.

(على الساحل غرب المكلا) موقع يسمى (العقلة)، وهو رأس الوادي الذي بشمال البلدة، وبه نباتات وآثار مرور مياه السيول[1]. وفي الضالع مكان يطلق عليه العقلة (بالقرب من سناح المنطقة الحدودية مع شمال اليمن، وهي ذات صلة وثيقة بالمياه، بل وبحسب ما يرويه أهل الضالع أنها منطقة وافرة بالماء، ومنها مشروع مياه الضالع.

إذن فاسم (العقلة) له صلة بالماء، بدليل وجود أراضٍ زراعيةٍ بين العقلة وشبوة، بل عُثر على بقايا لقنوات مياه قديمة، وكذا على ثلاثة آبار قديمة وخزانات للمياه (برك)[2]، وحتى يوم الناس هذا في محافظة شبوة، فإن موقع العقلة له صلة بالماء، غني بالمياه في باطن أرضه، أي يحتوي على خزان مياه جوفي هائل.

أمَّا موقع العقلة وأهميته: فالعقلة اسم لجبل يقع في سهل صحراوي فسيح، على مسافة (١٥) كلم غرب مدينة شبوة عاصمة حضرموت القديمة، والمعروف أنَّ العقلة لدى سكان المنطقة اسم للجبل وحده، بل إنَّ الجبال في ذلك السهل الفسيح تحمل جميعها أسماء تميز بعضها عن بعض، فهناك إلى الشرق من العقلة مجموعة جبال لَنْمُر (أي الأنمُر جمع نمر)، وإلى الشرق من هذه المجموعة جبل خروة، وإلى جنوب شبوة جبال آل غالب، وإلى الشمال عند رملة السبعتين[3] مجموعة من جبال لَنْسُر جمع نسْر[4].

---

(١) لمزيد من التفصيل عن العقلة وتعليلها وآراء الباحثين في ذلك، انظر: بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص٢٠-٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢١-٢٢. وانظر: Doe، Southern Arabia: B، P.234

(٣) رملة السبعتين تعرف قديمًا باسم رملة (صيهد)، وتقع شمال غربي وادي حضرموت، وكانت المناطق الواقعة غربي رملة صيهد وجنوبها وشرقها تشكل خلال العصور القديمة الإطار السياسي والحضاري الرئيس في جنوب الجزيرة العربية، وفيها كانت حواضر ممالك أوسان ومعين وقتبان وسبأ وحضرموت.

(٤) بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص٢٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويتكون موقع العقلة من أربع صخرات: الصخرة الرئيسة، وهي باتجاه شمال الغرب وجنوب الشرق، وتبلغ أبعادها ١٥×٢٤م، وارتفاعها ١٥م، ووجد في فتحتها بقايا بناء يكاد يغطيها تمامًا، وفي الجزء الجنوبي من وجهتها الشرقية وُجد حوض للمياه مستطيل الشكل، وأرضيته مجصَّصة ومستوية[١]. والصخرة الثانية هي الملتصقة بالصخرة الرئيسة من الطرف الغربي للواجهة الجنوبية، ويقوم على سطحها بقايا بناء مهدم، وتوجد درجات (سُلَّم) تؤدي إلى المبنى المقام على الصخرة الرئيسة. وإلى الجنوب الغربي منها تقع الصخرة الثالثة وهي أكبر منها بكثير. أما الصخرة الرابعة فتقع إلى الجنوب الغربي من الصخرة الثالثة، وهي أكبر حجمًا من سابقاتها[٢].

وتغطي النقوش كل الجهات للصخرة الرئيسة، كما وُجدت ثلاثة نقوش على الصخرتين الثالثة والرابعة (انظر اللوحات في الملاحق)، وقد أُطلقت تسمية (ج ن د ل / أ ن و د م) على الصخور الشرقية الأربعة التي اكتشفها فيلبي[٣]، وفوق الصخرة الرئيسة مبنى ديني لعله معبد الإله سين (إله القمر- الإله الرئيس لمملكة حضرموت)، ويبدو أن كلَّ المنطقة الصخرية المحيطة بالمعبد كانت تُعد مقدسة[٤]، والنقوش على الصخرة الغربية اسم (ج ن د ل ن / م ر و ح)[٥].

---

(١) Doe، B: Southern Arabia، P.234 . قابل ببافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص١٧.

(٢) بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص١٧-١٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٥.

(٤) كريستيال دارل: المعابد، ص١٣٣. وانظر Sedove، Temples of Ancient Hadramawt، P.83

(٥) السطر الثالث من النقش (بافقيه- العقلة)، وقابل ببافقيه: مختارات من النقوش، ص٣٣٨-٣٣٩.

أما عن أهمية موقع العقلة؛ فإن هذا الموقع كونه جبلًا يحتل مركزًا إستراتيجيًا في السهل الصحراوي الفسيح الذي كان يربط بين عدد من مناطق حضرموت، فالعقلة بذلك تعد أفضل موقع للسيطرة على القوافل التي تستخدم ذلك الطريق، لاسيما بين الجنوب والشمال[1]، بل يمكن أن تكون أيضًا مركزًا خارجيًّا لشبوة العاصمة، يصد عنها هجمات مباغتة قد تكون قادمة من أي جهة في الغرب أو الجنوب (سبأ أو قتبان مثلًا). أما البناية الغربية -إن كانت حصنًا أو مجرد برج- فلعلها أقيمت لأغراض الحراسة، كحراسة الزراعة، ومراقبة أي تحركات في السهل الفسيح الممتد غربًا نحو مشارف الممالك القديمة المجاورة، لاسيما سبأ وقتبان، وذلك إما لصد أي عدوان مباغت، أو للسيطرة على طرق القوافل من أجل فرض الرسوم الجمركية، كما أن وجود الآبار وآثار الزراعة حول العقلة، وفي المساحة التي بينها وبين شبوة العاصمة، يجعلها مكانًا صالحًا للنزهة والترفيه كالقنص، والسباق، والاستعراضات، وغير ذلك[2].

(١) بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص١٧-١٨. وانظر: Doe، op – cit، P. 234

(٢) لمعرفة المزيد عن مكونات موقع العقلة وأهميته، انظر بافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص٢٦-٣٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

ثانياً: نقوش قدماء الحضارمة في العقلة:

١-

بالرغم من العثور على عدد كبير من النقوش القيِّمة في موقع العقلة؛ لم يُذكر اسم (العقلة) في تلك النقوش، ورغم ذلك فإن أبرز ما يشتهر به هذا الموقع هو مجموعة النقوش التي عَثَر عليها (فيلبي) أو غيره، بل هي في غاية من الأهمية؛ إذ تقدم معلومات قيِّمة عن بعض الحقب من التاريخ الحضرمي القديم. وقد تم تقسيمها على النحو الآتي:

أ- نقوش العقلة الشرقية (أنودم):

وهي النقوش التي قام (ألبرت جام) بدراستها وتحقيقها، ثم نشرها كاملةً في كتابه (نصوص العقلة)، وبحسب أرقام جام المتسلسلة فهي تبدأ برقم (Ja 910) وتنتهي بـ (Ja 1006)[١].

ب- النقوش الجديدة:

وهي نصوص العقلة الغربية والشمالية. ويبدو أنها تعطي معلومات عن تاريخ حضرموت وعلاقاتها بجيرانها قبل أن يتم ضم المنطقة تحت لواء حِمْيَر، أي ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت، والنقوش الجديدة موزعة على ثلاثة مواضع في الصخرة الغربية (مروح)، وفي البناء الغربي وحوله بأعلى العقلة، وفي بعض الصخور المنتشرة خلف الجبل[٢].

---

(١) انظر مدونه جام –Ja، وبافقيه: آثار ونقوش العقلة، ص١٩، ٥٩-٧٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٧-٨١.

وفي سياق بحثنا هذا لا نستطيع أن نتناول جميع النقوش التي وُجدت في العقلة، علمًا بأن المهتمين والباحثين –لا سيما المستكشف البريطاني (فيلبي) و(ألبرت جام) وبافقيه– قد قاموا بتوثيقها ودراستها وتحقيقها، وقد أعطوا الموضوع حقه، وبالرغم من ذلك يظل المجال البحثي لهذه المنطقة مفتوحًا لمزيد من البحث الأثري، والحصول على معلومات أوفر[1].

٢-

- النقش (Ja 921 أنموذجًا)، ونصُّه:

١- إ ل ع ذ / ي ل ط / م ل ك / ح

٢- ض ر م ت / ب ن / ع م ذ خ ر / س ي

٣- ر / أ د / ج ن د ل ن / أ ن و د م / هـ

٤- س ل ق ب.

(جام 921) من النقوش المحفورة في الجهة الشرقية لجبل العقلة (أ ن و د م قديمًا)، ويبدو أن الطابع العام للنقش هو الطابع الاحتفالي بمناسبةٍ ما، كالتتويج، أو توزيع

(١) منذ عامين من الزمان يقوم أحد طلاب الدراسات العليا (دكتوراه) بكلية الآداب – جامعة عدن، وهو (محمد أحمد السدلة)، بالبحث والتقصي في تاريخ هذه المنطقة وآثارها، وقد كان لي شرف الإشراف العلمي على أطروحة الدكتوراه لهذا الطالب، ونرجو أن تزخر هذه الأطروحة بمعلومات إضافية جديدة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الألقاب أو المكافآت، أما ما خلص إليه (ألبرت جام) من استنتاجات في كتابه (نصوص العقلة – ص١٦ – ١٨) فهي:

"أن الملك الحضرمي العذيلط (إ ل ع ذ / ي ل ط)[1]، اكتشف الإمكانات العظيمة التي يقدمها كل من الموقع والصخرة الكبيرة لإقامة الحفلات العامة في الهواء الطلق، ولهذا صمم على أن يتوج الصخرة الرئيسة ببناء يستطيع أن يقوم أمامه بأعمال علنية، فيراه جميع الأشخاص-أيًّا كان عددهم- الذين يجلسون أو يقفون في السهل الواسع المكشوف الذي يمتد إلى الشرق من الصخرة". ويستمر الحديث لجام: "في النقش الوحيد الذي أمر بحفره (Ja 921) يصف الملكُ نفسُهُ جزأي الحفل: موكب الخيالة cavalcade وتوزيع الألقاب أو المكافآت، وأنه من المأمون أن نفترض أن النقش قد حُفِرَ بعد أوَّل احتفالٍ مباشرة".

كما يرى (جام) أن مرافقي الملك في الموكب أو الاستعراض نوعان: النوع الأول يتكون من حاشية الملك العادية، والنوع الآخر يتكون من ضيوف الشرف، وأن الفرق بين النوعين يلتمس في أن ضيوف الشرف هم الذين شايعوا أو رافقوا "Accopanied" الملك في حفل وَزَّع خلاله سيدُهم ألقابًا ومكافآت (هـ ل ق ب = س ل ق ب). وأنه

(١) إل ع ذ... حلت الذال محل الزاي (إل ع ز)، وهذا عادة ما يحدث في النقوش الحضرمية، أما عن هذا الملك الحضرمي (إل ع ذ / ى ل ط / ..) فهو من ملوك بداية القرن الثالث الميلادي، ويبدو أن المصالح السياسية قد دفعته لمصاهرة الملك (ش ع ر م / أ و ت ر) بن الملك (علهان نهفان) ملك سبأ وذي ريدان، فتزوج من أخت شعرم أوتر (م ل ك ح ل ك). انظر النقش (أرياني ١٣) في نقوش مسندية لمطهر الأرياني، من١٥٩-١٢٢.

من الطبيعي أن أولئك المرافقين المميزين للملك هم الذين تلقوا منه الألقاب، وأنه ليس هناك ما يمنعنا من افتراض أن الملك أقام النوع نفسه من الاحتفال في مناسبات أخرى، وأن النقوش نفسها توحي بأن الحفل قد أُقيم ثلاث مرات على الأقل. أما بافقيه فيرى أن (ألبرت جام) قد بنى جميع استنتاجاته على موقع واحد فقط في العقلة، هو الجانب الشرقي المعروف بـ(أنودم)، فلم يكن الجانب الغربي (مروح) قد اكتُشِفَ حين ذاك، كما أنه لم يلتفت إلى استعمال لفظتي (جندلن) و(محفدن) وصفًا (لأنودم) في نقوش العقلة الشرقية، وغيرها من الأمور التي تحتاج إلى دراسة وقراءة جديدة لنقوش العقلة[1].

وهكذا نجد أن الحكَّام الحضارمة قد أقاموا احتفالاتهم حول العقلة، وفي المساحة التي بينها وبين العاصمة شبوة، ويبدو أن هذه المساحة وفي مواسم معينة تتحول إلى مروج خضراء، وفيها يقيم الحضارمة مراسيم التتويج وتولية الحكم أو الملك، ثم بقية فقرات حفل التتويج، وذلك عند مجموعة من الصخور التي تقع أسفل جبل العقلة (أ ن و د م)، والتي تطل على تلك المساحة الواسعة الخضراء التي يتجمع فيها المشاهدون وغيرهم من الحضور، والتي تقام بها احتفالاتهم وكذا سباقاتهم وصيدهم وقنصهم التي تعدُّ جزءًا من مراسيم حفل التتويج، وفيها أيضًا تُوزَّع الألقاب والمكافآت[2].

(١) قابل ببافقيه: آثار ونقوش العقلة، ٣٣-٣٥.

(٢) يمكننا أن نتصور أن ذلك يشبه -إلى حد ما- ما يقوم به اليونانيون من مهرجانات في حضن جبل (الأولمب) الذي كان يسكنه (زيوس) رب الأرباب، حيث تقع مدينة (أولمبياد) التي كانت تتمتع بمركز ديني مرموق، وهناك تقام مهرجاناتهم كل أربع سنوات (منذ عام ٧٧٦ق.م) تكريمًا للإله زيوس، وقد عثرت=

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ثالثًا – نقوش العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت القديمة:

حرص ملوك حضرموت على زيادة الروابط الطيبة مع كل من يتعاملون معهم داخل الجزيرة العربية وخارجها، وقد جاءت الوفود إلى مملكة حضرموت (موقع العقلة) للمشاركة في مراسيم احتفال تولية الحكم أو مراسيم أخرى، وذلك بحسب ما جاء في بعض النقوش. ويبدو من خلال قراءة محتوى تلك النقوش، أنها من نقوش العلاقات التجارية والدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت. وسنناقش في السياق الآتي ثلاثة نماذج من نقوش العلاقات الدبلوماسية: الأول في الإطار المحلي (اليمن القديم)، والثاني في الإطار القُطري في الجزيرة العربية، أما الثالث ففي الإطار الدولي. وهي كالآتي:

=بعثات التنقيب على بقايا النذور القديمة التي كانت تقدم للآلهة في معابد تلك المنطقة. ويبدو أن الألعاب الأولمبية بدأت مهرجاناتٍ دينية، ولاحقًا أخذت صبغتها الرياضية. ولعل في ذلك ما يجعلنا نعتقد أن هناك تشابهًا –إلى حد ما– بين مهرجان اليونانيين وكذا الرومان القدماء واحتفالات الحضارمة في العقلة، إذ أقام الحضارمة احتفالاتهم في حضن جبل العقلة بالقرب من مدينة (شبوة) العاصمة، ويتم التقرب للإله سين في الموقع نفسه، وتقديم القرابين والنذور له، وكذا طقس العيد الملكي (القنص أو القنيص)، وربما في تلك الأنحاء في مدة احتفالات التتويج تقام أيضًا سباقات الهجن والخيول وغيرها، ولعل تلك الطقوس أو المهرجانات الحضرمية أشبه ما تكون بطقوس ومهرجانات اليونان والرومان المقامة على مسارحهم المفتوحة في الهواء الطلق. انظر، إبراهيم سعد وآخرون: العمارة الرومانية، ص١٢٥-١٣٥؛ والموسوعة العربية الميسرة، مجلد ٢، ص١٦٩٧؛ وحلمي سالم: الأولمبياد، كتاب الهلال، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٦٨-١٧٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١- النقش (Ja 923):

حُفر هذا النقش في الجهة الشرقية لجبل العقلة (أ ن و د م قديمًا) أما نص النقش فهو:

١- ي د م / ب ن / ر ط ب م / و م ر ث د م / ب ن / ش ع ب ن

٢- ي و / ح م ي ر ي ي هـ ن / ش و ع و / م ر أ س م ي ن / إل / ع ذ / ي ل

٣- ط / م ل ك / ح ض ر م ت / ب ن / ع م ذ خ ر / م ت / س ي ر / أ د / ج

٤- ن د ل هـ ن / أ ن و د م / هـ م ت ل ل / و هـ ل ق ب / م ت / س

٥- ل ح س م ي ن / م ر أ س م ي ن / ث أ ر ن / ي ع ب / ي هـ ن ع م /

٦- م ل ك / س ب أ / و ذ ر ي د ن / ت ن ب ل م / هـ ش ي ع / أ

٧- خ س.

محتوى النقش وطابعه:

يبدو أن الملك (ثأران يعب يهنعم) ملك سبأ وذي ريدان كان حريصًا على علاقات الود والتعاون مع مملكة حضرموت؛ بدليل قيامه بإرسال وفدٍ حميريٍّ للمشاركة في مراسيم تتويج الملك الحضرمي (إل عذيلط)، وقد رافقوه في موكب واستعراض احتفالي مهيب. ويتبين من قراءة النقش أنه ذو طابع دبلوماسي، ونأخذ مثالًا اللفظتين (ت ن ب ل م) و(هـ ش ي ع)، فالأولى (ت ن ب ل م) هكذا وردت في التصوير وليس (ت ق ب ل م) كما وردت في نسخة (جام) (A.Jamme: the al – Uqlah Texts). وتعني اللفظة (ت ن ب ل م) (ت ن ب ل ت): وفد، رُسُل، بعثة دبلوماسية. والثانية (ش ي ع) (هـ ش ي ع)، وتعني في المعجم السبئي: تابع، نصير، شيعة، أنصار[1]. ولعل

(١) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص٩٠، ١٣٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

اللفظتين (ت ن ب ل م / هـ ش ي ع) تعنيان أن أصحاب النقش قَدِمُوا من أجل مشايعة (مرافقة) الملك في الحفل، أي شاركوا في تلك المراسيم بوفدٍ دبلوماسي.

٢- النقش (Ja 919):

١- ر ب ب أ ث ت / ن ض ر ت / ص د ق

٢- ت / أخ ت م / د ل ي ت / ح ي ت ن

٣- ن ع م / ش ع ر / س و د ت / أ ب و د د

٤- ت ف ص ي / م ل ح م ت / أ ب ص د ق / ح

٥- ص ي ن ع م / ق ر ش هـ ت ن / ش ي ع ن / م

٦- ر أ س ن / أ ل ع ذ / ي ل ط / م ل ك / ح ض

٧- ر م ت / ب ن / ع م ذ خ ر .

محتوى النقش وطابعه:

رباب أثه أو أثيه ونضرة وصدقة واختم أو أختام ودلية وحيتن أو حيتان ونعام وشعر وسودة و أ ب و د د وتفصي وملحمة و أ ب ص د ق وحصين عم القريشيات (شيعن) أي رافقن (مرأسن) سيدهم العذيلط ملك حضرموت بن عم ذخر. كل هذه أسماء معطوف بعضها على بعض لثلاث عشرة أو أربع عشرة من النساء قد رافقن سيدهنَّ ملك حضرموت، ونحن نفهم من نقوش أخرى -خاصة نقوش العقلة- أن بعض ملوك حضرموت كانوا يقيمون مراسم توليهم الحكم أو الـمُلك عند مجموعة

من الصخور التي تقع أسفل جبل العقلة من الناحية الشرقية (أنودم قديمًا)، وفي معيتهم نبلاء حضرموت ووفود من جهات شتى في شبه الجزيرة العربية ومن خارجها[1].

وفي ضوء تلك القراءة النقشية ربما يتبادر إلى الذهن أن هؤلاء النسوة من قريش (القبيلة المعروفة)، لولا عدم ياء النسبة، مما يجعل ذلك التفسير غامضًا (بالإضافة إلى مشكلة التاريخ)، وإذا كان النقش قد قصد من ذلك (قريش) المعروفة صاحبة مكة؛ نكون بذلك قد وقفنا لأول مرة على اسمها في وثيقة مدونة[2]. وأيًّا كان الأمر، وسواءً كانت النسوة من قريش المعروفة أم من منطقة قريبة من مملكة حضرموت؛ فإن ذلك يدل على زيادة الروابط الطيبة (التواصل الحضاري) مع جيرانهم داخل الجزيرة العربية وخارجها، وربما يجعلنا هذا نظنُّ أنه من قبيل العلاقات الدبلوماسية.

٣- النقش (Ja 931):

إذا كان النقشان السابقان يتحدثان عن قدوم وفود من أراضي اليمن القديم، ومن الجزيرة العربية؛ للمشاركة في احتفالات الملوك الحضارمة؛ فإن هذا النقش يتحدث عن وفود دولية من خارج الجزيرة العربية، جاءت للمشاركة في مراسيم تتويج الملك الحضرمي (إل عذيلط) في العقلة، وهو من أبرز النقوش التي تتحدث عن العلاقات الدبلوماسية والتواصل الحضاري، جاء فيه:

(١) بافقيه وآخرون: مختارات من النقوش، ص٣٢٥- ٣٢٦؛ وإبراهيم ناصر البريهي: الخط المسند وثيقة للصلات الحضارية في تاريخ الجزيرة العربية القديم (في كتاب الوحدة الحضارية للوطن العربي)، ص٦٥٦-٦٥٧.

(٢) بافقيه وآخرون: مختارات، ص٣٢٦؛ وجواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص١٤٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١- خ ي ر ي / و ع ذ ذ م / ت ذ م ر

٢- ي هـ ن / ذ م ت ر ن / و ف ل ق ت

٣- ك ش د ي ي هـ ن / د هـ ر د هـ / و م

٤- ن د هـ / هـ ن د ي ي هـ ن / ش و ع و

٥- م ر أ س م / إ ل ع ذ / ي ل ط / م

٦- ل ك / ح ض ر م ت.

محتوى النقش وطابعه:

من خلال القراءة النقشية لـ(جام 931) يبدو أن الطابع العام للنقش هو طابع العلاقات الدبلوماسية بين حضرموت القديمة والحضارات المعاصرة لها. ومن المعروف أن مملكة حضرموت كانت تحتل مركز الصدارة في إنتاج وتجارة البخور، ومن أشهر أنواعه اللبان والمر والصبِر، وكان الأول أكثر جذبًا للاهتمام؛ نظرًا لاستخداماته المتعددة حتى يوم الناس هذا، وحتى نفهم أهمية هذه التجارة (تجارة حضرموت للبخور) مع أقطار العالم القديم يجدر بنا أن ننظر إلى الدور الذي تؤديه مختلف أصناف البخور الحضرمي في الحياة اليومية لأعظم الحضارات منذُ القدم[1].

(١) رونالد ليوكوك: وادي حضرموت ومدينة شبام المسورة، ص١١-١٥؛ عميدة شعلان: دراسة لنقش سبئي على مبخرة، ص٢٢. والتر موللر: الموسوعة اليمنية، مجلد ٢، ص٧٩٣-٧٩٥. أيضًا وردت الإشارة إلى أهمية البخور في الحياة اليومية في الكتاب المقدس في التوراة: أسفار حزقيال ٢٧/ ٢٢-٢٣، ونشيد الإنشاد سفر ٣/ فقرة ٦، وسفر ٤/ فقرة ٦ وفقرة ١٣، وفي إنجيل متى فقرة ١١.

وليس من السهل تقدير كمية الإنتاج والتبادل التجاري لمملكة حضرموت، لا سيما مركزها التجاري المتمثل في عاصمتها شبوة؛ وذلك لعدم وجود أرشيف أو نصوص تذكر وجود تجار أجانب[1]، ولكنَّ هناك نقشًا واحدًا (جام 931) يذكر وجود أشخاص من تدمُر، ومن العراق القديم (كلدان)، ومن الهند، عند تنصيب الملك الحضرمي (العذيلط) أو (العزيلط) في بداية القرن الثالث الميلادي تقريبًا، وربما كان وجودهم لمناسبة أخرى، غير أن من المرجح أن هؤلاء الأشخاص كانوا سفراءً وليسوا بتجار، وقد ذكر النقش عدة من الأشخاص الأجانب، هم:

(خيري وعذذ) من تدمُر في بادية الشام، و(ذمترن) أو (ذمتران) و(فلقة) من الكشديين، وهو (كشدي) الشكل الأصلي لاسم القوم الذين ندعوهم الآن بالكلديين، والذين كانوا يسكنون جنوب العراق في العصور القديمة، و(دهردة) و(مندة) الهنديان، أو من الهند، كما يدل عليه شكل الاسمين، ويذكر أن سفيرًا هنديًّا يدعى (دهردة) كان قد وفد إلى قيصر الروم خلال السنوات (218-222 م)، فيظهر أنه مكث مدة في حضرموت إبَّان رحلته من الهند إلى بلاد الروم عند عودته من هناك[2].

ويذكر النقش أن هؤلاء جميعًا قد رافقوا (العذيلط / إل عزيلط) ملك حضرموت، إلا أن النقش لم يوضح لنا ما المناسبة التي رافق هؤلاء الملكَ الحضرميَّ من أجلها. ولكن من خلال دراسة نقوش العقلة التي تتحدث عن مملكة حضرموت يظهر أنها تتحدث

(١) عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون: شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) بافقيه وآخرون: مختارات، ص٣٢٩-٣٣٠؛ والبريهي: مرجع سابق، ص٦٦٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عن بعض ملوك حضرموت، وأنهم اعتادوا إجراء مراسيم الملك وتوزيع الألقاب بأسفل جبل العقلة من الناحية الشرقية (Ja 921). ومن الملاحظ هنا أن كل دولة يمثلها شخصان، مما يدل على أنها دعوة رسمية واحتفالات منظمة، فضلًا عن مدى العلاقات الطيبة التي تربط مملكة حضرموت بهذه الدول، بالإضافة إلى ما تتمتع به حضرموت من مكانة قوية بين الدول المعاصرة لها آنذاك بفضل تجارتها وتحكمها في بعض المواد العطرية إلى غير ذلك من الأسباب، كما يدلنا هذا النقش على أن الدول في العالم القديم كانت تتبادل السفراء والمندوبين مثل ما تقوم به الدول في عصرنا الراهن، وذلك لتسهيل العلاقات بينها[1].

ومن الجدير بالذكر أن عادة الذهاب إلى موقع العقلة سنَّها الملك (يدع إل بين بن رأب إل)، والشاهد على ذلك نقشُهُ الذي عَثر عليه بافقيه في أسفل الجبل من ناحيته الغربية (م ر و ح)، وقد عُرف النقش باسم (بافقيه – العقلة)، ويؤرخ حكم هذا الملك بـ(أواخر القرن الثاني إلى أوائل القرن الثالث الميلادي)، وقد توقفت هذه العادة بسقوط شبوة عاصمة حضرموت، أي إن سقوط شبوة في أوائل القرن الرابع الميلادي وضع حدًّا لتلك العادة التي سنَّها (يدع إل بن رأب)، ويبدو أن هذا التوقيت (القرن الرابع الميلادي) كان بمنزلة إعلان ميلاد دولة التبابعة الحميريين التي ضمت أغلب مناطق اليمن القديم تحت رايتها[2].

(١) بافقيه وآخرون: مختارات، ص٣٢٩-٣٣٠؛ وعزة عقيل وبريتون: مرجع سابق، ص١٧٣.

(٢) بافقيه: في العربية السعيدة، ج ٢، ص٩٨- ١١٩.

وهكذا تبين من القراءات النقشية السابقة أن الحضارمة كانوا حريصين على زيادة الروابط الطيبة مع كل من يتعاملون معهم داخل الممالك العربية الجنوبية أو الجزيرة العربية أو خارجها، وعلى هذا الأساس سنعطي لمحةً موجزةً عن الاتصال الدبلوماسي الحضاري عامَّةً بين مملكة حضرموت القديمة وبعض بلدان العالم القديم، بحسب ما ورد في النقوش المذكورة سابقًا، على النحو الآتي:

لا شك أن هناك علاقات وطيدة (في الإطار الجغرافي لليمن القديم) بين مملكة حضرموت والممالك العربية الجنوبية، علاقات سياسية وتجارية ودبلوماسية، وذلك بحكم الجوار والمصالح المتبادلة، لا سيما التجارية، وبحكم تقارب مناطق نفوذها وتداخلها؛ كانت في حالة مدٍّ وجزر، تتحالف تارةً، وتتنازع تارةً، والكثير من الشواهد النقشية تؤكد ذلك. والحديث في هذا طويل، وليس محله هنا، وهذا ينطبق أيضًا على شكل العلاقات على مستوى الجزيرة العربية، وقد تناولنا ذلك وخاصةً في شأن العلاقات التجارية والدبلوماسية (انظر النقشين 923 و919 Ja).

أما فيما يتعلق بالإطار الدولي للعلاقات الدبلوماسية والحضارية بشكل عام؛ فقد أشرنا إلى ذلك من خلال النقش (931 Ja).

للممالك العربية الجنوبية -ومنها مملكة حضرموت- علاقات تجارية مع الهند لا نعرف على وجه الدقة بدايتها، وقد كانت الهند تشتهر بمنتجات ومصنوعات كثيرة،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مثل: الكافور، والمسك، والتوابل، والأنسجة، وغيرها من السلع الهندية[1] التي تحتاج لها شعوب العالم القديم، ولعل موقع حضرموت بالنسبة للهند جعل منها مركزًا لاستقبال المنتجات الهندية وتوزيعها بوساطة التجار الحضارم أو غيرهم من تجار الممالك العربية الجنوبية، وقد عكس ذلك التواصل التجاري نفسه في المدى التاريخي على العلاقات الحضارية بين مملكة حضرموت والهند، علمًا بأن تلك العلاقات لم تقتصر على الجانب التجاري، وإنما تمخض عنها اتصال وتفاعل حضاري وثقافي فاعل ونشيط[2].

ومن الشواهد الأثرية التي تؤكد لنا عمق العلاقات الحضارية مع الهند ما عُثر عليه في أثناء الحفريات في منطقة ظفار العُمانية (كانت تابعة لمملكة حضرموت القديمة) من بقايا عظام بشرية تقول الدراسات إنها تحمل أثر الإنسان الهندي وتقسيماته، ومن المحتمل أن تكون بقايا آثار لجماعات قدمت من الهند واستوطنت السواحل التابعة لحضرموت أو القريبة منها، وما زالت العلاقات مع الهند قائمة، إذ تحمل لنا بين الحين والآخر موجات مهاجرين هنود إلى سواحل غرب الجزيرة العربية والخليج العربي[3].

---

(١) ظلت التجارة الهندية والعربية الجنوبية –لا سيما حضرموت القديمة– مستمرة منذ القدم حتى ظهور الإسلام وما بعده، وقد كانت الكثير من السلع الهندية تصدر إلى بلاد العرب، والتجار الحضارمة كانوا يستوردونها لغرض تصديرها إلى بلدان العالم القديم. لمعرفة المزيد عن ذلك انظر: محمد إسماعيل الندوي: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ص١٧-٣٣؛ ونورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية (3ق.م- 3م)، ص٢٦٣-٢٦٦. كما ورد ذكر بعض هذه السلع الهندية في كتاب الطواف، the PeriPlus,: ch.14,17,32,41,56,P.27-45

(٢) لمعرفة المزيد عن العلاقات الحضرمية الهندية عبر العصور انظر: الصلات التجارية بين حضرموت والهند، مجلة كليات التربية، عدد يوليو ٢٠١٦م، ص٣٢٧-٣٦٥.

(٣) ثريا منقوش: قضايا تاريخية وفكرية من اليمن، ص٧٤.

بالإضافة إلى ما عثرت عليه (البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان) في ميناء سمهرم (خور روري حاليًّا)، وهو من أهم موانئ مملكة حضرموت، وبناه الحضارم القدماء، إذ وُجدت فيه قطع حجرية وقطع برونزية كُتِبَ عليها بالخط العربي الجنوبي (المسند)، تصف تأسيس الحضارم للمدينة مركزًا لتجميع (البخور) وتصديره إلى الخارج. وظهر من خلال هذه الكتابة اسم إله حضرموت (سين ذا أليم)، كما تم الكشف عن آثار للقلعة التي تحمي المدينة، وآثار معبد قديم شُيِّد وسط الجانب الشمالي للمدينة، وهو المعبد الذي يُعبد فيه الإله (سين) إله القمر، أيضًا عُثر على أحد أبواب مدينة سمهرم منقوشًا عليه اسم ملك حضرموت (إل عزيلط)، واسم عاصمته شبوة[1].

ومن المعثورات الأثرية التي تؤكد وجود علاقات حضارية بين حضرموت والهند التمثال الذي عثرت عليه البعثة الأمريكية في الموقع نفسه، وهو تمثال برونزي لفتاة هندية –لعلها راقصة– تعزف على الناي، وقد أرخ في القرن الثاني للميلاد[2]. كذلك حملت لنا النقوش المسندية التي عثر عليها في موقع (العقلة) بالقرب من العاصمة الحضرمية شبوة أخبار زيارات واستقبالات رسمية لوفود هندية قدمت حضرموت للمشاركة في احتفالات تتويج الملك الحضرمي (إل عزيلط) على عرش مملكة حضرموت[3].

(١) وزارة الإعلام في عمان: عمان في التاريخ، ص٧٤ – ٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٨.

(٣) نقش جام: (Ja 931 /3-4).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومن شواهد تلك العلاقة الحضرمية أيضًا أن جزيرة سقطرى التابعة لمملكة حضرموت، والتي تتمتع بموقع إستراتيجي مهم في المحيط الهندي، تشتهر بإنتاج السلع المرغوبة آنذاك، كاللبان، والمر، والصبر، ودم الأخوين (شجرة نادرة لا توجد إلا في جزيرة سقطرى)، وغيرها من النباتات الغريبة، وكانت حلقة وصل بين الهند ومملكة حضرموت، وكذا شرق إفريقيا، فهي بمنزلة محطة استراحة تتوقف عندها السفن قبل أن تنطلق إلى الهند، لذلك اهتم الهنود القدماء بسقطرى، وأسموها "الجزيرة السعيدة"، بل يقال: إن الاسم سقطرى راجع للاسم السنسكريتي الهندي "دفيبا سخدرا" Dvipasakhadra، في حين أنَّ المصادر الكلاسيكية تراها مركزًا تجاريًّا مهمًّا يتبع مملكة حضرموت، وأُطلق عليها "أجارثارخيدس Agathachides" اسم جزيرة السعادة، أما كتاب الطواف فقد أطلق عليها اسم "ديزكوريدا Discorida"[1].

وجدير بالذكر أن الصلات والعلاقات الحضرمية الهندية ظلت مستمرة منذ العصور التاريخية القديمة حتى الوسيطة ثم الحديثة، وقد تمخض عنها اتصال وتلاقح وتفاعل حضاري وثقافي بين الجانبين، إضافة إلى أنها أصبحت أساسًا ورافدًا للهجرات المتبادلة بين الطرفين[2].

---

(١) كتاب الطواف، Schoff، w: the periplus، ch 30، 34 – P. 33 . وانظر: محمد علي البار: سقطرى الجزيرة السحرية، ص١٣ – ٧٤.

(٢) لمعرفة المزيد عن هذه الصلات والعلاقات؛ انظر: محمد بن هاوي باوزير: الصلات التجارية بين حضرموت والهند – تاريخها وأثرها في رفد الهجرة المتبادلة، مجلة كليات التربية، العدد الثاني، مجلد (١٤)، يوليو ٢٠١٦، من ص٣٢٧-٣٧٤.

بالنسبة للعلاقات مع العراق القديم هناك إشارات كتابية سومرية تعود إلى عام (٣٢٠٠ق.م) تشير إلى وجود صلات قديمة وعلاقات تجارية بين عرب الجنوب والعراق القديم، إذ يوجد تعبير (البخور المستخرج من أشجار اللبان)، وهناك تعابير أخرى معناها أن البخور مطلوب للحكام ورجال الدين(١).

ويبدو أن الاتصال بين عرب الجنوب والعراق القديم كان في الألف الثالث قبل الميلاد عن طريق ظفار؛ لأن ثمة كتابة آشورية تعود إلى نحو (١٨٠٠ ق.م) تشير إلى اللبان والصمغ، وازدياد الطلب عليهما في العراق، والمعروف أن اللبان والصمغ كانا يزرعان في (إقليم حضرموت)، ويُصدَّران برًّا إلى الجرهاء وموانئ البحرين الأخرى، وعن طريقها يصلان إلى موانئ العراق الجنوبية بحرًا(٢)، وهذا يعني أن أولى العلاقات التجارية بين حضرموت والدول الأخرى كانت مع العراق القديم (بلاد الرافدين). ولعل أبرز الشواهد النقشية على العلاقات بين حضرموت والعراق القديم ما أشارت إليه نقوش العقلة من قدوم وفدٍ كلدانيٍّ للمشاركة في احتفالات تتويج ملك حضرموت (Ja 931 /2-3).

(١) أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها، ص١٠٧ – ١٠٨؛ هاري ساكز: عظمة بابل، ص٣١٠-٣١٢؛ جواد مطر: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص٤٧٣.

(٢) بوريس زار ينز: البحث التاريخي والأثري في محافظة ظفار، ص١٥٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما بالنسبة لأقدم إشارة للصلات والعلاقات التجارية بين عرب الجنوب والشام؛ فيبدو أنها تلك الإشارة عن الاتصال بشمال الجزيرة العربية، وهي تلك التي جاءت في الكتب السماوية[1] التي تصف زيارة ملكة سبأ إلى النبي سليمان، وذلك في حدود القرن العاشر قبل الميلاد، ولكن يبدو أن اتصالها ببلاد الشام ربما كان قبل ذلك بمدة طويلة، فمن المحتمل أن يكون عرب الجنوب قد انفتحوا على بلاد الشام منذ عهود موغلة في القدم، كما حدث مع بلاد الرافدين. وقد أكدت الدراسات الأثرية وجود هذه العلاقات التجارية، إذ عثرت التنقيبات الأثرية في الشام –لا سيما في فلسطين– على عدد من القطع الفخارية تحمل كتابات عربية جنوبية تعود للقرنين السابع والسادس قبل الميلاد، وكذلك عُثر على ختم عربي جنوبي يعود تاريخه للقرن التاسع قبل الميلاد[2].

وقد كانت القوافل التجارية هي الوسيلة الأساسية لذلك التواصل مع شمال شبه الجزيرة العربية منذ عهود قديمة، مارة بسلسلة من الواحات في الحجاز، حتى منطقة دادان (العلا)، ومنها إلى بلاد الشام. وعلى طول تلك الطريق أسس عرب الجنوب مراكز تجارية لهم (جاليات) أكدتها النقوش، لاسيما نقوش المستوطنات المعينية التي أقامها التجار المعينيون في دادان (العلا)، التي يعود تاريخها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، واستمر حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، وقد تم العثور على عدد من النقوش المعينية والحضرمية

(١) التوراة، سفر الملوك الأول، إصحاح ١٠/ فقرة ١-١٣. والإنجيل، إنجيل متى إصحاح ١٢/ ٤٢. وانظر: القرآن الكريم، سورة النمل، الآيات ٢٠- ٤٤.

(٢) نورة النعيم: مرجع سابق، ص٢٠٥-٢٠٦.

التي تتحدث عن تلك العلاقات، نختار منها ما ورد في أحد نقوش العقلة عن مشاركة وفدٍ تدمريٍّ من بادية الشام في احتفالات تتويج ملك حضرموت (Ja 931 /1-2)، كما تم اكتشاف نقشٍ تدمريٍّ لغةً وخطًّا في عام (٢٠٠٢م) في أحد كهوف جزيرة سقطرى التابعة لمملكة حضرموت[1].

وصفوة القول: تؤكد المعطيات النقشية السابقة (نقوش العقلة) -لاسيما معطيات النقش (جام 931)- مدى العلاقات الطيبة التي تربط مملكة حضرموت بمحيطها الجغرافي، بل وصلت علاقاتها لأبعد من ذلك، وهذا يؤكد أنَّ مملكة حضرموت تتمتع بأهمية ومكانة قوية بين دول العالم القديم؛ وذلك بفضل تجارتها وإنتاجها وتحكمها في بعض المواد العطرية، إلى غير ذلك من الأسباب، وقد دلنا هذا النقش (جام 931) على أن الدول في العالم القديم كانت تتبادل السفراء والمندوبين مثل ما تقوم دول العالم في عصرنا هذا؛ وذلك لتسهيل العلاقات بينها. بل إن هذا يجعلنا نستنتج أن العقلة ربما كانت مركزًا دينيًّا بالقرب من العاصمة شبوة، وأما ما ورد في نقوشها -لا سيما النقش (جام ٩٣١)- من وجود عدد من أسماء الأجانب والعرب هناك (من الهند وأكد وتدمر وقريش)، ففيه دلالة على عالمية حضرموت القديمة وعاصمتها شبوة بصفتها مركزًا تجاريًّا عالميًّا آنذاك.

(١) أسمهان الجرو: دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، ص٨٥؛ ومحمد بن هاوي باوزير: كراسات في تاريخ حضرموت، ص١١٠-١١١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

المصادر والمراجع

١- الكتب السماوية ومدونات النقوش:

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، ١٩٨٣م.
- مدونات نقوش اليمن القديم، مدونة ألبرت جام – Ja، ونقوش (بافقيه- العقلة) و(عربش-بافقيه).

٢- البار، محمد علي:

- سقطرى الجزيرة السحرية، ط ١، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م.

٣- بافقيه، محمد عبدالقادر:

- آثار ونقوش العقلة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.
- في العربية السعيدة (دراسات قصيرة 2) مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٣م.
- الرسالة التربوية، تصدر عن إدارة المعارف بالمكلا، العدد الأول، نوفمبر ١٩٦٤م.

٤- بافقيه، محمد عبدالقادر وآخرون:

- مختارات من النقوش اليمنية القديمة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٥م.

٥- باوزير، محمد بن هاوي:

- كراسات في تاريخ حضرموت وتراثها (دراسات وبحوث ومقالات)، ط١، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، ٢٠١٤م.
- الفصل السابع من أطروحة الدكتوراه (غير منشورة) المعنونة بـ: اليمن القديم في القرآن الكريم والشعر الجاهلي وكتب المؤرخين والجغرافيين العرب القدامى. جامعة تونس، ٢٠٠٤م.

- الصلات التجارية القديمة بين حضرموت والهند – تاريخها وأثرها في رفد الهجرة المتبادلة، منذ العصور التاريخية حتى عصر السيادة الإسلامية، مجلة كليات التربية، مجلد (١٤) العدد (٢)، يوليو ٢٠١٦م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ٢٠١٦م.

٦- البريهي، إبراهيم بن ناصر:

- الخط المسند وثيقة للصلات الحضارية في تاريخ الجزيرة العربية القديم، في كتاب الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠١م.

٧- بيستون، وآخرون:

- المعجم السبئي، (إنجليزي، فرنسي، عربي) منشورات جامعة صنعاء، دار نتريان بيترز، لوفان الجديدة، دار مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.

٨- الجرو، أسمهان سعيد:

- موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، ط١، دار جامعة عدن، ٢٠٠٢م.

٩- الحسني، جمال محمد:

- الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، ط١، دار جامعة عدن، ٢٠١٤م.

١٠- دارل، كريستيان:

- المعابد، كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، معهد العالم العربي، باريس، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٩م.

١١- زارينز، يوريس:

- البحث التاريخي والأثري في محافظة ظفار (١٩٩٢- ١٩٩٤م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٥٢، بغداد، ١٩٩٥م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١٢- ساكز، هاري:

- عظمة بابل "موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة". ترجمة وتعليق: عامر سليمان، ط٢، لندن (١٩٦٦م)، والترجمة العربية (١٩٧٩م).

١٣- سعد، إبراهيم، مصطفى زايد وممدوح المصري.

- العمارة الرومانية، مصر، ذ.ت.

١٤- شعلان، عميدة:

- دراسة تحليلية لنقش سبئي على مبخرة، من وقائع ملتقى اليرموك السنوي الثاني لدراسات النقوش، جامعة اليرموك، أربد، الأردن، ٢٠٠٥م.

١٥- شيبمان، كلاوس:

- تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة فاروق إسماعيل، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، ٢٠٠٢م.

١٦- عربش، منير:

- معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (القرن 7 ق.م – 3 م)، حوليات يمانية (2)، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٣م.

١٧- عقيل، عزة علي وجان فرانسوا بريتون:

- شبوة عاصمة حضرموت القديمة، نتائج أعمال البعثة الفرنسية اليمنية، ط١، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ودار بيسان، بيروت، ١٩٩٦م.

١٨- علي، جواد:

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م.

١٩- عمشوش، مسعود سعيد:

- المكتشف هاري سانت جون فلبي ورحلته إلى حضرموت، ط١، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن ٢٠١٢م.

٢٠- فخري، أحمد:

- اليمن ماضيها وحاضرها، مراجعة وتعليق: عبدالحليم نور الدين، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م.

٢١- ليوكوك، رونالد:

- وادي حضرموت ومدينة شبام المسورة، ترجمة وزارة التربية والتعليم، عدن، أبريل، ١٩٨٣م.

٢٢- مطر، جواد:

- الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، جامعة عدن، دار الثقافة، الشارقة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٣-الموسوعة العربية الميسرة، لمجموعة مؤلفين، المجلد الثاني، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، صور طبق الأصل من مطبعة ١٩٦٥م

٢٤- موللر، والتر:

- الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف، صنعاء، ١٩٩٢م.

٢٥- منقوش، ثريا:

- قضايا تاريخية وفكرية من اليمن، دار العودة، بيروت، لا تاريخ.

٢٦- ميولين، فان در:

- رحلة في جنوب شبة الجزيرة العربية، ترجمة وتعليق وتقديم: محمد سعيد القدال، ط١، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٩م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٢٧- الندوي، محمد إسماعيل:

- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لا تاريخ.

٢٨- النعيم، نورا العبدالله:

- الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، في الفترة من (3ق.م – 3 م)، ط١، دار الشواف للنشر والتوزيع، العربية السعودية، ١٩٩٢م.

٢٩- هولفرتز، هانز: الجنوب العربي المنسي – الوديان والحضر والبدو، ترجمة محمود أبو سريع، مراجعة د.عاصم عطية علي، د. محمد بن هاوي باوزير، ط١، مركز عدن للدراسات والبحوث والنشر، عدن،٢٠١٨م.

٣٠- وزارة الإعلام:

- عمان في التاريخ، وزارة الإعلام، سلطنة عمان، دار أميل للنشر المحدودة، لندن، ١٩٩٥م.

31- Doe، B: Southern Arabia، Thames and Hudosn، London، 1971.

32- Sedov، A.v: Temples of Ancienct Hadramawt، Arabia Antica 3، Archaeoiological Studies، Edizioni plus، Pisa University، Press، Pisa. 2005.

33- Wilfred H.Schoff: The Periplus of the Erythraen Sea، New York، 1912.

A.Jamme: the al – Uqlah Texts (Documenatation 31 Sud – Arabe، 111)، Washington (the Catholic University of America Pres)، 1963.

ظاهرة دفن الجِمال في حضرموت قبل الإسلام

د. محمد عوض باعليان

قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة عدن

الجَمَل، بفتح الجيم والميم، هو الذَّكَر من الإبل، وقيل: إنَّما يكون جملًا إذا أَرْبَع أو إذا أَجْذَع، وقيل: إذا بَزَلَ أو إذا أَثْنى، والجمع أَجْمال وجِمَال. (ابن سيده، ١٩٩٦/ ٢: ١٣٧). كما ورد جمعها على (جِمَالات) في قوله تعالى: "جمالات صفر"، والجامِل هو قطيع الإبل مع رعيانها وأربابها كالبقر والباقر. (ابن منظور، د.ت: ٦٨٣).

شكّلت الجِمال والنُّوق عماد الاقتصاد العربي، واعتمد عليها سكان الصحراء في حياتهم، لهذا زاد الاهتمام بها حتى أضحتْ جزيرة العرب المركز الرئيس لتربية الإبل في العالم منذ القدم (حتي،١٩٩١: ٢١). وصارت الجمال مصدرًا عظيمًا من مصادر الثروة في العصر الجاهلي، فسمِّيت جموعها بـ(المال)، فكانت ثروة العربي تقدَّر بعدد ما يملكه من الجمال والنوق، بل حل الجمل محل الدرهم والدينار في عدة من المناسبات، فكانت مهور الفتيات وديات القتلى في حروب العرب قبل الإسلام مثلًا تُقدَّر بعدد من الجمال أو النوق، لذلك ميّز العرب هذا الحيوان باهتمام خاص، لدرجة أنهم كانوا يقومون بدفن الجمال والنوق في مقابر كمقابرهم، ومن خلال طقوس ربما تشبه طقوس الدفن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الآدمية، وقد عُرفت عادة دفن الجمال والخيل في بقاع كثيرة من شبه جزيرة العرب، ومنها منطقة حضرموت.

يتطرَّق هذا البحث إلى ظاهرة دفن الجِمال في مملكة حضرموت القديمة، في مبحثين: الأول يتناول تاريخ الجمل العربي وحيد السنام وعملية تدجينه من خلال البقايا المادية الدالة عليه في آثار جنوب الجزيرة العربية بصفة عامة، وأهمها البقايا العظمية للجمل التي تم العثور عليها في مناطق مختلفة من المنطقة، وتطرق المبحث الثاني إلى ظاهرة دفن الجمال من خلال نتائج البعثات الأثرية التي كشفت عن عدد من قبور الجِمال في مناطق متفرقة من هضبة ووادي حضرموت، إلى جانب التطرُّق إلى طقوس الدفن وأنواع المدافن، ونقوش المسند الجنائزية المتعلقة بدفن الجِمال في حضرموت.

أولًا: تاريخ الجمل العربي وحيد السنام (Dromedry):

تنتمي الإبل إلى الحيوانات الثديية المجترَّة، وتشكّل مع حيوان اللاما الأمريكي (Auchenia Lama) عائلةً واحدةً تُعرَف باسم (Camelidoe). وعُرف نوعان من الإبل؛ أحدهما بسنام واحد يُعرَف بالجمل العربي (Dromedry/Camelus Dromedarius)، والآخر بسنامين، ويُعرَف بالجمل البكتري (Bactrian Camel/ Camelus Bactrianus) نسبة إلى منطقة (Bactria) الواقعة في أواسط آسيا، التي كانت تضم شمال أفغانستان وقسمًا من جمهورية آسيا الوسطى، وكانت عاصمتها (Bactra) (الخريطة ذات الرقم1). وقد أثبتت دراسة المتحجرات أن كُلًّا منهما انحدر

من سلفٍ برِّيٍّ عاش في شمال أمريكا، ثم هاجر خلال العصور الجليدية إلى قارة آسيا عبر مضايق بورنغ الواقعة بين أمريكا وآسيا بعد تجمُّد مياهها بسبب الزحف الجليدي (الهاشمي،١٩٧٨: ١٨٨-١٨٩). وتابعت الإبل توغُّلها وانتشارها حتى وصلت إلى منطقة غرب آسيا وشمال إفريقيا، فاستقرَّ الجمل ذو السنامين في أواسط آسيا، فيما أكمل الجمل ذو السنام رحلته التي انتهت كما يبدو في الجنوب الغربي من أرض العرب، وقد تأقلمت الإبل مع مناخ المناطق الجديدة التي وصلت إليها، وبمرور الزمن اكتسب كل من الجمل العربي والباكتري صفات جسمانية تناسب البيئة التي عاش فيها، فجاء التركيب البيولوجي للجمل العربي ومواصفاته الجسمانية متناسبة مع مناخ الصحراء الجاف، في حين عاش الجمل ذو السنامين وتكيَّف مع المناخ البارد في أواسط آسيا.

ترجع أقدم البقايا الدالة على الجمل في المنطقة العربية إلى عصر البلايستوسين، فقد عُثِرَ على حفريّات أو متحجرات في الجزائر وفلسطين تبين أنها تخص الجمل بنوعيه (العربي والبكتري)، وقد دلت إلى جانب بعض الآثار من مناطق أخرى كالصين على أن الجمل لم يكُ صحراويًّا في تلك الحقبة، بدليل الكشف عن بقاياه مع متحجرات للفيل والجاموس والغزال في الطبقة الأثرية نفسها، والأهم من ذلك أنّ تلك المتحجّرات أشارت إلى أنّ الإبل كانت آنذاك برِّيَّة وليست مدجَّنة (الهاشمي،١٩٧٨: ١٩٧).

عرف العرب ثلاثة أنواع من الجمال، هي: الجمل ذو السنام الواحد، وهو عربي محلّي (Dromedary) تعود أصوله إلى بلاد العرب، وعُرف منه صنفان: أحدهما للركوب، والآخر للحمل، وهو حيوان متكيِّف تمامًا للعيش في مناخ الصحراء، ويتّصف بخُفٍّ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مستدير مناسب للسير فوق الرمال، ووبر قصير، وقوائم طويلة تجعل ارتفاعه يفوق المترين، وشاع استخدامه على نطاق واسع من منغوليا وشمال غرب الهند حتى جنوب أواسط آسيا وآسيا الصغرى، وصولًا إلى شمال وشرق إفريقيا وبعض مناطق أسبانيا (الهاشمي،١٩٧٨: ١٨٩). والنوع الثاني: الجمل ذو السنامين، ويُعرف بـ (Bactrian)، وهو دخيل قَدِمَ من جنوب تركمانستان، ويتميّز بحجم أصغر مقارنة بالجمل العربي، ولكنه أسرع عَدْوًا، وذو وبر طويل، وارتفاعه لا يتعدّى المترين (الهاشمي،١٩٧٨: ١٩٣؛ ابن سيده،١٩٩٦/ ٢: ١٦٣). وقد أكّدت الحفريات الأثرية معرفة النوع الثاني من الجمال في جنوب شرق الجزيرة العربية، إذ عُثِرَ في موقع تل أبرق في الإمارات العربية المتّحدة على مشط مصنوع من عظمة جمل من فصيلة (Bactrian) تؤرّخ لما بين (٢٢٠٠-٢٠٠٠ق.م) (Potts,1993:591)، كما عثر المنقّبون على بقايا عظام في قبور موقع مليحة في إمارة الشارقة، يرجّح أنها تنتمي لهذه للفصيلة نفسها (Uerpmann,1999:112). وفي اليمن لا يوجد دليل حتى الآن على معرفة هذه الفصيلة من الجمال، عدا العثور على تمثال من الطين المحروق (مجهول المصدر) تمّ شراؤه في صنعاء، ربما يمثّل جملًا بسنامين. أما النوع الثالث فهو الجمل الهجين، ويمتاز بأنه أقوى وأسرع وأكبر حجمًا من النوعين السابقين، ويرجح أنّه استخدم أكثر من غيره من الجمال في نقل البضائع لمسافات طويلة، ويرى العلماء أن هذا الجمل هجين بين الجمل ذي السنام والجمل ذي السنامين، وربما هذا ما يفسر معرفته في المصادر العربية باسم البُخت أو البُختي، وهي لفظة قريبة من لفظ (باكت = باكتري/ Bactrian) الدالّة

على الجمل ذي السنامين، وقد عُثر في مقابر مُليحة على ثلاثة هياكل عظمية لجمال هجينة كبيرة الحجم، وهو ما ذهب ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن جنوب شرق الجزيرة العربية ربما يكون أحد الأماكن التي دُجِّنَتْ فيها الجمال الهجينة، إلى جانب إيران وتركيا وأفغانستان وتركمانستان (Uerpmann,1999:108-111;Daems,2004:235). ويبدو أن هذا النوع من الجمال لم ينتشر في سائر بلاد العرب، ولم يُستخدم طويلًا؛ بدليل عدم وجوده في المنطقة حاليًّا، وفي اليمن لم يظهر حتى الآن دليل يدعم معرفة الجمل الهجين (Uerpmann,1999: 115).

●

بَقِيَت مسألةُ تعيين الزمان والمكان الذي دُجِّنَ فيه الجمل وحيد السنام مثارَ جدلٍ ونقاشٍ متَّصلٍ بين المؤرِّخين وعلماءِ الآثار الحيوانية، ونتج عن ذلك نشر عدَّةٍ من الدراسات[1] التي تعرضت لنتائج الأبحاث الأثرية والبقايا العظمية، إلى جانب إعادة بناء البيئة القديمة للمنطقة. وفي خضم ذلك؛ توصل الباحثون إلى فرضية تقول: إن الجمل دُجِّنَ في مكانٍ ما من جزيرة العرب في وقت مبكر من الألف الثالث قبل الميلاد (Vogt,1994:279).

(١)- يرى (Vogt) أن أهم تلك الدراسات وأكثرها شمولية لطبيعة العلاقة بين الإنسان والجمل هي الدراسة التي نشرها (R.Bullietin) سنة ١٩٧٥م، بعنوان (The Camel and the Wheel)، وقد أعيد نشرها سنة ١٩٩٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

والحقيقة أن المعطيات الأثرية تؤيِّـد هذه الفرضية، ففي ضوء اتفاق الدارسين على أن الجمال العربية المدجَّنة يعود أصلها إلى سلفٍ برِّيٍّ عاش في المنطقة قبل بزوغ الألف الثالث قبل الميلاد؛ أكّدت التقارير الأثرية أنَّ أقدم البقايا المادية والفنية الدالة على الجمل العربي بصورته البرية اكتُشِفَت في منطقة جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، ومنها الرسوم الصخرية والبقايا العظمية (Grigson et al,1989:359-360)، أما بقية الشواهد الأثرية المتعلقة بالجمل في المنطقة العربية فتعود لجمال مدجَّنة. وفي هذا السياق توصَّل الباحثون عبر عمليات التنقيب الأثري إلى كمٍّ من البيانات يؤيِّـد أن جنوب غرب جزيرة العرب هي الموطن المرجح الذي عاش فيه السلف البرِّي للجمل العربي قبل تدجينه، ولعل أبرز تلك الحفريات هو ما نفّـذته البعثة الأمريكية السعودية عام ١٩٨٠م على السواحل الجنوبية للبحر الأحمر في موقع سيحي الواقع على بُعد (٥٠) كم جنوب جيزان، وقد عثرت البعثة هناك على بقايا عظمية لجِمال، بعضها متفحم، ويتمثل أهمها في عظم من فَكٍّ جملٍ تم فحصه براديو كربون (Radiocarbon) وخضع للمعايرة[1] (calibrated date)، وأُرِّخ ما بين (٦٩٠٠- ٦٦٠٠ ق.م) (Grigson et al,1989:358-360)، ولكن العلماء واجهوا صعوبة في تحديد ما إذا كان ذلك الفك

(١) أرجع جهاز راديو كربون تاريخ الفك إلى ٨٢٠٠ قبل الآن، وبعد معايرة هذا التاريخ لوحظ أنه يقع في ضمن المنحنيات الزمنية المنشورة سنة ١٩٨٦م من قبل (Kromer) و(Stuiver) على أساس مقارنة حلقات شجرة بلوط من جنوب ألمانيا بشجرة صنوبر، وعلى هذا الأساس فإن تاريخ ٨٢٠٠ يساوي تاريخًا معياريًّا (أعلى) ما بين ٧٢٢٠-٧١٠٠ ق.م، أما التاريخ الأدنى فيتراوح بين ٦٩٠٠-٦٦٠٠ ق.م.

لجملٍ بسنام واحد أو بسنامين؛ نظرًا لاستحالة التفريق بين النوعين من خلال الفحص الكيميائي للعظام، غير أنَّ الخارطة الجغرافية للحيوان (zoogeographical) تُرجِّح أنَّه جمل وحيد السنام، وربما يكون وحشيًّا غير مستأنس، لا سيّما أنَّ دراسات الرسوم الصخرية في جنوب الجزيرة أكّدت وجود الجمل البري وحيد السنام منذ وقت مبكر من الألف الثالث قبل الميلاد، ومنها رسم صخري عُثِرَ عليه على بُعد نحو (٣٠ كم) شمال بئر حمى الواقعة على بعد (٧٥ كم) شمال نجران، يوضح عملية صيد جمل عربي، وربما يُعدُّ هذا الرسم من أقدم الشواهد المصوَّرة على وجود الجمل البرِّي في جزيرة العرب، ويؤكد فرضية أن الجمل وحيد السنام عُرِف في هذه المنطقة في حالته البرية قبل أن يُدجَّن، وفي وقت يسبق زمن معرفة الجمل المستأنس خارج جزيرة العرب، في إشارة إلى فرضية تدجين الجمل في بلاد العرب لأول مرة قبل انتشاره خارج حدود المنطقة (الحداد،١٩٩٢: ٤٤-٤٥).

وبناء على ما تقدم؛ نفترض أن الجمل العربي انتشر بعد تدجينه في جنوب الجزيرة العربية إلى بقاع الجزيرة الأخرى عبر اتجاهين. ينظر (باعليان، 44 : 2012) هما:

نحو الشرق -ربما بمحاذاة الساحل الجنوبي- حتى وصل إلى السواحل الشرقية من الجزيرة العربية، إذ عُثِرَ هناك على بقايا عظمية لِجمال في مواقع متعدّدة على سواحل الخليج العربي مثل موقع أم النار في عمان، التي كشف فيها عن بقايا عظام جمال أُرِّخت بنحو الألف الثالث قبل الميلاد، وفي تل أبرق بالإمارات العربية عُثِرَ على قبور جِمال أُرِّختْ بين (٩٠٠ و ٨٠٠ ق.م)، وضمَّت هياكل عظمية لجمال وحيدة السنام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يُرجَّح أنها مُدَجّنة (Vogt,1994:279). من هناك. ويبدو أن الجمل وصل إلى سورية وبلاد الرافدين مع الهجرة الأكادية من الجنوب خلال الألف الثاني، ولا سيما أنَّ فريقًا من الدارسين يرى أن الجمل العربي قَدِمَ إلى العراق وبادية الشام من السواحل الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية، وذلك استنادًا إلى بعض الإشارات اللغوية المسمارية العائدة إلى نهاية الألف الثالث ومطلع الألف الثاني قبل الميلاد، منها أن أهل العراق القدماء أطلقوا على الجمل اسم (حمار البحر) في إشارة إلى الصحراء أو الخليج (الهاشمي، ١٩٧٨: ٢١٣). إضافة إلى ذلك، وصف السومريون الجمل ذا السنامين عندما شاهدوه لأول مرة بأنه (ذو حدبتين) و(أجنبي)، أي قادم من الخارج، في إشارة إلى معرفتهم المسبقة للجمل العربي (ذي السنام). وهناك نص سومري يؤكد أن الجمل البكتري عُرِفَ مُدَجَّنًا، وهو ما يشير إلى أن الجمل العربي -الذي عرفوه في الحقبة نفسها أو قبلها بقليل- يُفترض أنه وصل إليهم بعد تدجينه (الهاشمي، ١٩٧٨: ٢١٤).

من ناحية أخرى؛ تشير بعض المعطيات اللغوية أيضًا إلى أن الجمل وصل أولًا إلى بادية الشام، ومن ثَمَّ انتقل إلى العراق، ومنه إلى مناطق أخرى[1]. ومنها أن لفظة (جملو) (كملو) في اللغة الأكادية إنما وردتْ إليها من العرب الذين كانوا يشكلون معظم سكان بادية الشام، وكان الجمل هو وسيلة النقل والركوب الأساسية لديهم (الحمد،٢٠٠٢: ٤٤٥)،

(١) تذكر بعض المصادر أن الجمل ذا السنام الواحد كان شائع الاستخدام للنقل والركوب إلى جانب ذي السنامين عند سكان خراسان والسهوب الواقعة شمال وشرق الهضبة الإيرانية: ينظر: نبيه عاقل، "دور الجمل والحصان في الفتوح العربية المبكرة"، ص ٣٨. (في قائمة مراجع الرسالة).

كما أشارت الوثائق السومرية إلى البوادي الشمالية للجزيرة العربية على أنَّها مناطق قَدِمَ منها الجمل (Daems,2004:235). أضف إلى ذلك وجود عدَّة من الشواهد الأثرية من الهلال الخصيب عكست طبيعة العلاقة بين عرب بادية الشام والآشوريين، مثل بعض المنحوتات من عهد تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق.م)، التي صوَّرت العرب مع جمالهم في مناسبات عسكرية ومدنية مختلفة (الهاشمي،١٩٧٨: ١٩٩-٢٠١).

كان نحو إفريقيا، إذ يتفق الدارسون على أن الجمل المدجَّن انتقل إلى أفريقيا من جنوب الجزيرة العربية (Shaw et al,1993:66). ويحتمل أن عملية الانتقال تلك تمَّت عبر شبه جزيرة سيناء، أو ربما سلك الجمل الطريق نفسها التي سلكتها الحيوانات المدجَّنة والدخيلة على جنوب بلاد العرب، ومنها الحمار (باعليان، :45 2012)، الذي انتقل في وقت سابق من القرن الإفريقي (الصومال) إلى العربية الجنوبية خلال الألف الخامس قبل الميلاد (رشاد،٢٠٠٧: ١٠٥).

من جانب آخر؛ ربط كثيرٌ من الباحثين تدجينَ الجمل بالبداية الحقيقية لاستخدام القوافل البرية في التجارة، ومنهم (Albright.W.F) و(De Maigret. A) الذين وضعوا فرضية أن تاريخ تدجين الجمل العربي حدث بين القرن الثاني عشر والعاشر قبل الميلاد؛ اعتمادًا على قرائن لغوية، منها: أن اسم (الجمل) لم يُعرَف في نصوص ماري أو في اللغة السومرية والأكادية وبقية لغات الشرق الأدنى القديم بما في ذلك الكتابة التصويرية السينائية قبل ذلك التاريخ (Albright,1957:165; De Maigret,1998:221).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

في حين يذهب (Michal Artzy) ببداية استئناس الجمل إلى مرحلة العصر البرونزي المتأخر في حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وربما أقدم (Artzy,1994:134-135)، وذلك بناءً على نتائج حفريات تل نامي في جنوب حيفا بفلسطين، الذي يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إذ عُثِرَ هناك على عيِّنات من المُرِّ واللبان في ضمن ركام الموقع (تل نامي)، تبيَّن أنها من النوع الذي كان يُستورَد من العربية الجنوبية على القوافل إلى الموانئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، كما تمَّ العثور في الموقع نفسه على كمية من المباخر المصنوعة من البرونز والفخار (Artzy,1994:133-139)، إلى جانب ما قدَّمته الباحثة (Paula Wapnish) التي عملت في تل الجيمة (Jemmeh) على الساحل الجنوبي لفلسطين، ولاحظتْ وجود عظام جِمال عربية مدجَّنة تعود لحقبة عصر البرونز المتأخر بين القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد (Artzy,1994:135).

من جانب آخر؛ يشير السِّجِل الأثري لجنوب الجزيرة العربية إلى وجود مجموعة عظمية لجِمال في ضمن مجموعات العصر الحديدي في مواقع صيهد، مثل: الجوبة، وهجر التمرة، والريحاني، تراوحت نسبتها ما بين (٢ و ٥٪) من مجموعة عظام الحيوانات المكتشفة، وهي نسبة متواضعة، وتقارب نسبة عظام الجمال المكتشفة في المواقع الواقعة عند الطرف الشمالي لطرق القوافل، مثل: تل الجيمة، وتل نامي.

ثانياً: ظاهرة دفن الجِمال:

عرف العرب ظاهرة دفن الإبل منذ القدم، فكان من المألوف العثور على بقايا حيوانات مختلفة كالجِمال مع الدفنات البشرية في ضمن قبر واحد في الجزيرة العربية (الحسيني،٢٠٠٩/ أ: ٩٠-٩١؛Blau et Beech,1999:40-41). ويعتقد البعض أن تقليد دفن الإبل لم يُمارَس خارج نطاق الجزيرة العربية سوى في مكان واحد فقط هو السودان في ضمن حضارة مروي، التي توافرت الأدلة الأثرية مؤخّرًا على ممارسة أهلها لتلك الظاهرة (سيدوف،١٩٩٩: ٢١٥). ومع ذلك عُثر في فلسطين وسوريا على أسنان وعظام جِمال أُرِّخت بمنتصف عصر البرونز المبكر، وترى بعض الدراسات أنها ارتبطت بممارسات جنائزية.

ويرى بعض الدارسين أن عادة دفن الجِمال لم تقدَّر زمنيًّا بدقَّة، ففي موقع مليحة وتل أبرق وأم النار جنوب شرق أبوظبي، وفي تل هيلي في سلطنة عمان؛ كشف الآثاريون عن قبور جمال أُرِّخَت بصفة عامة بحوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. (Grigson et al,1989,360; Vogt,1994:280). ويرى البعض أن هذه الظاهرة انتشرت تدريجيًّا على طول السواحل الجنوبية والشرقية لجزيرة العرب في الألف الأول قبل الميلاد (Breton,1998:154)؛ إذ أفضت الحفريات الأثرية في عدد من المواقع هناك إلى الكشف عمَّا يقارب خمسين قبرًا عُثِرَ فيها على عظام جِمال رجَّح الباحثون أن تكون من ذات السنام الواحد (رشاد،٢٠٠٧: ١٠٥)، ومنها (٢٥-٢٧) قبرًا توزَّعت على مواقع في الإمارات

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

العربية المتحدة، والبحرين، وقطر، وعُمان، والمملكة العربية السعودية، ترجع إلى ما بين القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي (Vogt,1994:280;Daems,2004:235).

وفي مدة لاحقة كُشِفَ عن قبور جِمال في قرية الفاو تعود للقرن الثاني الميلادي أو بعده بقليل، في إشارة إلى استمرار تلك العادة لقرون بعد الميلاد (الحسيني،٢٠٠٩/ أ :٩٠)، كما تم الكشف عن ما يقارب ثلاثين قبرًا للجِمال توزَّعت على مواقع في حضرموت والمهرة والجوف (Breton,1998:154;Frantsouzoff,2003:256)، ففي حضرموت كشفت البعثة الروسية في ثمانينيات القرن الماضي في ريبون عن سبعة هياكل عظمية مكتملة لجِمال، إضافة إلى قبرين في السوط (الجول)، هما عذيبة (٩)، وعذيبة (١١)، إلى جانب الكشف عن قبرَين في موقع (مقد سامر ١،٦) بوادي عَرَفْ، ضمّا ثلاثة هياكل عظمية لجِمال اثنان منها في قبرٍ واحد، وأُرِّخت جميعها بين القرون الثلاثة قبل الميلاد وبداية العصر الميلادي (Vogt,1993:2-3;Vogt,1994:281). وفي وادي عَرَفْ أيضًا كشف فريق مشترك من المعهد الألماني للآثار وهيئة الآثار اليمنية فرع حضرموت عن أربعة قبور في موقع (مقد العبية B17-B20)، ضمَّتْ بين جنباتها أربعة هياكل عظمية مكتملة لجِمال دُفِنَت في وضع (البروك) الطبيعي داخل قبور مستطيلة غُطِّيَتْ ببلاطاتٍ من الحجر (باعليان، :201283). أمَّا عن جنس الإبل المدفونة؛ فقد كانت نُوقًا وجِمالًا معًا، خاصةً في مليحة وموقع الدور التي تم التأكد من احتوائها على قبر ناقتين، في حين لم يتسنَّ تحديد جنس الإبل المدفونة في حضرموت (Uerpmann,1999:102-118;Daems,2004:235).

تدلُّ هذه الظاهرة على أن الجَمَل كان يحظى بمكانة خاصة في الحياة الدينية؛ نظرًا لارتباط تقليد الدفن بصفة عامة في حضارات الشرق القديم بالعقائد الروحية، ومنها البعث والخلود. ولا بد أنّ عمليات الدفن كانت مقترنة بطقوس معينة لم تتضح طبيعتها بعد، وأمَّا كتابات المسند فإنها لم تَـبُـحْ بتفاصيل عن الطقوس الجنائزية عمومًا، ودفن الإبل على وجه الخصوص (باعليان، 87: 2012)، باستثناء بعض الإشارات الدالة على دفن الحيوانات التي وردت في بعض النقوش المزبورة على النصب مثل لفظة (ب ل و ت)، التي يُعدُّ ذكرها على شواهد القبور دلالةً على وجود دفنة حيوانية مع الدفنة الآدمية (الحسيني،٢٠٠٩/ ب: ٧٢،جدول٤)، أما النقوش الجنائزية الحيوانية فهي نادرة، وأهمها يتمثل في نص حضرمي يصف عملية بناء قبر لأحد الجِمال، عثرت عليه البعثة الروسية اليمنية المشتركة سنة ١٩٨٤م في قبر كهفي رقمته بـ(٩٠٣) في منطقة الركبة بوادي دوعن، وحُدِّدَ تاريخه بنهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي (Frantsouzoff,2003:251).

وعلى الرغم من توافر الأدلة المادية على انتشار ظاهرة دفن الجِمال في بلاد العرب؛ فإنَّ أصل هذه العادة ما زال مجهولًا إلى اليوم، ولم يتَّضح بعدُ دورُ الجَمَل في الأعراف القبورية لسكان جزيرة العرب قبل الإسلام، ويعتقد بعض الباحثين أن السبب في ذلك قد يرجع إلى حداثة الكشف عن تلك الظاهرة التي لم تلقَ الاهتمام الكافي من الدراسة (سيدوف، ١٩٩٩:٢١٥؛ Vogt,1994:280). وقد حاول بعض الباحثين في هذا المجال الإجابة عن السؤال الآتي: هل كانت الجمال تُذبَح أضاحيَ (قرابينَ) للمعبودات؟ أم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أن قتلها كان تعبيرًا عن طقس معين (قتل طقوسي) لوضعها مع صاحبها في القبر مثلًا، باعتبارها نوعًا من الأثاث الجنائزي؟ (باعليان، :83 2012). ولمحاولة الإجابة عن هذا السؤال لا بدَّ من دراسة الخطوات المتَّبعة في تقليد دفن الجمال، كوضعية الجثَّة مثلًا، ورجَّح بعض الباحثين أن تلك الجمال ربَّما قُدِّمَت أضاحيَ للموتى، وشبَّهوها بما يُقدِّمه العرب المسلمون من أضاحٍ في مواسم الحج (Breton,1998:154-155)، في حين رفض البعض تلك الفكرة، وحجَّتهم في ذلك أن الحصان أيضًا كان يُدفَن في قبر سيِّدِهِ في حقبة لاحقة مع أنَّه ليس من حيوانات القرابين (Vogt,1994:281). ويعتقد البعض الآخر أنَّ التضحية بالجِمال في العربية الجنوبية قبل الإسلام لم تكن واضحة أو مؤكدة، إذ من المحتمل أنَّ الجِمال كانت تُذبح لاستهلاك لحومها، بالرغم من أنَّ دراسة بقايا العظام تُشير إلى أنها لم تُستهلَك بالكامل (Vogt,1994:284). وربط بعضهم ظاهرةَ دفن الجِمال بعادةِ ذبح الإبل على القبور تكريمًا للميت التي مارسها العرب قبل الإسلام، إذ كانت الجمال تُنحَر عند قبور عِلْيَةِ القوم؛ تمجيدًا لشجاعتهم وفروسيتهم (علي،١٩٩٣/ ٥ :٤٤٥). وتقليد الذبح عند الموت ما زال يُمارَس في اليمن، ولكن ليس بالضرورة عند القبر، ويرمي في الأساس إلى إطعام الناس الذين يحضرون مراسم الدفن. ويرجح بعض الباحثين أنَّ الأصل في هذه العادة هو إكرام الميت، فكلَّما زادت منزلة المتوفَّى كثرت الذبائح عند موته، وبمرور الزمن استعاض الناس عن الإبل ببقية الماشية كالغنم والبقر، وذلك كما يبدو لقلة أعداد الإبل وغلاء أثمانها، وأصبح من الشائع أن ذبح الجِمال دليلٌ على عظم المناسبة (باعليان،84 : 2012).

وقد قارن ('Henninger) بين القرابين الحيوانية التي كانت تُذبَح في شمال الجزيرة العربية وتلك التي ذُبِحَت في جنوبها، ووجد أن ذكور الحيوانات كانت هي المفضلة في جزيرة العرب عمومًا ما عدا الحصان، وكان أغلبها مدجَّنًا. وفي مناطق شمال الجزيرة فضَّل البدو قرابين الجِمال، أمَّا في الجنوب فقد قدمت بعض الحيوانات البرية قرابين مثل: الوعل، وبقر الوحش، وذلك لأسباب مختلفة، مثل الشفاء من المرض، أو تكريم الأسلاف الكبار، أو في الاحتفالات الدينية، أو الشكر على تلبية الحاجات الشخصية (Vogt,1994:284). أمّا (Vogt) فيرى أنّه لا يوجد دليل أثري يؤكِّد أن الجمال كانت تُقدَّم أضاحيَ أو قرابينَ للأسلاف أو للمعبودات (Vogt,1994:286)، ممَّا يعني أن تلك الجِمال دُفِنَت طبقًا لطقس ديني.

وبالرغم من عدم تأكُّدِنا من الهدف المقصود من ذبح الإبل قرابينَ؛ فإنّنا نرى أنَّ طريقة وأوضاع دفن الجِمال توحي بأنها ذُبحت وفقًا لطقس جنائزي مشابه للطقس المتبع في دفن الأشخاص مع اختلاف في الطريقة بين الطقسين، ويرجّح أن ذلك نابع من المكانة التي احتلتها الإبل في حياة مجتمع الجزيرة العربية؛ إذ ارتبط هذا الحيوان بحياة العربي وأصبح جزءًا منها، ومن ثم نال الجمل حظوة في قلب صاحبه كأنه جزء من أفراد أسرته، لهذا تمَّ دفنه بطريقة تشبه ما يُتبع في دفن الآدميين (باعليان، 84 : 2012)، فكان الجمل يوضع في القبر وفق طقس متعارف عليه، ويُودَع معه أثاث جنائزي متعلق به، مثل الأدوات الخاصة بالذبح؛ كالسيوف، والشفرات، والسكاكين، وربما قتب الجمل، ولكن الأخير لم يثبت وجوده، ربما بسبب سرعة تحلل المواد التي كان يصنع منها، وكانت تتكون عادةً من الخشب والجلد (Vogt,1994:285-287).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ويوحي سياق بعض نصوص المسند بأن الحيوان كان يحسب في ضمن المتاع الجنائزي للمتوفى؛ إذ يبدو أنهم كانوا يذبحون الناقة بعد وفاة صاحبها، ويُودِعونها في قبره في ضمن الأثاث الجنائزي للميت، وهو ما ذهب إليه (Sedov.A) في تعليقه على قبر الركبة في حضرموت، إذ يرى أن الإبل المذبوحة تمثِّـل نمطًا من أنماط الأثاث الجنائزي للميت، إذ كانت جمال المحاربين تُـنْحَرُ بعد موتهم مباشرة، وربما تُدفَن معهم في قبر واحد؛ تكريمًا لأصحابها، وتلافيًا لوقوعها في يد غيرهم (سيدوف، ١٩٩٩: ٢١٥). وفي سياقٍ ذي صلة؛ وردت رواية عن المؤرخ محمد بن حبيب صاحب مؤلف (كتاب المحبَّر) يقول فيها: "وكان الرجل إذا مات عمدوا إلى راحلته التي ركبها فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يديها، ملفوفة الرأس ... فلا تُعلَف ولا تُسقى حتى تموت؛ ليركبها إذا خرج من قبره، حتى لا يُحشَر ماشيًا على رجليه" (ابن حبيب، د.ت : ٣٢٣).

افترض الدارسون أنَّ عملية دفن الجِمال كانت تتمُّ بإحدى طريقتين؛ إمّا أنْ يُجلب الجمل إلى جوار القبر وتتم عرقبته (قطع عراقيبه)، ثُمَّ نحرُه، ووضعُه في القبر (سيدوف،١٩٩٩: ٢١٥)، وإمَّا أنْ يتم إرغام الجمل على دخول القبر ثم إناخته قبل نحره. ويرى البعض الآخر أنَّ الطريقة الأخيرة اتُّبِعَت في مقابر مليحة طبقًا للوضعية التي وُجِدَت عليها قوائم الجمال المثنية أسفل الجسم في وضع البروك الطبيعي (Breton,1998:155;Uerpmann,1999:104)، ويبدو أنَّ الطريقة نفسها اتُّبِعَت في دفن الجمال في حضرموت؛ إذ كُشِفَ في ريبون ووادي عَرَفْ عن جِمال دُفِنت وهي في

الوضع الطبيعي (باركة) (الصورة ذات الرقم٣،٢)، وكان رأس الجمل مشدودًا للخلف وقوائمه مثنية أسفل جسمه (Daems,2004:235Uerpmann,1999:104;)، وأحيانًا كان عنق البعير يثنى إلى جنبه الأيسر، وقد يقطع الرأس أو الرقبة ويوضع عند مقدمة أو مؤخرة الجسم، كما في موقع (مقد العبية B17،٤18) (باعليان،85 : 2012). وفي حالات أخرى يُدفن الجمل ممدَّدًا على أحد جنبيه، في حفرةٍ أكثر اتساعًا، وقد أثبتت المعطيات الأثرية أن الجمال قد تُدفَن كاملةً، أو يُكتفى بدفن نصفها أو أجزاء منها، ففي بعض الحالات كان الرأس يُقطَع ويُوضَع بين أرجُلِ الحيوان (Breton,1998:155)؛ إذ عُرِفَت بعض الأمثلة اختفت فيها رقبة البعير وجمجمته لأسباب ما زالت غامضة، وأحيانًا كان يُستبدَل بالرأس حجر أو حجران يُوضعان أمام الجثة، كما في قبور ريبون ووادي عرف (مقد العبية B20) (باعليان، 85 :2012؛ ١٥؛ Sedov,1996/ 2:125;Breton,1998:154). وهناك من يعتقد أن الأجزاء المفقودة من جثث الجمال المدفونة كانت تُستهلك من قبل أهل المتوفى، ويُدفن الجزء المتبقي من الجمل في ضمن طقس معين (Vogt,1994:281-284). وهذا يذكرنا بطقس تقديم قرابين الصيد المقدَّس في اليمن القديم، فقد كانت أجزاء من لحم الصيد تقدم قربانًا يُنذَر للمعبود، ويُؤكَل الجزء الباقي من الضحية. وفيما يتعلق باتجاه جثة الجمل المدفون؛ لم تُتبع طريقة موحدة في ذلك، فمثلًا نجد أنَّ جمال وادي عَرَفْ دُفِنَت وكانت رؤوس بعضها في اتجاه الشمال الشرقي، ومؤخرة الجسم في اتجاه الجنوب الغربي، كما في قبر (العبية B18)، وبعضها الآخر دُفِنَ في وضعية معاكسة، كما في قبر (العبية B17) (باعليان،. 86) : 2012.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

عُرِفَ نوعان من مدافن الجمال في منطقة حضرموت القديمة؛ أحدهما مكوَّن من حفرة في الأرض، أو منقورة في الصخر، تغطَّى عادة ببضع بلاطات من الحجر، تضمّ غالبًا جثة جمل واحد فقط، كقبور وادي عرف (مقد العبية B18-21) التي تكونت من حفرة مستطيلة أبعادها (١.٥×٢متر×عمق١.٥متر)، سُقفت ببلاطات حجرية بمقاس (١×١.٥متر) (باعليان،) 86 : 2012. وفي بعض الحالات كان يشترك الجمل مع جثمان صاحبه في قبر واحد، كما في ريبون ذي الرقم (١٧)، الذي ضم هيكلًا عظميًّا كاملًا لجمل في وضع البروك، إلى جانب جثة آدمية وُضِعَت في كُوَّة عُليا داخل القبر نفسه، وفي ضمن مساحة إجمالية أبعادها (٢.٨٠طول×٠.٧٥ ارتفاع×عرض٠.٩٠متر) (الصورة ذات الرقم 2،1) (Sedov,1996/2:125;Frantsouzoff,2003:256).

والنموذج الآخر من القبور هو الأكثر تطورًا، ويمثل نوعًا من العمارة القبورية دُعمت فيها جدران القبر بالحجارة، كما في قبر الركبة، وبعض قبور وادي عَرَفْ (سيدوف،١٩٩٩ :٢١٥). وهذه الأخيرة شبيهة ببعض قبور مليحة في الشارقة، إذ عثر الآثاريون على مقبرة خاصة بالإبل أُرِّخَت ما بين (٣٠٠ق.م-٢٠٠م)، وضمّتْ بعض قبورها جملَين، وبعضها دُفن فيه حصان وجمَل. وقد تميّزت مقبرة مليحة باحتوائها على بقايا عظمية لجمال بسنام واحد وأخرى هجينة، إذ احتوت ثمانية قبور جماعية على تسعة هياكل عظمية لِجمالٍ عربيةٍ وحيدةِ السنام، وُضعت بجوار بعضها في محيط واحد، بحيث احتوى أحد القبور (ذو الرقم ١٨) على هيكلَي جملَين، إضافة إلى قبر واحد برقم (١١)

احتوى على هيكلَي جملَين هجينَين بحجمٍ أكبرَ من الجمل العربي، وقبر آخر خصص لحصان وهو ذو الرقم (٤) (Uerpmann,1999:103).

تدل عملية دفن الجمال في اليمن القديم على أنها كانت تحظى بمكانة خاصة في الحياة الدينية؛ إذ ارتبط تقليد الدفن بشكل عام بالعقائد الروحية وبعملية البعث والخلود في حضارات الشرق القديم، ولا بد أنّ عمليات الدفن كانت مقترنة بطقوس معينة. وفيما يتعلق بكتابات المسند فقد صمتتْ -كعادتها- عن البوح بتفاصيل عن الطقوس الجنائزية عمومًا، ودفن الإبل على وجه الخصوص، باستثناء بعض الإشارات الدالة على دفن الحيوانات التي وردت في بعض النقوش المزبورة على النصب، مثل لفظة (ب ل و ت) التي يعد ذكرها على شواهد القبور دلالة على وجود دفنة حيوانية مع الدفنة الآدمية [الحسيني،٢٠٠٩/ ب،٧٢،جدول٤]، أمَّا النقوش الجنائزية الحيوانية فهي نادرة، وأهمُّها يتمثل في نص حضرمي يصف عملية بناء قبر لأحد الجِمال، عَثرت عليه البعثة الروسية اليمنية المشتركة سنة ١٩٨٤م في قبر كهفي حمل رقم (٩٠٣) بمنطقة (الركبة) في وادي دوعن، وحُدِّد تاريخه بنهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي [Frantsouzoff,2003,251]، وينص على الآتي:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

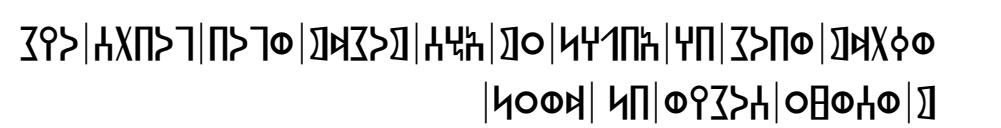

المعنى[1] **:**

كبيرهم من إل شهر بنى قبره وفقًا لالتزامه على نفسه تحت وفوق الأرض، وأثثه بخشب (السمر)، وربطه بعمودين من الحجر، (وأودعه) أدوات قبره.

وحفره وحصَّنه ضد المياه من الأسفل بحجارة (خشنة) مع أخيه مرشد بن إل.

وكمسئول عن تلك الأعمال مع أخيه مرشد وضع فيه الجمل، ووضع الأحجار حسب الطلب، وأجرى قناتين من دوعن.

ومن (وادي) غابر ونصب تذكارًا في السنة الرابعة ... من عهد فشحان.

التعليق:

تكمن أهمية هذا النقش في إشارته إلى دفن جمَل في قبر آدمي، وعلى الرغم من عدم العثور على عظام الحيوان؛ فإنّ السطر الثالث من النقش يشير إلى أنَّ صاحب القبر أودع بداخله جثة جمَل، وهو ما قد يعني أن الجمل دُفن قبل صاحبه بمدة وجيزة ربما لا تتعدى العام، ثم دُفن صاحب الجمل في المدفن نفسه [Frantsouzoff,2003,256]. ويتضح من سياق النص أنّ القبر بُني وفق هندسة معينة استخدمت فيها الأخشاب

(١) ترجمة النقش مأخوذة بتصرف من [Frantsouzoff, 2003, 253]

المدعمة بأعمدة من الحجر، إلى جانب تحصين القبر من المياه عبر تثبيت أساساته بالحجارة، ووضع فيه الأثاث الجنائزي، وكان عادة ما يرفق مع الإبل المدفونة بعض المصنوعات الحديدية المتعلقة بالذبح، مثل: السكاكين، والسيوف، وشفرات الحلاقة، وفي بعض مدافن ريبون عُثر على بعض الحلي، والأواني الفخارية، وربما السروج واللجام، وبعض الأواني الزجاجية [سيدوف،٢١٥،١٩٩٩]. ولا بدَّ أن تلك التجهيزات تعد إشارة إلى ارتباط دفن الإبل بعادات طقسية وجنائزية ذات طابع روحي متعلق بحياة ما بعد البعث.

والنص الثاني المتعلق بدفن الإبل هو النقش السبئي (RES4231) الذي ينص على الآتي:

𐩱𐩣|𐩧𐩱|𐩧𐩲𐩲𐩱|𐩦𐩻𐩧𐩧𐩣

𐩱𐩦|𐩲𐩧𐩣|𐩱𐩱𐩲𐩧𐩲|𐩣𐩤𐩣

𐩲𐩣𐩧𐩱|𐩻𐩲𐩧𐩧|𐩤𐩧𐩣𐩧|𐩦𐩧𐩣𐩧𐩧|𐩲𐩧

𐩱|𐩲𐩧𐩦|𐩻𐩣𐩧𐩱𐩲|𐩧𐩣𐩧𐩧|𐩧𐩦𐩧𐩦|𐩱

𐩻𐩲𐩧𐩧|𐩧𐩣𐩧𐩧|𐩣𐩧𐩻𐩦|𐩱𐩱𐩧𐩧

وترجمة معنى النص على النحو الآتي:

رئيسهم غيلان بن أب

رفع من بني هيبب أسسًا وبناءً

قبره في السنة التي نزل فيها بتالب

وكوَّن قبرًا لبَكْرٍ (جملٍ فتِيٍّ) وكانت كل

اللحود وأرض القبر نازلة (محفورة تحت الأرض).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

التعليق:

تاريخ النقش غير معروف، ويتحدّث صاحبه (غيلان) عن بناء مقبرة له ولجمل صغير (بَكْر)، وأشار إلى عمق القبر، وأنّ به لحودًا، ويلاحظ تشابه هذا النص مع نقش (الركبة)، إذْ يبدأ كلاهما بصفة (كبرهمو/ راسهمو)، أي (كبيرهم/ رئيسهم)، أمّا (تالب) فالمعروف أنّه أحد المعبودات اليمنية القديمة. ويحتمل أنّ صاحب النقش بنى مقبرته في أثناء قيامه بزيارةٍ (حجٍّ) إلى معبد تالب، وربّما يكون (تالب) اسم منطقة حل بها صاحب النقش.

ومن قتبان لدينا إشارة إلى قبر ناقة وردت في أحد النقوش القتبانية هو النقش (VL10)[Jamme,1972/3,67]، وهو على النحو الآتي:

|𐩢𐩠 𐩱𐩣𐩦|𐩠𐩢𐩨|𐩺𐩧𐩣𐩠|𐩺𐩦𐩺𐩱

|𐩨𐩣𐩵|𐩺𐩺𐩢𐩣𐩨𐩲|𐩠𐩨𐩣𐩵|𐩠𐩲𐩢𐩠|𐩺𐩨𐩧𐩲|𐩢𐩨

𐩲𐩨𐩢𐩢|𐩦𐩱𐩨|𐩺𐩧𐩦|𐩠𐩲𐩢𐩢𐩲𐩢𐩠|𐩺𐩥𐩧𐩨𐩢𐩨

المعنى:

حميش وراكل أبناء شرح ود

من عشيرة خليب بنوا وحصنوا قبرهما

وأودعوا ممتلكاتهم وناقتهم بداخله بناءً على أمر انبي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

التعليق:

يوجد تفسيران متقاربان لمعنى هذا النقش، الأول أورده (Ricks)، وفحواه بناء قبر لناقة [Ricks,1989,80]، والثاني قدمته (Avazini)، ولم تُعط فيه تفسيرًا لاسم (ا ب ل ت م)، فيما فسرت لفظ (ض ر ب) باسم للمقبرة [Avanzini,2004,102,No.73]، أما في المعجم القتباني فورد: ضرب (فعل) بمعنى (أودع/ ضمن) [Ricks,1989,79-80].

ومن خلال التمعن في قراءة النقش؛ أمكننا تفسيره على النحو الوارد آنفًا.

ويوحي سياق بعض النصوص بأن الحيوان كان يحسب من ضمن المتاع الجنائزي للمتوفى، إذ يبدو أنهم كانوا ينحرون الناقة بعد وفاة صاحبها، ويُودعونها في قبره في ضمن الأثاث الجنائزي للميت، وهو ما ذهب إليه (Sedov.A) في تعليقه على قبر جمل (الركبة) في حضرموت، إذ يرى أن الإبل المذبوحة تمثل نمطًا من أنماط الأثاث الجنائزي للميت، فقد كانت الإبل الخاصة بالمحاربين تُنحر بعد موتهم مباشرة، وربما تُدفَن معهم في قبر واحد؛ تكريمًا لأصحابها، وتلافيًا لوقوعها في يد غيرهم [سيدوف،٢١٥،١٩٩٩].

وفي سياقٍ ذي صلة وردتْ رواية عن المؤرخ محمد بن حبيب صاحب (كتاب المحبَّر) يقول فيها:" وكان أكثر العرب يؤمنون بالبعث، وكان الرجل إذا مات عمدوا إلى راحلته التي ركبها فيوقفونها على قبره معكوسة رأسها إلى يديها، ملفوفة الرأس ... فلا تُعلف ولا تُسقى حتى تموت؛ ليركبها إذا خرج من قبره، حتى لا يحشر ماشيًا على رجليه".

[Frantsouzoff,2003,256 نقلًا عن: ابن حبيب ،٣٢٢،١٩٤٢-٣٢٣].

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100081702225

الخاتمة:

يستنتج مما تقدم أن منطقة جنوب غرب جزيرة العرب هي الموطن المرجح الذي دُجِّن فيه الجمل ذو السنام في نهاية الألف الثالث أو بداية الثاني قبل الميلاد، طبقًا للعثور على أقدم بقاياه في تلك المنطقة، ومنها انتشر الجمل المدجَّن في باقي أجزاء الجزيرة، وصولًا إلى بادية الشام والعراق، بل توغل إلى القرن الأفريقي، ربما عبر شبه جزيرة سينا.

ويوضح البحث تفرُّد الجمل بأهمية خاصة في شعائر الدفن في حضرموت القديمة؛ إذ تم الكشف عن عدد من مدافن أو قبور الجمال في عدَّة من الأماكن في هضبة الجول، ووادي عَرَفْ، ومستوطنة ريبون في وادي حضرموت، إذ تشير المعطيات الأثرية إلى أن دفن الجمال كان يتم وفق طقوس محددة تشبه الطقوس المتبعة في دفن الآدميين، فكان يوضع مع الجمل في قبره أثاث جنائزي؛ كالشفرات، والسكاكين، والرماح، وربما القتب، وتم تقدير عمر تلك المدافن ما بين القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي. وربما كانت الجمال المدفونة تنحر في اليوم الذي يتوفى فيه صاحبها، وتُدفَن معه في قبره؛ لئلا يركبها أحدٌ بعده. وعلى الرغم من ثبوت دفن الجمال والنوق في شرق الجزيرة العربية؛ فإنّه لم يتم التأكد من ذلك في مقابر الجمال في حضرموت.

الاختصارات العربية:
ت= توفي
د.ت= دون تاريخ
سم= سنتيمتر
ص= صفحة
ط= طبعة
ق.م= قبل الميلاد
كم= كيلو متر
م= ميلادي
هـ= هجري
الاختصارات الأجنبية:
AAE = Arabian Archaeology and Epigraphy
AD = After date (Christ).
B.C = Before Christ.
C.14= Radio-Carboun14
JRAS= journal of the Royal Asiatic Society.
OJA= Oxford Journal of Archaeology.
P = Page..
PSAS = Proceedings of the Seminar for Arabian Studies.
RES = Repertoire d´epigrphie Semitique , Tome.V-VII.
VL = The Van Lessen collection of South-Arabian Inscriptions and Antiquities,in:Jamme,1972,III, P. 2-69..

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الخرائط والصور

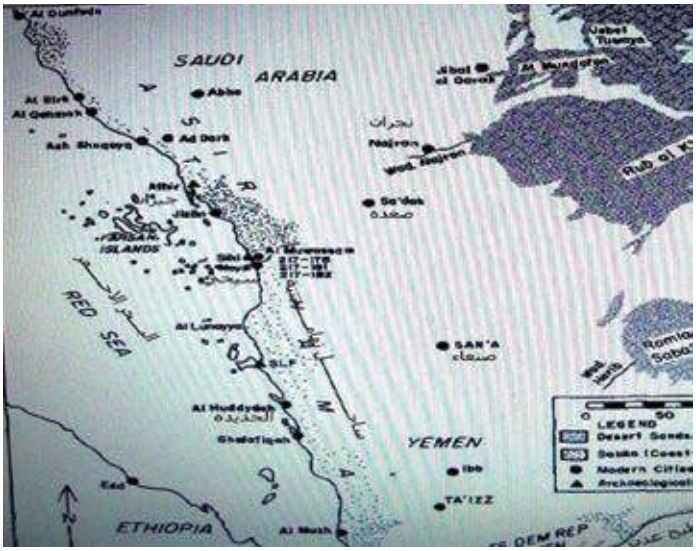

الخريطة ذات الرقم ١: توضح الموطن الأصلي للجمل ذي السنامين.

المصدر: Potts,1993,fig.1:

الصورة ذات الرقم ١: قبر جمل في ريبون.

المصدر: د/ عبدالعزيز جعفر بن عقيل.

الصورة ذات الرقم٢: هيكل جمل

مكان العثور: ريبون قبر رقم ١٥ ، التاريخ:القرن الثاني

المصدر: Sedov,1996/2, 127,fig.6

الصورة ذات الرقم ٣: قبر كهفي لجمل

مكان العثور: ريبون-حضرموت ، التاريخ:القرن الثاني

المصدر: سيدوف،٢١٥،١٩٩٩

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

قائمة مراجع البحث:

١- المراجع العربية:

- **باعليان، محمد عوض.**

٢٠١٢م: حيوانات النقل والحرب في اليمن القديم-دراسة في ضوء النقوش والآثار، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، جامعة عدن، كلية الآداب.

- **ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ).**

د.ت: كتاب المحبَّر، صححه: إيلزه نيختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- **حتي، فيليب.**

١٩٩١: العرب، تاريخ موجز، دار العلم للملايين- بيروت، ط٦.

- **الحداد، فتحي عبد العزيز.**

١٩٩٢م: التشكيلات الحيوانية في اليمن القديم، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة الزقازيق- مصر.

- **الحسيني، صلاح سلطان.**

٢٠٠٩م-أ: طرق الدفن والأثاث الجنائزي في اليمن القديم، موقع الحصمة -شقرة، دراسة تطبيقية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عدن.

٢٠٠٩م-ب: الحيوانات في اليمن القديم – دراسة أولية، مجلة المتحف اليمني، العدد ٣، الهيئة العامة للآثار والمتاحف - صنعاء، ص٦٨-٧٢.

- **الحمد، جواد مطر.**

٢٠٠٢م: الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في اليمن القديم، إصدار دار الثقافة العربية- الشارقة وجامعة عدن.

- **رشاد، مديحة.**

٢٠٠٧م: التسلسل الزمني وأنماط فن الرسوم الصخرية، في: فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ، إخراج مديحة رشاد وماري إينزان، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية – صنعاء، ص٩٩-١١٢.

- **ابن سيده، إسماعيل بن علي الحسن (ت٤٥٨هـ).**

١٩٩٦: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- **سيدوف، إلكساندر.**

١٩٩٩م: مقابر الإبل في: اليمن، في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عرودكي، مراجعة: يوسف محمد عبدالله، معهد العالم العربي، باريس، ص٢١٤-٢١٥.

- **عاقل، نبيه.**

١٩٩٣م: دور الجمل و الحصان في الفتوح العربية المبكرة، دراسات تاريخية، عدد ٤٧- ٤٨، ص٣٧– ٤٦.

- **علي، جواد.**

١٩٩٣م: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط ٢.

- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ).**

د.ت: لسان العرب، دار المعارف–القاهرة.

- **الهاشمي، رضا جواد.**

١٩٧٨م: تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الآثارية والكتابات القديمة، مجلة كلية الآداب بغداد – ملحق للعدد ٢٣، ص١٨٥-٢٣٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٢- المراجع الأجنبية:

Albright. W.F.,
1957:From the Stone age to Christianity, New York.

Artzy. M.,
1994: Incense, Camels and **C**oulerd rim Jars: Desert Trade routes andMaritime Outlets in the Second Millennium, OJA.13, P.121-147.

Avanzini. A.,
2004:Corpus of South Arabian Inscriptions 1-III, University of Pisa Press.

Blau. S. et Beech. M.,
1999:One Woman and her Dog: an Umm an-Nar example from the United Arab Emirates, AAE.10, P.34-42.

Breton. J. F.,
1998:Arabia Felix from the Time of the Queen of Sheba. Eighth Century BC to First Century AD, University of Indiana Press.

Deams. A.,
2004:The Terracotta Figurines from ed-Dur (Umm al-Qaiwain, U.A.E.),The Human Representations,AAE.15, P.92–104 .

De Maigret.Al.,
1998: The Arab Nomadic People and the Cultural Interface Between The Fertile Crescent and Arabia Felix, AAE.10,P.220-224 .

Frantsouzoff. S.A.,
2003:The Hadramitic Funerary Inscription from the Cave-Tomb at al-Rukbah (Wâdï Ghabr, Inland Hadramawt) and Burial Ceremonies in Ancient Hadramawt, PSAS.33,P.251-265.

Grigson. C. and John. A. Gowlett and Zarins. J.,
1989:The camel in Arabia, direct radiocarbon date,calebrated to about 7000BC, JRAS.16, p.355-362.

Jamme. A.W.F.,
1972:The Van Lessen Collection of South-Arabian Inscriptions and Antiquities, in: Miscellanees D'ancient Arabe III,University of California, P.2-57.

Potts. D.T.,
1993:A new Bactrian Find From Southeastern Arabia,

Ricks. S.D.,
1989:A Lexicon of Epigraphic Qatabanian, Edit. Rice Pontifici Istitut, Roma.

Sedov. A.V.,
1996: Raybun Settlement (1983 -1987 excavations) Preliminary Reports of the Soviet Yemeni Joint Complex Expedition Vol.II, Instittute of Oriental studies Russian Acamemy of sciences, Moscow, Publishing firm,Vostochnaya Literatura.

Shaw. Th et Sinclair.P., Anadah.B. et Okpoko.A., (ed.).,
1993: The Archaeology of Africa, food, Metals and Towns, Shaw et al (ed.), Routledge, London.

Uerpmann. H.P.,
1999:Camel and Horse Skeletons from Protohistoric Graves at Mleiha in the Emirate Of Sharjah (U.A.E.),AAE.10,P.102-118.

Vogt. B.,
1993:Phase3 of the Masila Block Archaeological survey,(unpublished).

1994: Death, Resurrection and the Camel, in: Arabia Felix,Festschrift. W.Muller, Geburtstag, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden,P. 279-290.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

فنون الرسم والنحت
وتطورها في حضرموت القديمة

د. حسين أبوبكر العيدروس

مدخل:

لا شك أن الفنون تعد من أهم المصادر التاريخية، فهي المرآة العاكسة لمختلف جوانب الحياة على ممرِّ العصور، بل كانت أساس المصادر في دراسة عصور ما قبل التاريخ على وجه الخصوص. فقد أمدّتْنا بالكثير من المعلومات عن الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فمن خلالها تعرَّف الباحثون على بعض رسوم وتماثيل ما عُرِف بالإلهات والحكام والشخصيات المميزة في المجتمع، بالإضافة الى معرفة هيئات أجسامهم والوضعيّات المتكرِّرة التي ربما تكون ذات صلة شبه مؤكّدة تتعلَّق بـالشخصيات (المقدسة أو الرسمية) وما في حكمها، بالإضافة إلى أنّها أوضحتْ بعض المعلومات الأخرى مثل الملابس، والأدوات، والأسلحة، والرموز والشعارات، والنباتات، والحيوانات، والطيور، التي يستخدمونها أو يتعاملون معها في حياتهم، وصولًا إلى الكثير من ملامح تفكيرهم وعقائدهم، إلى غير ذلك من المعلومات المهمَّة التي يمكن الوصول إليها.

وحسب عِلْمِنا فإنَّ موضوع دراسة الفنون في حضرموت القديمة بشكل خاص لم يُدرَسْ دراسةً منهجيةً في بوتقة متكاملة بعد، ورُبّما تمّت دراسة نماذج لبعض القطع الفنية

-من مُدَد مختلفة- سواء تلك التي كانت تأتي عن طريق نبش المواقع الأثرية، أم عن طريق المسوحات والتنقيبات الأثرية المنظمة من قِبَل البعثات العلمية التي عَمِلت في حضرموت.

وحتى نستطيع أنْ نُـلِـمَّ بمختلف الفنون التشكيلية؛ علينا أنْ نحدِّدَها في ضمن إطارات زمنية/ تقنية، ونضعَ لها هيكلًا تفصيليًّا على النحو الآتي:

وتحت هذا الإطار الزمني تنضوي جميع الفنون التي أُنْتِجَت في مرحلة ما قبل التاريخ، وأقدم ما لدينا يعود للعصر الحجري الحديث (حوالي ٨٠٠٠ سنة)، مثل:

١. **الرسوم الصخرية:** وهي الرسوم التي يتمّ عملها على مختلف الصخور في مواقعها الأصلية، مثل الجبال والأودية والصحاري وعلى قارعة الطرقات القديمة، وظهرت من هذه الفنون أساليب متنوعة منها: رسوم ملونة، نحت غائر، طرق، حك.

٢. **تماثيل حجرية صغيرة:** ومن هذا النوع أُنْتِجَتْ عددٌ من التماثيل التي ربما استُخْدِمَتْ لأغراضٍ عقائدية تتعلّق بالتقرُّب إلى ما عُرِف بالإلهات التي كانت تُعبَد فيما قبل التاريخ، والتي عادة ما تتعلق بالرزق (هطول المطر، إنبات الشجر)، وكثير منها يخصُّ ما عُرف بـ(إلهات الخصوبة، الأمومة)، وقد تأتي على أشكال متباينة، أبرزها تماثيل نسوية بدينة ذات ملامح محدودة جدًّا، وربما يبرز شيء من الأعضاء التناسلية رمزًا للخصوبة والحياة، ومن نماذجها تماثيل: (وادي عِدِم، وموقع راوك).

٣. **تماثيل نحت جزئي (شواهد قبور):** ومن هذا النوع الذي برز خلال العصر الحجري النحاسي والعصر البرونزي في وادي حضرموت والهضبة، أنتجت خلاله نماذج من

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

شواهد القبور تجسِّد شخصيات ذكورية ذات ملامح محدودة جدًّا، تم التركيز خلالها على الشكل العام للجذع، وملامح للوجه ذي اللحية، وذراعَيْنِ، وحزام يشدُّ منطقة الخصر، وُضِعَ عليه خنجر (جنبية) بشكل مائل وسكين صغير. ولم تظهرْ أية نماذج نسوية في هذه الشواهد.

خلال عصر الكتابة ظهرت نماذج متعدِّدة للرسوم الصخرية متلازمة مع كتابات بخط المسند الجنوبي والخط الثمودي، يمثل تسجيل ذكريات متواضعة لأسماء أشخاص ربَّما يتعلّق بالقوافل التجارية والأحداث الحربية وغيرها، وهذه النماذج ظهرت على أشكال مختلفة منها:

١. **رسوم ونقوش (كتابات) صخرية:** ظهرت في مواقع الرسوم والنقوش الصخرية المنتمية لهذه المرحلة بأساليب متنوّعة، مثل: الرسوم والكتابات الملوّنة غالبًا باللون الأحمر (ألوان المَغرَّة)، أو بالطرق، أو بالحكّ، أو بالحزّ.

٢. **رسوم ملونة على الأواني الفخارية:** لم يكن الإنسان في حضرموت القديمة ينتج أدوات منزله الفخارية بغرض استخدامها للطباخة أو لحفظ المواد أو تقديم الطعام فيها فحسب؛ بل كان يضفي عليها السمات الجمالية كالتلوين بخطوط متقاطعة، أو معيّنات، أو مربعات، أو بشكل أمواج أو خطوط متقطعة بارزة، أو بأشكال رسوم لها علاقة بحياته اليومية، فظهرتْ منها نماذج رائعة من موقع ريبون بوادي دوعن تمثل رسومًا للوعول.

٣. **رسوم محزوزة على المعادن:** تظهر بعض الأواني والمعدّات والأدوات المصنوعة من المعادن، مثل البرونز، التي تم تشكيل هذه المواد بها، تظهر عليها بعض الزخارف ذات الأشكال البسيطة، مثل الحزوز في أشكال خطوط متنوعة.

٤. **تماثيل حجرية، رخامية، برونزية:** من العصر التاريخي تظهر أنواع متعدِّدة من التماثيل، التي تمثل في شكلها أشكالًا آدمية أو حيوانية أو زخارف نباتية أو زخارف هندسية، ووجدت الكثير من التماثيل المنحوتة على الأحجار الكلسية (الأكثر انتشارًا واستعمالًا في حضرموت بحكم طبيعة المنطقة)، ومنها تماثيل الوعول ورؤوس الثيران التي تتكرّر في موائد القرابين. كما تمّ النحت أيضًا على الألباستر والرخام الأبيض المائل للاصفرار، بالإضافة الى تشكيل المعادن وأبرزها البرونز.

٥. **تماثيل طينية صغيرة (تراكوتا):** انتشرت التماثيل الإهدائية الصغيرة المصنوعة من الطين والطين المحروق، التي تمثل بعض الحيوانات، مثل: الوعول، والأبقار، وبعض الدُّمَى الآدمية، ويمكن الإشارة إلى أنه تمّ العثور على مثل هذه التماثيل بكميات كبيرة، منها في منطقة الجوف شمال اليمن بشكل خاص.

٦. **زخارف الزينة المنحوتة (حجرية، خشبية، جصية):** انتشرت الزخارف المنحوتة على البلاطات الحجرية بوجه خاص، والمستخدمة في المباني الدينية القديمة (المعابد)، وتمثل زخارفها أشكالًا هندسية متنوعة، أبرزها ما عُرف بـ(البوابات الوهمية)، بالإضافة الى الزخارف النباتية وأشهرها زخارف ورق وعناقيد العنب، كما ظهرت أنواع أخرى خلال العصر الميلادي، وبنهاية القرن الخامس الميلادي وبدء القرن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

السادس تظهر نماذج من فنون ممزوجة بتأثيرات خارجية، أبرزها ساسانية وبيزنطية، تظهر نماذجها في (حصن العر)، فقد تزيّنت تيجان الأعمدة برسوم حيوانية وآدمية مع أدوات صيد وحرب في مشاهد صيد غير مألوفة في تاريخ الفن القديم في حضرموت.

٧. **النقوش الكتابية:** وخلال العصر التاريخي انتشرت تدريجيًّا أنواع وأشكال مختلفة من الحروف المعروفة بـ(المسند)، كُتبت بطرق متعدِّدة، منها الأفقية من اليمين إلى اليسار، وأخرى أفقية من اليسار إلى اليمين، وأخرى عمودية، وأخرى في داخل أشكال إطارية متنوِّعة، بيضاوية وأشكال غير منتظمة، وبمواد مختلفة بعضها بالألوان الحمراء والسوداء والبيضاء.

لو تطرّقنا لهذا الموضوع بإسهاب فإن الأمر يحتاج إلى كتب ذات أجزاء متعدِّدة، ولهذا فإننا سنقتصر على خطوط عريضة فقط، ومن أراد الاستزادة فالمراجع بهذا الخصوص كثيرة. فمن المعتقد أن نشأة الفنون أساسًا قد ارتكزت على عاملين أساسَيْنِ، كان لهما الأثر الواضح في تشكُّل الفنون وتطوُّرها عبر التاريخ في مختلف مناطق العالم، وهما:

- **الجانب الديني (العقائدي):** منذ أن نشأ الإنسان وهو يتفكّر فيما حوله من ظواهر لم يجدْ لها تفسيرًا يقنعه، ومن شدّة حيرته كان يضع لها تفسيرًا يرتبط بأقوى الكائنات، وتارة بأقوى قوى الطبيعة، وكل هذا جعله يصل إلى قناعة بأن يُسلِّم الأمر لها اتقاءً لشرِّها، ودَرْءًا لمخاطرها، فنشأ الاعتقاد وتطوَّر عبر آلاف السنين، حتى تحوّل إلى طقوس عُبِدت

فيها أصناف كثيرة من الحيوانات ومن القوى والمظاهر، مثل: (الشمس، القمر، النجوم، الماء، البحر، الريح، النار). وهكذا ظهر ما عُرف بـ(الأديان الوضعية)، واستمرّتْ حتى وقتنا الحاضر في بعض البلدان. وفي حضرموت عُرِفَت بعضُ المقدَّسات مثل (سين، شمس، عثتر، حميم، أليم، موتر، حول).

- **الجانب الميثولوجي (الأسطوري):** ارتبطت العقائد بالأساطير التي نشأت لإعطاء تفسير للظواهر الغريبة، ومنح الشخصيات المتميِّزة من حيث (القدرات، القوة، السيطرة، التحكم، إلخ) مكانة خاصة، كالكهنة ثم العبادة، ووصلت في أقصاها إلى الألوهية، ولذلك ظهرتْ فروع أخرى مثل: السحر والشعوذة والخرافات والملاحِم والقصص الشعبية، التي توثّق وتسجّل أحداثًا وشخصيات، تجمعُ بين الواقعية والوهمية، وكانت من نتائج ذلك وانعكاساته على الفنون وجود نماذج لرسوم أو منحوتات خرافية (كائنات أسطورية تجمع بين هيئة الآدمي والحيوان)، ومن نماذجها لوحة من موقع الغُرف التاريخي لفرسٍ مُجنَّح. وكان نصيب المعابد من هذه الفنون هو الغالب بشكل مُميّز. وسيطرتْ رسومُ الحيوانات ومنحوتاتُها على أغلب هذه الفنون، وتميّزتْ أنواعٌ محدّدة على غيرها بكثرة التمثيل.

وبالنسبة للفنون في حضرموت القديمة يمكن تصنيفها إجمالًا إلى ثلاثة أقسام رئيسة، بناءً على طابعها وطرق صناعتها أو السمات الفنية لها، وهي:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

١. فنون محلية: أنتجت في حضرموت نفسها، وتحمل سمات محلية خاصة.
٢. فنون مختلطة: أنتجت في حضرموت، لكن تأثرت بطابع خارجي.
٣. فنون منقولة: فنون مستوردة من خارج اليمن، ومنها مصرية، أو من بلاد الرافدين، أو يونانية رومانية، أو بيزنطية أو ساسانية، ...).

وممّا يذكر أنّ أحد ملوك حضرموت قد استورد تماثيلَ برونزية من اليونان في نحو القرن السادس قبل الميلاد (عقيل ٢٠١٠: ٣٧). ولذلك فقد انتقلت الكثير من أسماء المعبودات الأكثر شهرة في مناطق الشرق القديم إلى بلاد جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، ومنها على سبيل المثال (سين، عثتر، ...).

تم عمل هذه الفنون سواء رسوم أو تماثيل في الأصل لِـتُـقَـدَّمَ بصفتها إهداءات نذرية، فكانت مُكرَّسةً لِمَا عُرِفَ بالآلهة كما تفيد بذلك النقوش المدوَّنة على بعضها، ووضع بعضها في المقابر مثل مقابر (غيل بن يُمين) و(الهضبة الجنوبية)، وأخرى وُجِدَتْ بين أنقاض مبانٍ قديمة من العصر البرونزي كما هو في موقع (راوك)، والتي ربّما تتعلّق بما عُرِف بإلهات الخصب والمطر، و في الحقبة التاريخية منها ما يتعلّق برسم أو نحت الكائنات الأسطورية، أو طقوس الصيد كما في نحت (حصن العر) ورسوم (البرقة) و(جوجة) وغيرها التي تمثِّل مهمّتها كما فسّرها بعض الباحثين، وهي الحماية والحراسة، وأن أجنحتها القوية تتخطّى المسافات الطويلة، بالإضافة إلى رمزيتها كحَـدٍّ فاصل بين الحياة والموت (عقيل ٢٠١٠: ١٦٢).

اكتَشَفَت البعثة اليمنية السوفيتية المشتركة عددًا من مواقع عصور ما قبل التاريخ في حضرموت، من بينها موقعان يحتويان على أدوات حجرية، يعود تاريخها إلى عصر أولدواي (Oldvai)، وهو أقدم مرحلة من مراحل العصر الحجري، إلى جانب الكشف عن أول آثار لكهوف من العصر الحجري القديم، يتم العثور عليها في الجزيرة العربية (غريازنيفسكي ١٩٨٨: ٢٢٣، ٢٢٤)، أبرزها "كهف القزة" و"كهف الأمير"، في وادي "دوعن" بغرب حضرموت.

يعود "كهف القزة"، بناءً على الأدوات الحجرية القديمة، إلى البلايستوسين الأدنى والأوسط، أي منذ ٧٠٠,٠٠٠ سنة من الوقت الحاضر (Amirkhanove 1991: 221,222 :1994 ;343؛ أمير خانوف ١٩٨٤: ١٧، ١٨؛ ١٩٨٥: ٢٤، ٢٥؛ ١٩٨٦: ١٤). غير أنه لا وجود لأية رسوم على جدرانه. كما كشفت البعثة الفرنسية في الجول الشمالي (وادي وعشة) أقدم وأكبر ورش لتصنيع الأدوات الحجرية، تعود للعصر الحجري الحديث. ثم تأتي أقدم الرسوم الصخرية التي تمّ الكشف عنها في أعالي (وادي بن علي)، وتمّ تأرختها إلى العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠ سنة)، وتمثل رسومًا ملوَّنة لطبعات الأيدي.

هناك فجوات كبيرة في تاريخ الفنون في حضرموت القديمة، لا سيّما في عصور ما قبل التاريخ، وما زالت غير واضحة تمامًا، وربَّما يشير ذلك إلى وجود هجرات طويلة، والأمر ما زال قيد البحث والدراسة. أمّا خلال العصر التاريخي فقد تنوَّعت الفنون

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

بشكل يُمكن معه معرفة أصولها ومصادرها والتأثيرات التي ظهرت في بعضها، في حين تجسَّدت الفنون ذات الطابع المحلي، وظهرت نماذج متعدِّدة منها، مثل الرسوم الصخرية (رسم، نقش، كتابة)، وفنون الرسم على الفخار وغيره، وفنون النحت على الحجر والرخام والخشب، وزخارف تزيين العمارة، وفنون صب البرونز بأنواعها المختلفة.

الرسوم والنقوش الصخرية: ينقسم هذا الفن على مرحلتين:

١. **مرحلة ما قبل التاريخ:** اقتصرت هذه المرحلة على وجود رسوم آدمية وحيوانية ونباتية ورموز.

٢. **مرحلة العصور التاريخية:** بدأت تظهر خلال هذه المرحلة حروف الكتابة، ثمَّ تطوّرتْ وتنوَّعتْ أشكالها وتعبيراتها والأدوات التي كتبت بها، واستمرَّ في الوقت نفسه ظهور الرسوم الأخرى إلى جانب الكتابات، وكانت في بعض الأوقات تفسر الرسوم أو الرموز.

رسوم صخرية بأساليب مختلفة: تنوّعتْ أساليب تنفيذ الرسوم والمواد التي يتم التنفيذ بها، ومن الأساليب:

١. الحفر الغائر، الطرق، الحك، الحز.

٢. الرسوم الملونة.

الرسم بالألوان على الفخار: من النماذج الجميلة التي تدلُّ على رقيِّ الفن وتطوُّره في حضرموت القديمة؛ تلك الكسر الفخارية التي استُخْرِجَتْ من حفريّاتِ موقع (ريبون)، عليها رسوم وعول رُسِمَتْ باللون الأحمر.

النحت في حضرموت القديمة: عرف الحضارمة منذ عصور ما قبل التاريخ فنون النحت بأنواع متباينة، منها: النحت الكامل، والنحت الجزئي، وأبرز ما تركوه لنا في النحت الكُلِّي تلك التماثيل الصغيرة التي تمثل أشكالًا آدمية من موقع (راوك)، تعود للعصر البرونزي، ومن نماذج النحت الجزئي تماثيل الشواهد القبورية من العصر الحجري النحاسي من مواقع مثل (مواقع غيل بن يُمين، موقع بايوت، موقع عَرَف، موقع سُونَة).

وخلال العصر التاريخي لا شك أنَّه قد تطوَّر فنُّ النحت من حيث ازدياد المواد، ومن حيث التقنية، ومن حيث رمزية المنحوتات، فظهرتْ منحوتاتٌ رخامية وحجرية وتماثيل فخارية وأخرى معدنية، بالإضافة إلى كثرة استخدام النحت للزينة المعمارية ولأدوات مختلفة الاستخدام، مثل: الموائد والمطاحن والمساحق وغيرها. وعُرِف النحت الجزئي مثل: نحت شواهد القبور، ونحت اللوحات الجدارية، بالإضافة إلى المساند المكتوبة بخط المسند، الذي اتّخذ أشكالًا مختلفة، تطوّرَ خلالها رسم الحروف تطوُّرًا منضبطًا، بحيث استدل الباحثون على تطوُّرِه في تأرخة المواقع والأسماء والأحداث، وتمّ تشكيل وصب البرونز لعمل الأواني المنزلية والمعدات والتماثيل المتنوعة (الآدمية والحيوانية)، مختلفة الأحجام (الصغيرة والكبيرة)، بأشكال وأساليب فنية متنوعة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

الخـاتمـــــة:

تُـعَـدُّ الفنون من أهم مصادر كتابة التاريخ، وما زلْنا نطمح إلى المزيد من البحث الدقيق والمتخصص في مجال الفنون بشكل عام، ففيها تكمن الكثير من المعلومات المهمّة التي يسعى الباحثون للحصول عليها.

وما استعرضناه هنا ليس إلّا النَّزْرَ اليسيرَ ممّا يمكن أن يحدِّدَ لنا الخطوط العريضة لأهمية الفنون في قراءة التاريخ، فهي المعطيات التي تربطنا بالمعتقدات القديمة والأساطير التي كان لها الأثر البالغ في حياة الشعوب القديمة. ففي حضرموت القديمة وغيرها من المناطق الأخرى شهدتْ تطوُّرًا ملموسًا في شتّى مجالات الحياة، ومنها الفنون التشكيلية بمختلف فروعها وتقسيماتها، ومن الواضح أنّها كانت تمتلك صلات بمناطق أخرى أبعد مثل بلاد الرافدين ومصر وبلاد الشام وبلاد الإغريق والساسان، فضلًا عن اتصالها بالمناطق القريبة من محيطها الجغرافي في شبه الجزيرة العربية، التي تشترك معها في كثير من السمات مع وجود سمات خاصة بها.

خلال هذا العرض تمّ التطرُّق لنماذج مختارة ومتنوّعة وبارزة، ولم تستعرض كلَّ التصنيفات، أو الموجودات والمعثورات في حضرموت القديمة؛ بحكم اتساع الرقعة الجغرافية والحقبة الزمنية، واقتصرنا على منطقة جغرافية محدَّدة وهي (وادي حضرموت والهضبة)، في حين استبعدْنا من هذا العرض الإطار الجغرافي المعروف لحضرموت القديمة، الذي يضمُّ المناطق الساحلية ومناطق شبوة غربًا، وصولًا إلى ظفار شرقًا،

وكذلك جزيرة سقطرى، وكل تلك المناطق تزخر بالكثير من الفنون المتنوعة، مما سيجعل المادة واسعة لا تتسع لها صفحات المجلات المحدودة.

نأمل من الباحثين في هذا المجال التركيز على دراستها دراسة مفصلة، وربطها بالمواقع الأثرية، فمشكلة دراسة الفنون في اليمن القديم تكمُن في أنَّ معظم القطع الفنية قد جاءت بطرق غير شرعية، أو بطريقة غير علمية، فأكثرُها جاء عبر نَـبْـشِ المواقع، ممَّا أفقدَها أهميّتها العلمية، وربّما أدّى إلى التشكيك في مصداقية انتمائها الثقافي.

وأخيرًا نأمل أن يقدِّم عرضُنا هذا فكرةً ولو يسيرةً عن تصنيف الفنون في حضرموت القديمة، التي تعطي فكرة عن تطوُّرِها منذ عصور ما قبل التاريخ حتى ما قبل الإسلام. كما أنّنا لم نتوسّعْ في مسألة التأرخة أو مناقشة الأساليب الخاصة بالصناعة، فهذا الموضوع يحتاج إلى كثير من الوقت والمساحة لموازنة الأدلّة وبرهنتها؛ لأن المؤثرات في فنون حضرموت متعدِّدة، ومنها على سبيل المثال ما هو من بلاد الرافدين، ومصر، واليونان، وفارس، وغيرها. ونأمل أن نكون قد قدّمْنا عرضًا يُلقِي بعضَ الضوءِ على ملامح هذه الفنون، يرمي الى إنعامِ النظر وتسليطِ الضوءِ علَيها من جديد، فهي بحاجةٍ إلى إعادةِ قراءةٍ مرَّةً أخرى.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

صور لبعض فنون الرسم والنحت

لوحة الطائر الخرافي

لوحة الوعل والكلب

رسم من جوجة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

المدن والأماكن الحضرمية في نقشَيْ IR 31/32
(أواخر القرن الثالث - مطلع القرن الرابع الميلادي)

أحمد صالح الرباكي

مركز الرناد للتراث والآثار والعمارة – تريم

مقدمة:

خلال العصر البرونزي بدأ الاستقرار في جنوب شبه الجزيرة العربية في القرى الزراعية الأولى بدلًا من النظام المعتمد على الصيد، وعلى الرغم من أنَّ هذا التحوُّلَ بطيءٌ واستغرق نحو ألف عام؛ فإنّه خلال ذلك قد قامت حضارة بهذه الأنحاء، وشُيِّدَتْ مُدن ومستوطنات على ضفاف الأودية حيث التربة الخصبة والمياه، وعلى المرتفعات الجبلية المطلَّة على القيعان الخصبة، فكانت الزراعة إلى جانب التجارة -إذ أسّسَتْ هذه المدن على طريق التجارة ومرور القوافل- سببًا مُهِمًّا في إنشائها[1] ، فقد كانت الأعمال الزراعية تطلب جُهدًا جماعيًّا لاستمرارها ممّا أدّى إلى استقرارهم.

وكان للتجارة أثرٌ مُهِمٌّ في قيام وازدهار المدن في جنوب شبه الجزيرة العربية، وخاصة تجارة البخور الذي تنمو أشجاره في أراضي مملكة حضرموت، وتُنقَل عبر

(١) الأغبري: فهمي علي، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير، ١٩٩٤م، ص ١.

الطريق البرِّي المعروف بطريق اللبان، والذي كان يمُرُّ بالمدن المقامة على الوديان الشرقية لعِدَّةٍ من الأسباب، منها: توافر المياه بها، وتجنب المرور بجبال المرتفعات الغربية في الهضبة الغربية، إذْ تشير مواقع المدن إلى أنّ خطَّ سيرِ القوافل كان مُحَدَّدًا ومضبوطًا[1] عبر طرق رئيسة وطرق فرعيَّة منها البرية والبحرية، وكان لزامًا أنْ يَمُرَّ عبرَ تلك المدن حتى لو اقتضى الأمر أنْ يطولَ تفادِيًا للضرائب[2].

وإلى جانب الزراعة -المرتكز الرئيس لنشوء تلك المدن[3] وكذلك التجارة- كانت هناك عواملُ أخرى أُخِذَتْ بعين الاعتبار عند اختيار مواقع المدن والمستوطنات، وأهمُّها العامل الجغرافي، فيُتخيَّر الموقع الجغرافي المناسب ذو الأرض الخصبة المروِيَّة بنُظُمِ رَيٍّ، والعامل العسكري المعني بتوفير الأمن والأمان، فتؤسّس المدن في أعلى الوادي وفي أسفله؛ لفرض سيطرتهم الكاملة على مداخل الوادي ومخارجه، وتتوافر فيه الحماية أو يسهل الدفاع عنه، سواءً من خطر الفيضانات أم من هجمات الأعداء، والعامل الاقتصادي المتمثّـل في موقع المدن على طرق التجارة وشبكة الطرق بينها وبين محيطها الاستهلاكي لسلعها الإنتاجية[4].

(١) الأغبري: مرجع سابق، ص٥ -٦.

(٢) نفسه، ص ٦.

(٣) حبتور: ناصر صالح ؛ وحسين: أسوان محمد، عامل نشوء المراكز والمدن في اليمن القديم، مجلة سبأ، جامعة عدن، عدن، العدد (١٨ -٢٠) أبريل ٢٠١٣م، ص ١٤٩.

(٤) الأغبري: مرجع سابق، ص ٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والمدن التي نحن في سياق ذكرها قامتْ على مجرى وادي حضرموت الرئيس، الذي يحتل المرتبة الثالثة بين أودية الجزيرة العربية من حيث الطول بعد وادي الرملة والدواسر، فيبلغ ١٦٠ كم، ومساحته تبلغ ١٣١٢٦٥ كم٢، وقد قامتْ مدنٌ في هذا الوادي كوَّنَتْ حضارةَ مملكةِ حضرموت. وقد حفلت النقوش بذكرِ عددٍ من مدن هذه المملكة، لعلَّ أقدمها نقوش القرن السابع قبل الميلاد(١)، ويذكر نقشٌ قتبانيٌّ عائدٌ إلى القرن الرابع الميلادي أنَّ قتبان دَمَّرَتْ في هجومٍ لها على وادي حضرموت أكثر من (٣٠٠) مدينة! وإنْ كان الرقم مُبَالغًا فيه غير أنَّه يدلُّ على ازدهار المدن في وادي حضرموت، وضراوة تلك المعارك التي وقعتْ بين حضرموت وقتبان(٢).

إنَّ النقوش الحضرمية التي عُثِرَ عليها قليلة جدًّا، مقارنة بالنقوش السبئية، وما هو موجود لا يعطي للباحث صورة واضحة عن القرون التي سبقت الإسلام، وحتى النقوش السبئية التي تتناول تاريخ حضرموت أعدادها محدودة، ومن بينها ما عثر عليها بمأرب مثل إرياني ٣١،٣٢، وجام ١١٦،٦٤٣،٦٥٦،٦٦٥، ونقش حصن الغراب.

(١) حبتور: ناصر صالح، أسماء الأماكن في نقش عبدان الكبير، مجلة سبأ، جامعة عدن، العدد (١٨ – ٢٠) أبريل ٢٠١٣م، ص ٥٦.

(٢) عربش: منير؛ والسقاف: عبدالرحمن، نقش جديد من عهد يدع أب ذبيان يهنعم ملك قتبان ويدع أب غيلان ملك حضرموت، حولية ريدان، العدد (٧) عام ٢٠٠١م، ص ١١٤.

نقشي (إرياني)31 , 32 IR[1]:

تتحدَّث هذه النقوش عن الحملات العسكرية على حضرموت في عهد الملك ذمار علي يهبر الثاني ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت.

يتحدَّث النقش الأول عن حملة القائد لفعثت يشع المرحبي، في حوالي القرن الثالث ـ بداية القرن الرابع الميلادي، ويذكر النقش مُـدُنًا ومستوطناتٍ حضرميةً تعرّضت لهجمات هذه الحملة مثل: صوران، وعقران، ومريمة، وشبام، وتريم، وبعدها يذكر النقش جملة (وكل هجرن وسررن حضرموت)، أي كلّ مدن ووادي حضرموت.

أما النقش الثاني فيتحدَّث عن حملة القائد سعد تالب الجدني، كبير أعراب ملك سبأ، وكبير كندة ومذحج وحرام وباهل وزيد إيل وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنت، في بداية القرن الرابع الميلادي، وقد كانت القوة التي تحت إمرته مكونة من ثلاثمائة محارب من سبأ، وثلاثمائة محارب من الأعراب، ويعدِّدُ النقش المدن الحضرمية التي تعرَّضتْ للهجمات، بدءًا بصوران في غرب حضرموت، ثم شبام ورطغة وسيئون ومريمة وحدب وحصن أهلان، وانتهاءً بتريم ودمون ومشطة وحصن كليب في الشرق، وهكذا هاجم جميع مدن حضرموت ووديانها، وكانت حصيلة المعارك قتل ألف وثلاثمائة محارب حضرمي، وجرح سبعمائة، وأسْر ثلاثة آلاف. وسوف نقف مع هذين النقشين في ذكرهما لهذه المدن والمناطق:

(١) الإرياني: مطهر علي، نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٢، ١٩٩٠م، ص ١٩٢ – ٢٠٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

أولًا: النقش إرياني ٣١ جام ٦٥٧:

نص النقش بالمسند:

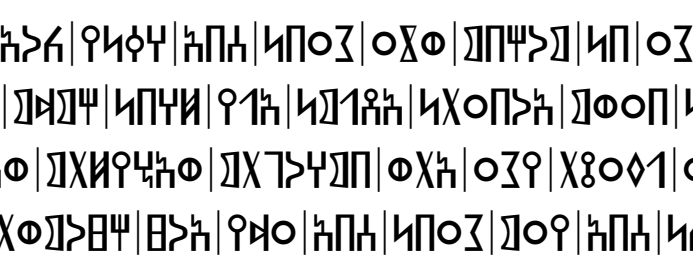

لفعثت / يشع / بن/ مرحبم / وزع/ شعبن/ سبأ / هقني/ مرأهمو / المقه ثهون/ بعل أوم / اربعتن / اصلمن / الي / ذهبن / حمدم / بذت / خمر / عبدهو / لفعثت / يشع / أتو / بمهرجتم/ وأخيذتم / وسبيم / وغنمم / يكن / سبأ / يعم / شعبن / سبأ / عدي / أرض / حضرموت / يكن / وقههو / مرأهمو / ذمرعلي / يهبر/ ملك / سبأ / وذاريدان / وحضرموت / ويمنت / لسبأ / عدي/ صوأرن / وعقرن / وشبوت / ورطغتم

/ ومريمتم / وترم / وكل / هجرن / وسررن / حضرموت / وخمرهمو / المقه / اتو / يوفيم / وحمدم / وبمهرجتم / وغنمم / وحجن / كستوكل / بعم / المقه / ولوزا / خمرهمو / نعمتم / ووفيم / وحظي / ورضو / مراهمو / ذمرعلي / يهبر / ملك / سبأ / وذي ريدن / وحضرموت / ويمنت / ولخمرهممو / أثمر / وافقل / صدقم / ولهعنهمو / ين بأستم / ونكيتم / وعدقم / وشصي / شنأم / بالمقه ثهون بعل اوم.

محتوى النقش:

هذا هو (لفعثت يشيع المرحبي) من بني مرحب، وهو حاكم قبائل (سبأ)، وهو يتقرب إلى سيده (المقه، ثهوان، بعل أوام) بأربعة أصنام من البرونز الذهبي؛ حمدًا له لمنه على عبده (لفعثت يشيع)، بما عاد به من نصر وقتل للعدو مع الفيء والسبي والغنائم، وذلك حينما قاد قبائل (سبأ) في حملة ضد (حضرموت)، كان سيده الملك (ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) قد أمره بشنِّها لمهاجمة (صوأران) و(عقران) و(شبوة) و(رطغة) و(مريمة) و(تريم) وكل مدن والسرير ووديان حضرموت، ولقد منَّ عليه (المقه) بالنصر والعودة بسلام وحمد ومقتلة للعدو وغنائم جاءت مطابقة لما كان أمله من (المقه)، ويدعو (المقه) أن يستمر في منحه النعمة والسلامة والحظوة والرضا عند سيده الملك (ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)، وليجودن عليه بالثمار والغلال الوفيرة، وليجنبنه من كل بأساء ونكاية، ومن شرور كل عدو حاقد، متوسِّلًا بحق (المقه ثهوان بعل أوام)[1].

(١) الإرياني: مرجع سابق، ص ١٩٢ – ١٩٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يتحدَّث هذا النقش الذي نشره مطهر الإرياني عن الحملة العسكرية التي قام بها لفعثت يشع المرحبي في نحو نهاية القرن الثالث ـ بداية القرن الرابع الميلادي ضد حضرموت بأمر من ملكه ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت، ويذكر النقش المدن والمستوطنات الحضرمية التي تمَّت مهاجمتها، مثل: صوران، وعقران، وشبوة، ورطغة، ومريمة، وتريم[1].

أرض حضرموت المذكورة بالنقش (٣١) والواردة في كثير من النقوش المقصود بها أرض مملكة حضرموت القديمة وأرض حضرموت القبيلة، كما هو الحال في لفظة أرض سبأ وأرض حميرم[2]، فقد أدَّت الجغرافيا دورًا مهمًّا في صنع أحداث تاريخ مملكة حضرموت على امتدادها الزمني والجغرافي، ولمعرفة هذا الدور كان لزامًا تتبُّع الأماكن التي عاصرت تلك الأحداث، فبعضها بقي بقاء الأرض نفسها، وبعضها اختفى اسمُهُ عن التداول في عصرنا، وحفظته مؤلفات الأوائل كالهمداني، ثم أكَّدته النقوش، على سبيل المثال موقع صوران، وهي مدينة قديمة ذكرتها النقوش المكتشفة حديثًا، قال عنها في الصفة إنها "في أنحاء الكسر" اختفت، ولم يبق منها إلّا اسمٌ يُسمَّى به مسيال ماء من فروع وادي دوعن، ومن المعلوم أنّ نقوش المسند السبئية والحميرية ذكرت الكثير من المواقع الحضرمية وإنْ كان في سياقٍ عسكري[3].

---

(١) الإرياني: مرجع سابق، ص ١٩٣.

(٢) بافقيه: محمد عبدالقادر، توحيد اليمن القديم، ترجمة: علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٦٠.

(٣) بافقيه: توحيد...، مرجع سابق، ص ١٦١ – ١٦٢.

والمواقع التي نحن بصَدَدِ ذكرها ووردتْ في النقشين المشارِ إليهما جميعها تقع في وادي حضرموت، الذي تقع بدايته في أطراف رملة السبعتين، وإنْ كان يمتد طبيعيًّا ومورفولوجيًّا إلى منخفض الجوف، ويبلغ أقصى اتساعه في منطقة الكسر بنحو خمسة عشر كيلومترًا، ويضيق تدريجيًّا حتى يبلغ عرضه نحو كيلومترين في ما وراء تريم حتى مصبِّه في بحر العرب بالقرب من سيحوت[1].

وهذا الامتداد الطولي من الغرب إلى الشرق أدّى إلى أنْ يتغير اسمُه عند ساكنيه من موضع إلى آخر (الكسر ثم السرير فالمسيلة)، التي تطلق على القسم الأخير منه، والذي يبدأ بعد تريم، إذ يبدأ ظهور مياه الوادي على السطح، ويبدأ الوادي في الانعطاف تدريجيًّا نحو الجنوب الشرقي[2].

وقد أشرْنا سابقًا إلى العوامل التي أدَّت إلى قيام المدن والمستوطنات في وادي حضرموت، فانتشرت المدن والقرى والحصون على ضفاف الوادي الرئيس وفروعه، وبعضها ما يزال عامرًا يحمل الاسم القديم الوارد في النقوش، وبعضها وإنْ تغير اسمه فهو يقع على مقربة من موقع قديم كما تدلُّ الخرائب المجاورة، خاصة في قسمي الكسر والسرير، إذ دارت فيهما معظم الأحداث التي تحدثت عنها النقوش[3].

---

(١) بافقيه: توحيد...، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢)بافقيه: محمد عبدالقادر، حضرموت القبيلة والوادي في النقوش وعند الإخباريين، مجلة المنتدى، العدد (٨)، دبي، مايو ١٩٩٠م، ص٨؛ وبافقيه: توحيد...، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٣)بافقيه: توحيد...، مرجع سابق، ص ١٦٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المدن والأماكن:

من أهم مدن الكسر، أحد أجزاء وادي حضرموت في الجنوب الغربي من منطقة هينن الحالية، بينها وبين منطقة العجلانية في المكان المقام فيه قرية العادية المسمّاة اليوم بعادية بن عيفان، والواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة هينن بنحو ثلاثة كيلومترات، تقع مستوطنة صوران القديمة المشار إليها في النقش بأنها أول المدن الحضرمية التي هاجمها الجيش السبئي، وقد زارها ثلاث مرات فون ويسمن في الأعوام (٣١ – ٣٩ – ١٩٥٨م)؛ ليتمكن من تحديد موقعها على خريطة رسمها للمنطقة، ولا يختلف تحديده عن تحديد بيستون وبافقيه لموقع صوران[١].

وأمَّا ياقوت الحموي فقد خلط بينها وبين (ضروان) الواقعة على بُعد نحو أربعين كيلًا شمالًا، وهي المنطقة التي أشار إليها القرآن الكريم، وظهرت بها النار التي أحرقت زرع أصحاب الجنة، فقال: "صوران قرية للحضارمة باليمن، بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلًا، خرجتْ منها النار فثارتْ بالحجارة وعروق الشجر حتى حرقت الجنة التي ذكرت في القرآن الكريم (إنّا بلوْناهم كما بلوْنا أصحابَ الجنة)"[٢].

ويؤيد احتمال موضع المستوطنة بهذا المكان عدة من الدلائل[٣]:

---

(١) فرانتسوزوف: سرجيس، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، ترجمة: عبدالعزيز بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م ص ٢٥٠. وبارباع: مرعي مبارك، منطقة الكسر في وادي حضرموت، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤م، ص ١٢٨.

(٢) الإرياني: نقوش...، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٣) سرجيس: تاريخ...، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

١- بقايا التلال الأثرية التي تقوم قرية العادية على إحداها، وتنتشر على سطح هذه التلال بقايا جدران المساكن وآنية الخزف المختلفة التي تعود حسب أنماطها إلى أحقابٍ قديمة، تشمل عدةً من القرون قبل الميلاد حتى العهد الإسلامي المبكر على أقل تقدير.

٢- إطلاق الأهالي اسم (صوران) على الأراضي المحيطة بالتلال الأثرية، وكذا على أحد الوديان المتفرِّعة عن مسيال وادي دوعن الواقع على بُعدِ أمتار من هذه المستوطنة.

٣- ذكر الهمداني (القرن العاشر الميلادي) لصوران في كتابه صفة جزيرة العرب بوصفها قرية صغيرة في عهده تسكنها تُجيب من كندة، وقد ذكرها في معرض تعداده لبلدان كندة من أرض حضرموت، إذ ذكر أوَّلًا مدينة هينن، ثم ما يقع بعدها بالترتيب إلى الجنوب من المستوطنات الكندية مثل صوران، وقشاقش (التي لا تزال أطلالها قائمة حتى يومنا هذا بالقرب من قرية قارة آل ثابت في الضفة العربية لوادي الكسر)، وعندل (مع مخرج وادي عمد)، والهجرين (مع مخرج وادي دوعن).

ويرى بطرس غزيازنفتش أنَّ موقع صوران هو ما يُعرف اليوم بمستوطنة (بير أحمد) المقابلة لواديَي رخية ودُهر على خط عرض ٤٧.٥٠ درجة، وخط طول ١٥.٤٤ درجة، وذلك نتيجة لقيامه بالاستكشافات التاريخية الجغرافية للمنطقة في أثناء عمل البعثة اليمنية الروسية المشتركة في عام ١٩٨٥م. ولكن الأبحاث الأخيرة لآثار مستوطنة (بير أحمد) ونقوشها لم تؤكد هذا الرأي[1].

(١) سرجيس: تاريخ...، مرجع سابق، ١٢١

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد حفلت نقوش المسند بذكر صوران في كثير منها، من أهمها (CIAS 39.11/03no.4=YM349،MAFRAY=al-mi'sal4،Ir32،Ir31،CH334/18)، فهي تحتل موقعًا جغرافيًّا إستراتيجيًّا مهمًّا يجعلها تتحكَّم في الطرق التجارية التي تتَّجه من مناطق وادي حضرموت إلى العاصمة شبوة، وإلى قنا ميناء مملكة حضرموت عبر وادي دوعن. أمَّا سياسيًّا فقد شهدت المدينة أحداثًا تأتي في طليعتها ثورة أحرار يهبئر عام ٢١٧م تقريبًا، فقد وقفتْ قبيلة يهبئر وذو هجرم، وقبائل جدمم والصدف، وكل قبائل الكسر، وبعض قبائل وابوت حضرموت، ومناصروهم من قبيلة مهرة، ووصفوا إجمالًا بحضرموت، ضد الملك العزيلط الذي تمكن على ما يبدو من إخماد ثورتهم بعد معارك خاضها ضدهم بدعم من حليفه شعر أوتر ومعه ناصر يهحمد بن معاهر قيل ردمان وخولان، رغم وصول الثوار إلى العاصمة شبوة ابتداء من مدينتهم صوران[1]، ويهبئر قبيلة حضرمية قديمة ذكرت في نقوش قبل الميلاد[2].

ومن صوران اتجه الجيش الحميري نحو عقران.

قال ناشر النقش: "لا أعرف عنها شيئًا، والعقر اسم لعدة أماكن في غير هذا الموقع"[3]. في حين أنه في الواقع تقع مستوطنة عقران المذكورة في النقش في الموضع نفسه للقرية المسماة اليوم بعقران والواقعة قرب بلدة حذية في مديرية القطن على بعد (٧) كم جنوب شرق مدينة شبام، وعُثِرَ خارجها على بقايا مبنى يمثل معبدًا يقع

(١) بارباع: منطقة الكسر...، مرجع سابق ص ٧٤ – ٧٧.

(٢) عربش: نقش...، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) الإرياني: نقوش...، مرجع سابق، ص ١٩٤.

شرق المستوطنة، وقد شُيِّد على مصطبة حجرية مستطيلة أبعادها ١٢×٢٥م، ولم يتبقَّ منه سوى أسسه الحجرية، وعُثِرَ فيه على النقش RES 3512، وهو عبارة عن مذبح، ويسجل إهداء للإله (سين ذي أليم)، ومن ثَمَّ فإن المعبد كُرِّس للإله (سين ذي أليم)[١]. وتوجد بالقرب منه أطلال معبد قديم تعرَّض للخراب الشديد، كما يبدو أنَّ الحصن القائم اليوم في القرية قد بُنِيَ على أكمة أثرية، وقد استُخدمت بعض حجارة المباني القديمة في بناء منازل القرية الحالية[٢].

{ } ويثير الاستغراب ذكر مدينة شبوة بعد عقران، إذ إنّه من المنطقي أن يكون سير الحملة إلى شبام الواقعة بعد عقران إلى جهة الشرق، ومن ثم تواصل سيرها إلى المدن الأخرى المذكورة في النقش، والواقعة إلى جهة الشرق من مدينة شبام، لذلك قد يكون هناك خطأ في أصل النقش أو عند نقله، إذ من المفترض أن يحل اسم (شبام) محلَّ اسم (شبوة)[٣].

وشبام مدينة حضرمية قديمة تعرَّضت لحملات عسكرية مرارًا، قامت بها جيوش سبأ وحِمْيَر، ذكرتها نقوش أخرى، مثل نقش الشظيف من عهد شعر أوتر، ونقش شرف الدين (٣٢) من عهد شمر يهرعش[٤].

---

(١) الحسني: جمال محمد، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤م، ص١١٥.

(٢) سرجيس: تاريخ...، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٣) نفسه، ص ٢٤١.

(٤) عربش: نقش...، مرجع سابق، ص ١١٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

بالطاء في نقوش المسند، وعند الهمداني بالتاء[1]. ورطغة من المدن المذكورة في المؤلفات العربية الإسلامية التراثية (رطغة – رتغة)، وتقع في منطقة السرير بوادي حضرموت الرئيس، في الجزء الممتدِّ من مدينة شبام حتى تريم، فهي مذكورة في نقش شرف الدين، إضافة إلى نقش إرياني (٣١) و(٣٢)، ولا يُعرَف مكانها حاليًّا، ونظنُّ أنَّ مستوطنة (رطغتم) هي نفسها (رتغة) المذكورة في مؤلفات العصور الوسيطة، ويجب تحديد مكانها في تلك المنطقة التي تقع فيها، كما هو مذكور عند الهمداني، إضافة إلى رتغة كل من: حبوضة ومدودة وتريس، وهذا يعني أنها في الجزء الأوسط من وادي حضرموت الرئيس، فيما بين مدينتي سيئون وشبام، وقد افترض ف. ميللر أنَّ اسم (رطغتم) كانت تتسمى به قرية قديمة تقع في مكان مدينة الغرفة الحالية[2].

إنّ (رطغتم) مذكورة في كل النقوش الثلاثة (إرياني ٣١،٣٢، شرف الدين ٣٢)، وهذا يعني أنها احْتُـلَّـتْ لثلاث مرّات في مدة الحملة التي قام بها يعمر أشوع وأخوه زيد قوم أريم زعيما (شعب سبأ)، وذلك في عهد الملك شمر يهرعش (شرف الدين ٣٢)، وفي مدة الحملات العسكرية التي قام بها لفعثت يشع (إرياني ٣١) وسعد تالب يتلف في عهد الملك ذمر علي يهبر الثاني (إرياني ٣٢)[3].

(١) سرجيس: تاريخ...، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٢) نفسه، ص ١٢١.

(٣) نفسه، ص ١٢١.

وهي كذلك مثل رطغة من المدن المذكورة في المؤلفات العربية الإسلامية التراثية، وتقعان في منطقة السرير بوادي حضرموت الرئيس، وذلك في الجزء الممتدِّ من مدينة شبام حتى تريم، وما زالت تحمل الاسم نفسه، وتقع في شرق مدينة سيئون.

وتحمل إحدى مدن مملكة قتبان أيضًا اسم (مريمة)، في وادي حريب، ويُطلق عليها حاليًّا موقع هجر العادي، ويُطلق على ساكني هذه المدينة بالأريوم (أريمن)، رغم أنّ نقشًا قتبانيًّا آخرَ يأتي على ذكر الأريوم بصفتهم مُقيمين في مدينة شبام، التي نجهل تحديدها؛ نظرًا لتعرُّض الأحرف التالية لاسم مدينة شبام للطمس[1].

ويذهب الباحثون إلى أن اسم (مريمة) من مادة (ر ي م) المسندية، الدالَّة على العلوِّ والارتفاع؛ لكون المنطقة ترتفع نوعًا ما عن مجرى الوادي الواقع شمالًا، وما زال في حضرموت يُطلَق على سطح المنزل لفظة (رَيْم)[2].

ما زالت مدينة عامرة لم تخرب وتهجر منذ أنشئت، حاملةً الاسم نفسه، وقد شهدت أحداثًا تاريخيَّةً عظيمةً، فقد كانت عاصمةً سياسيَّةً لوادي حضرموت، وذهب بعضهم إلى اشتقاق اسم (تريم)، وجعل تسمية (تريـــم) وكذا (مريمة) بهذا

(١) الحاج: محمد علي، مدينة شكع وأرض يهمطل في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملك شهر يحل يهرجب، في ضمن كتاب المملكة العربية السعودية عبر العصور، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٣م، ص١٢٤.

(٢)) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء؛ دار نشر بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٢٠، والإرياني: مطهر علي، المعجم اليمني في اللغة والتراث، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٦م، ص ٣٧١، وسرجيس: تاريخ...، مرجع سابق، ص ١٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الاسم نسبةً إلى اللفظ اليمني القديم (ريم)[1]، والذي ما زال مستخدمًا في اللهجة الشعبية المحلية حتى الآن بمعنى سطح المنزل[2].

أما في المعاجم والمؤلفات العربية فقد أتت على النحو الآتي: تَرِيْم بفتح التاء المثناة من فوق وكسر الراء ثم ياء مثناة من تحت، وقال عنها لسان اليمن الهمداني: "و تريم مدينة عظيمة"[3]. وقال أيضًا: "وتريم وتريس بحضرموت". وهي غير (تِرْيم) من ديار تميم من مساكن العرب بين العراق والشام، وهي بكسر التاء وسكون الراء (تِرْيم) من بلاد عذرة قديمًا بشمال ظبا، بقرب جبل شار[4]، وردت في شعر كثيِّر وغيره، في قوله:

إليك تبارى بعدما قلت قد بدت جبال الشِّبا أو نكَّبت هضب تِرْيم[5].

ويذهب نشوان بن سعيد الحميري إلى أن (تريم) على وزن فعيل، التاء زائدة، وبناؤها تفعل، من رام يريم[6]. وسُمِّيَت باسم تريم بن السكون بن الأشرس بن كندة، بطن من كندة القحطانية.

---

(١) بيستون، أ.ف.ل / ريكما نز، جاك/ الغول، محمود/ مولر، والتر: المعجم السبئي، دار نشرياتبيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ط١، ص١٢٠.

(٢) تعليقات الدكتور عبدالعزيز بن عقيل في كتاب تاريخ حضرموت السياسي لسرجيسفرانتسوزوف ص١٩.

(٣) الهمداني: الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٧٠.

(٤) الهمداني: صفة جزيرة...، مصدر سابق، ص ٢٩٣.

(٥) نفسه، ص ٣٤٦.

(٦) الحميري: نشوان بن سعيد، منتخبات في أخبار اليمن، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨١م، ص ١٤.

وأمَّا عن نسبتها فلا يوجد لدينا دليل تاريخي يشير إلى البدايات الأولى لهذه المدينة العريقة، وأقصد بذلك زمن التأسيس والإنشاء.

وهناك جملة من الآراء التي تناولت سبب تسمية (تريم) بهذا الاسم، ومن ذلك ما يأتي:

١) **الرأي الأول:** يذهب إلى أنَّ (تريم) سُمِّيت باسم بانيها (تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر) أوَّل ملوك الطبقة الثانية للدولة السبئية، الذين يبتدئ مُلكهم من (أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد)[١]، وكذلك شقيقتها الأخرى مدينة شبام، أو كما جاء عند ياقوت: "تريم اسم إحدى مدينتي حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها تريم وشبام، وهما قبيلتان سُمِّيَت باسمهما البلدتان"[٢]. وقال آخر: "تَرِيْم كأَمِيْر: مدينة بحضرموت سمِّيت باسم بانيها تريم بن حضرموت"[٣]. وذهب إلى هذا الرأي أغلب المؤرخين العرب والإخباريين.

ويذهب الأستاذ حدَّاد بلفقيه إلى أن تاريخ نشوء المدينة يعود إلى ما قبل الميلاد بأربعة قرون، عند بدء ظهور دولة الحِمْيَريين، مستندًا على ما أكدته النقوش التي وجدت في شمال المدينة في مكان يُسمى (شعاب الهادي) على يد السائحة الأجنبية (فرايا إستارك)[٤].

---

(١) بلفقيه: عبدالله بن حسن، صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، تحقيق: مصطفى العطاس، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٣٩-٤٠.

(٢) الحموي: ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، مج ١، ص٤٤٢.

(٣) السقاف: إدام القوت، مصدر سابق، ص٤٩٠.

(٤) بلفقيه: حداد أبوبكر، تريم اسم في ذاكرة الزمن، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، العدد ٣٠٠، أغسطس – سبتمبر ٢٠٠١م، ص ٥١ – ٥٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢) الرأي الثاني: يذهب إلى أن مدينة تريم تُنسب إلى الملك التبَّع (أسعد الكامل)، وأنه هو الذي اختطَّها. ويرى أصحاب هذا الرأي أنه يتفق مع ما ذكره العلامة علي بن عبدالرحمن المشهور في كتاب (شرح الصدور) من أن حصن الرناد أُسِّس قبل البعثة بأربعمائة سنة[١].

ويرى الباحث[٢] أن الرأي الأخير مجانب للصواب، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون مدينة تريم من المدن المنسوبة للتبع أسعد الكامل؛ لأن ذلك يخالف ما جاء في النقوش التي سبقت عهد التبَّع أسعد الكامل، ولكن يمكن أن نعدل هذا الرأي أو القول ونقول: إن تريم من المدن التي ربما أعاد إعمارها التبَّع أسعد الكامل، بعد خرابٍ أصابها، فنُسِبَت إليه، إذ يعد التبع الكامل من أعظم التبابعة الحميريين، فهو كما جاء في النقوش: "أبو كرب أسعد بن ملكي كرب يهامن". وهو عند الإخباريين وفي المأثورات العربية يسمى "أسعد الكامل" ، وقد جلس على عرش حِمْيَر في أواخر القرن الرابع – أوائل القرن الخامس الميلادي– وتحديدًا في المدة الواقعة بين عامي (٣٨٠م–٤٤٠م)[٣]، وهذا الملك يعد من أعظم ملوك اليمن التبابعة، وقد اتخذ اللقب الملكي الأطول في

(١) المشهور: علي بن عبد الرحمن، شرح الصدور بذكر بعض أحوال وسير وإجازات عبد الرحمن بن محمد المشهور، مخطوط بمكتبة خرد، ص٢٣٤–٢٤٠.

(٢) للمزيد انظر: (الجديد في تاريخ تريم القديم) للباحث.

(٣) غاجدا، إيفونا، جنوب الجزيرة العربية موحدًا تحت راية حمير، في ضمن كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبا)، ترجمة: بدر الدين عردوكي، باريس – دمشق، ١٩٩٩م، ص ١٨٨.

تاريخ اليمن القديم وهو (ملك سبأ وذي ريدان و حضرموت ويمنات وأعرابهم طودًا وتهامة)، واكتملت الوحدة اليمنية على يديه، ويعد عصره من أبرز عصور التاريخ اليمني قبل الإسلام[1]، فكما نَسَبَ الناسُ إلى (عاد) كل قديم فقالوا (عادي)، كذلك نسب اليمنيون كثيرًا من المنشآت القديمة، وآثار السدود، ووسائل الري، إلى أسعد الكامل، فيقولون: حجر أسعد، وكريف أسعد، وقصر أسعد، بل إن كل ما تقادم العهد عليه من أثر فهو أسعديّ[2].

ثم تأتي في سياق النقش جملة: (وكل / هجرن / وسررن / حضرموت): ذهب الإرياني إلى أن هذه العبارة جاءت خاطئة في نسخ النقش، وأنّ الصحيح هو: (وكل/ هجرن/ سررن/ وحضرموت)؛ ليكون معناها هو (وكل مدن السرير وحضرموت). وجاء في النقش الذي يليه (إرياني ٣٢): (ونجثو كل / هجر/ حضرموت/ وسررن)، وشرحها هو: (واستولوا على كل مدن حضرموت والسرير)، فليس بين عبارتي النقشين من خلاف إلّا التقديم والتأخير. والسرير هو أحد أقاليم حضرموت المهمَّة، جاء ذكره في نقوش أخرى، منها (جام ٦٥٦-٦٦٨)، وذكره الهمداني في الإكليل فقط، وغاب عن الصفة[3].

(١) أبو الغيث: عبد الله، العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها – ق ٣- ٦ م- وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص ١٢-١٣.

(٢) عبدالله: يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر، دمشق – بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص٢٥٦.

(٣) الإرياني: نقوش ...، مرجع سابق، ص ١٩٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

ثانياً: النقش إرياني ٣٢ جام ٦٥٧:

نص النقش بالمسند:

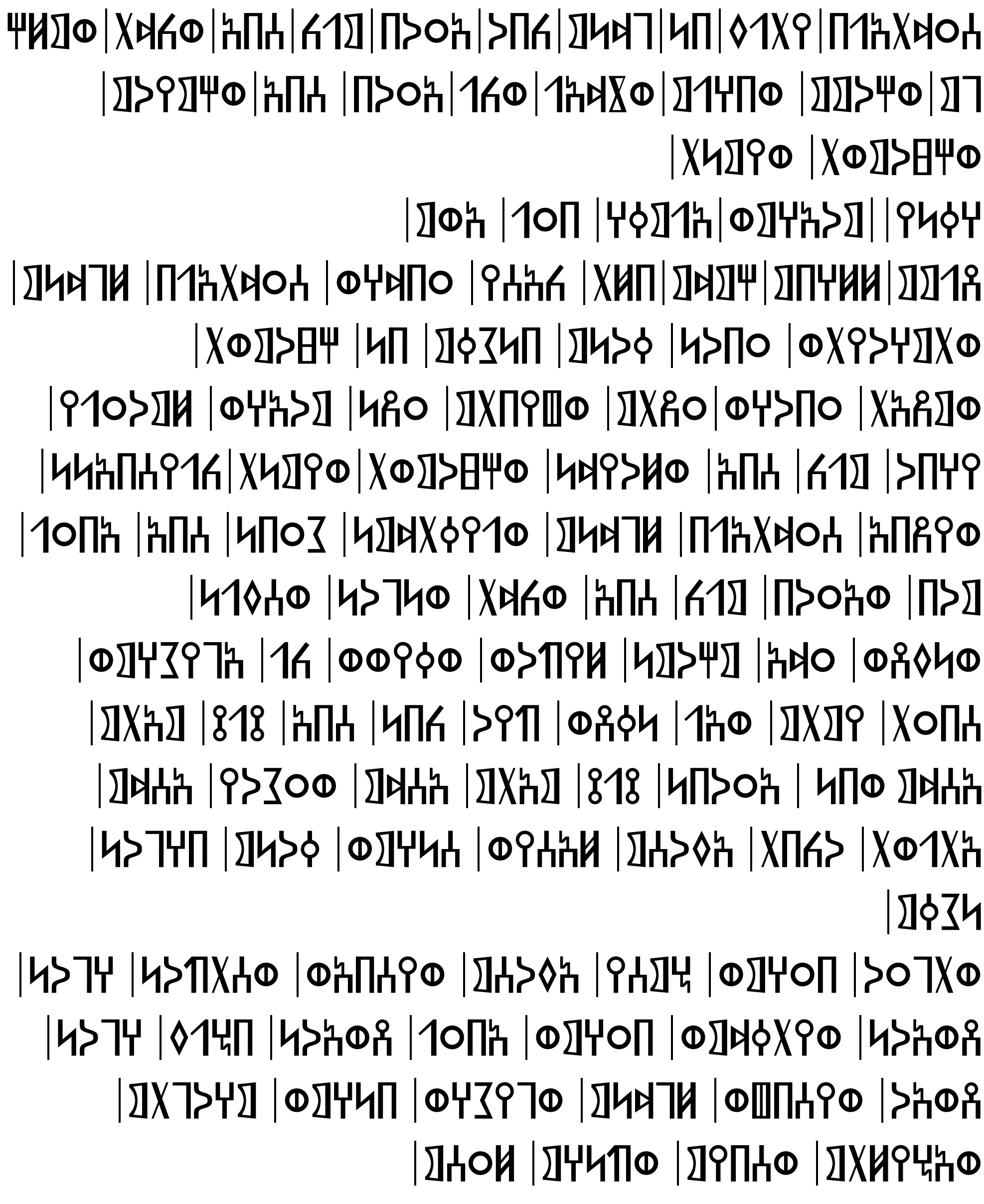

𐩥𐩨𐩲𐩵𐩬𐩠𐩥 | 𐩰𐩪𐩨𐩲𐩥 | 𐩡𐩠𐩣𐩥 | 𐩥𐩣𐩷𐩥 | 𐩲𐩣𐩠𐩣𐩥 | 𐩫𐩪𐩵 | 𐩮𐩥𐩫𐩧𐩬 |
𐩨𐩲𐩡𐩺 | 𐩫𐩨𐩲𐩡 | 𐩨𐩲𐩡𐩺 | 𐩦𐩨𐩣 | 𐩥𐩮𐩵𐩰𐩬 | 𐩥𐩩𐩰𐩵𐩣𐩥 | 𐩥𐩠𐩩𐩧𐩴𐩬 |
𐩨𐩲𐩣 | 𐩮𐩵𐩰𐩬 | 𐩥𐩫𐩨𐩲𐩡 | 𐩦𐩨𐩣 | 𐩨𐩸𐩡𐩰 | 𐩦𐩨𐩣 | 𐩥𐩺𐩠𐩧𐩴𐩥 | 𐩨𐩬𐩠𐩣𐩥 |
𐩪𐩨𐩲𐩺 | 𐩫𐩪𐩵𐩣 | 𐩥𐩲𐩵𐩥𐩥 | 𐩨𐩪𐩢𐩩𐩣 | 𐩠𐩴𐩧𐩠𐩣𐩥 | 𐩥𐩮𐩬𐩲𐩠𐩥 |
𐩥𐩩𐩬𐩢𐩨𐩥 | 𐩲𐩣𐩠𐩥 | 𐩱𐩡𐩱𐩩 | 𐩲𐩦𐩧 | 𐩺𐩣𐩩𐩣 | 𐩲𐩵𐩺|𐩪𐩨𐩲𐩥 |
𐩥𐩨𐩲𐩵𐩬𐩠𐩥 | 𐩰𐩪𐩩𐩤𐩧𐩥 | 𐩥𐩮𐩥𐩧𐩬 | 𐩧𐩷𐩤𐩩𐩣 | 𐩥𐩪𐩺𐩻𐩬|𐩥𐩣𐩧𐩺𐩣𐩩𐩣 |
𐩥𐩢𐩵𐩨 | 𐩥𐩠𐩪𐩨𐩲𐩠𐩥 | 𐩥𐩠𐩤𐩧𐩥 | 𐩲𐩵𐩫 | 𐩲𐩧𐩫𐩠𐩡𐩬 | 𐩥𐩩𐩧𐩣 |
𐩥𐩩𐩰𐩵𐩣𐩥 | 𐩨𐩲𐩣 | 𐩫𐩨𐩲𐩡 | 𐩩𐩧𐩣 | 𐩥𐩣𐩫 | 𐩠𐩧𐩴𐩥 | 𐩨𐩬 | 𐩫𐩨𐩲𐩡 | 𐩩𐩧𐩣 |
𐩥𐩲𐩵𐩥𐩥 | 𐩠𐩴𐩧𐩠𐩣𐩥 | 𐩪𐩢𐩩𐩣 | 𐩥𐩢𐩥𐩺𐩠𐩣𐩥 | 𐩥𐩮𐩥𐩧𐩬 | 𐩱𐩬𐩺 | 𐩲𐩦𐩧 |
𐩺𐩣𐩩𐩣 | 𐩥𐩴𐩨𐩹𐩥 | 𐩫𐩡𐩰𐩬 | 𐩫𐩲𐩣𐩵𐩣 | 𐩥𐩴𐩨𐩫𐩥 | 𐩥𐩮𐩧𐩺𐩠𐩥 | 𐩥𐩩𐩲𐩧𐩨𐩬 |
𐩥𐩪𐩨𐩲 | 𐩡𐩠𐩣𐩥 |
𐩥𐩨𐩬𐩠𐩥 | 𐩰𐩠𐩤𐩧𐩥 | 𐩲𐩵𐩺|𐩵𐩣𐩬 | 𐩥𐩣𐩦𐩷𐩩 | 𐩥𐩲𐩲𐩧𐩭𐩡𐩺𐩨𐩣 | 𐩥𐩪𐩨𐩲 |
𐩡𐩠𐩣𐩥 | 𐩥𐩬𐩴𐩦𐩥 | 𐩭𐩡 | 𐩠𐩴𐩧 | 𐩢𐩳𐩧𐩣𐩥𐩩 | 𐩥𐩪𐩧𐩧𐩬 | 𐩥𐩨𐩬𐩠𐩥 |
𐩰𐩺𐩫𐩺𐩩𐩥 | 𐩥𐩰𐩰𐩡𐩥𐩫 | 𐩨𐩫𐩢𐩡𐩡𐩣 | 𐩥𐩫𐩸𐩺𐩹𐩩𐩣 | 𐩥𐩪𐩨𐩺𐩣 | 𐩥𐩤𐩬𐩣𐩣 |
𐩹𐩲𐩪𐩣 | 𐩥𐩠𐩧𐩴𐩥 | 𐩱𐩡𐩱 | 𐩣𐩫𐩩𐩣 | 𐩥𐩫𐩡𐩰 | 𐩨𐩳𐩲𐩣 | 𐩥𐩪𐩨𐩲 | 𐩣𐩫𐩩𐩣 |
𐩩𐩸𐩺𐩬𐩩𐩣 | 𐩥𐩱𐩡𐩱𐩩 | 𐩫𐩡𐩰𐩣 | 𐩪𐩨𐩺𐩣 |
𐩥𐩫𐩩𐩥𐩥 | 𐩥𐩰𐩰𐩡𐩥 | 𐩲𐩵𐩺 | 𐩠𐩴𐩧𐩬 | 𐩮𐩰𐩧 | 𐩲𐩨𐩧 | 𐩣𐩧𐩫𐩠𐩣𐩥 | 𐩣𐩡𐩭𐩬 |
𐩥𐩫𐩥𐩡𐩥 | 𐩲𐩣𐩠𐩣𐩥 | 𐩫𐩬𐩣𐩧𐩣 | 𐩹𐩠𐩣𐩡𐩭𐩥 | 𐩢𐩳𐩧𐩣𐩥𐩩 | 𐩥𐩧𐩨𐩲𐩩 | 𐩨𐩬 |
𐩥𐩫𐩡𐩣 | 𐩥𐩫𐩰𐩮𐩺 | 𐩨𐩬 | 𐩴𐩣𐩬 | 𐩥𐩴𐩦𐩣 | 𐩨𐩬 | 𐩦𐩧𐩫𐩡 | 𐩥𐩨𐩠𐩱𐩣 | 𐩨𐩬 |
𐩩𐩭𐩺𐩣 | 𐩥𐩱𐩥𐩨𐩬 | 𐩨𐩬 | 𐩴𐩹𐩣𐩩 | 𐩫𐩮𐩵𐩰𐩬 |
𐩥𐩺𐩷𐩲.... 𐩪𐩺𐩨𐩬𐩺𐩬 𐩥𐩰𐩳𐩲𐩣 𐩪𐩺𐩨𐩬𐩺𐩬 ..𐩫𐩩...𐩰𐩩𐩧..𐩩𐩺 𐩨𐩲𐩣𐩠𐩣𐩥 𐩨𐩬..

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +201008170225

سعد تألب / يتلف / بن/ جدنم/ كبر/ أعرب/ ملك/ سبأ/ وكدت/ ومذحجم/ وحرمم/ وبهلم/ وزدال/ وكل/ أعرب/ سبأ/ وحميرم/ وحضرموت/ ويمنت/ هقنى/ مرأهمو/ المقه/ بعل/ أوم/ صلمم/ ذذهبم/ حمدم/ بذت/ كأسى/ عبدهو/ سعد تألب/ ذجدنم/ وتمهريتو/ عبرن/ قرنم/ بنشقم/ بن/ حضرموت/

ومظأت/ عبرهو/ عظتم/ وطيبتم/ عظن/ مرأهو/ ذمر علي/ يهبر/ ملك/ سبأ/ وذريدن/ وحضرموت/ ويمنت/ كليسبأنن/ ويظبأ/ سعد تألب/ ذجدنم/ وليقتدمن/ شعبن/ سبأ/ أبعل/ مرب/ وأعرب/ ملك/ سبأ/ وكدت/ ونجرن/ وسفلن/

ونفصو/ عدى/ محرمن/ ذيغرو/ وقيوو/ كل/ أجيشهمو/ سبعت/ يمتم/ وأل/ نقصو/ غير/ كبن/ سبأ/ ثلث/ مأتم/ أسدم/ وبن/ أعربن/ ثلث/ مأتم/ أسدم/ وعشرى/ أسدم/ أتلوت/ ركبت/ أفرسم/ ذأسيو/ سنهمو/ قرنم/ بهجرن/ نشقم/ وتجعر/ بعهمو/ خمسي/ أفرسم/ ويسبأو/ وستغرن/ هجرن/ صوأرن/ ويتقدمو/ بعهمو/ أبعل/ صوأرن/ بخلف/ هجرن/ صوأر/ ويسبطو/ ذجدنم/ وجيشهو/ بنهمو/ مهرجتم/ وأخيذتم/ وسبيم/ وغنهم/ ذعسم/

وبعدنهو / فسبعو/ لهمو/ ومطو/ عمهمو/ أسد/ صوأرن/ بعلى/ أبعل/ بعلى/ شبم/ وصدفن/ وتقدمو/ وهترجن/ بعم/ صدفن/ وأبعل/ شبم/ بخلف/ شبم/ ويهرجو/ بنهمو/ سبعى/ أسدم/ وعدوو/ بسحتم/ هجرهمو/ وصنعهو/ وتنحبو/ عمهو/ ثلثت/ عشر/ يمتم/ عدى/ سبعو/

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وبعدنهو/ فستغرو/ وظورن/ رطغتم/ وسيؤن/ ومريمتم/ وحدب/ وهسبعهو/ وهغرو/ عدى/ عرأهلن/ وترم/ وتقدمو/ بعم/ أبعل/ ترم/ وملأ/ هرجو/ بن / أبعل/ ترم/ وعدوو/ هجرهمو/ سحتم/ وحويهمو/ وظورن/ ثنى/ عشر/ يمتم/ وجبذو/ ألفن/ أعمدم/ وجبأو/ وصريهو/ وتعربن/ وسبع/ لهمو/

وبنهو/ فهغرو/ عدى/ دمن/ ومشطت/ وعركليبم/ وسبع/ لهمو/ ونجشو/ كل/ هجر/ حضرموت/ وسررن/ وبنهو/ فيأيتو/ وقفلوا/ بأحللم/ وأخيذتم/ وسبيم/ وغنمم/ ذعسم/ وهرجو/ ثلث/ مأتم/ وألف/ بضعم/ وسبع/ مأتم/ زخينتم/ وثلثت/ ألفم/ سبيم/

وأتوو/ وقفلو/ عدى/ هجرن/ ظفر/ عبر/ مرأهمو/ ملكن/ وأولو/ عمهمو/ أنمرم/ ذهملكو/ حضرموت/ وربعت/ بن/ وألم/ وأفصى/ بن / جمن/ وجشم/ بن/ شرإل / وبهثم/ بن/ زكيم/ وثوبن/ بن/ جذمت/ أصدفن/

ويطع ..... سيبنين وقضعم سيبنين وأربع .. أت ... قتر .. لاتى بعمهمو بن

محتوى النقش:

القائد (سعد تألب يتلف الجدني) كبير أعراب ملك سبأ وكبير (كندة) و(مذحج) و(حرام) و(باهل) و(زيدايل)، وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنت، تقرب إلى سيّده (المقه بعل أوام) بصنم من البرونز الذهبي؛ حمدًا له لأنَّه أوصل عبده (سعد تألب ذي جدن) ومن معه إلى عبران، ليرابطوا بمدينة (نشق) عائدين من حضرموت، بعد غزوة سابقة لها، ولقد وصلته -وهو مرابط- الأوامر من سيده الملك (ذمار علي يهبر

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) بأن يتولى (سعد تألب ذو جدن) قيادة قبيلة (سبأ أهل مأرب) وأعراب ملك سبأ و(كندة) و(نجران) و(سفلان)، فانطلقوا -هو ومن معه- إلى منطقة (المحرم)، وجمعوا جيشهم في سبعة أيام، فكان من (سبأ) ثلاثمائة محارب، ومن الأعراب ثلاثمائة راكب رجالًا وفرسانًا، وهم الذين كانوا مرابطين معه في مدينة (نشق)، وانضمَّ إليهم خمسون فارسًا، فانطلق بهذه القوة فهاجم أوَّل ما هاجم مدينة (صوأران)، وقد نازل أهل (صوأران) في ضواحيها، فألحق (ذو جدن) وجيشه بهم مقتلة، وأحرزوا فيئًا وسَبْيًا وغنمًا مُرْضِيًا، فخضعوا له وساروا معه لمهاجمة أسياد (شبام)، فقتلوا منهم سبعين محاربًا، واكتسحوهم إلى المدينة فتحصَّنوا فيها، وقاتلهم ثلاثة عشر يومًا حتى استسلموا وخضعوا له، وبعد ذلك أغاروا وحاصروا كلًّا من (رطغة) و(سيئون) و(مريمة) و(حدب)، فاستسلموا وخضعوا له، فأغار على (عر أهلان- حصن الاهل) و(تريم)، فاكتسحوا مدينتهم بعد حصارٍ دام اثني عشر يومًا، واستولوا على ألف عريشة من عرائش العنب، وبعد أن خضع لهم كل هؤلاء أغاروا على (دمون) و(مشطة) و(عركليب ـ حصن كليب)، فاستسلموا لهم، وهكذا هاجموا جميع مدن حضرموت ووديانها، وبعد ذلك عادوا قافلين بالمغانم من الأنعام والأموال وبالأسرى الكثيرين، ولقد قتلوا ألفًا وثلاثمائة تقطيعًا بحدِّ السيوف، وجرحوا سبعمائة مقاتل، وأسروا ثلاثة آلاف أسير، وآبوا عائدين إلى مدينة (ظفار) نحو سيدهم الملك، وأحضروا معهم المدعُـوَّ (أنمار)، الذي نصبه أهل حضرموت ملكًا، كما أحضروا كلًّا من (ربيعة بن وائل) و(أفصى بن جمان) و(جشم بن مالك) و(ثوبان بن جذيمة الصدفي) و(يدعـ... سيبنين) و(قضاع سيبين) وأربعـ...ات... لاتى ... بعمهوبن ....

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100081702225

النقش (IR32):

يتحدّث هذا النقش الذي نشره أيضًا مطهر الإرياني عن الحملة التي قام بها سعد تألب يتلف الجدني كبير أعراب ملك سبأ وكبير كندة ومذحج وحرام وباهل وزيد إيل، وكل أعراب سبأ وحمير وحضرموت ويمنت؛ لغزو حضرموت بأمر من ملكه ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت (بداية القرن الرابع الميلادي).

وقد كانت القوة المقاتلة التي تحت إمرته مكوّنة من ثلاثمائة محارب من سبأ، وثلاثمائة وعشرين محاربًا من الأعراب راكبي الرحال والفرسان، وانضمّ إليهم خمسون فارسًا، وقد هاجم بهم مدينة صوران، وأخضعها، وسار معه مقاتلوها لمهاجمة شبام والصدف.

وقاتل المدافعين عن مدينة شبام في ضواحيها، فقتل منهم سبعين محاربًا، وتحصَّن الباقون بها، فأخذ في مناوشتهم لمدة ثلاثة عشر يومًا، حتى استسلموا له وخضعوا.

وبعد ذلك أغار على مدن: رطغة، وسيئون، ومريمة، وحدب، وحاصرها، فاستسلمت له هذه المدن وخضعت. وأغار على حصن أهلان وعلى تريم، واكتسح مدينة تريم بعد حصارٍ دام اثني عشر يومًا، قام محاربوه في أثنائه بقطع ألفي عريشة من عرائش العنب!

وبعد ذلك أغار على دمُّون (الواقعة بالقرب من تريم)، ومشطة (الواقعة الى الشرق من تريم)، وحصن كليب، فاستسلمت له هذه المدن.

وهكذا هاجم جميع مدن حضرموت ووديانها، وعاد محمَّلًا بالمغانم من الأنعام والأموال والأسرى. ولقد كانت حصيلة هذه المعارك قتل ألف وثلاثمائة محارب حضرمي، وجرح سبعمائة، وأسر ثلاثة آلاف!

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

وعند عودته إلى مدينة ظفار نحو سيده الملك أحضر معه المدعو (أنمار) الذي نصبه أهل حضرموت ملكًا، كما أحضر معه (ربيعة بن وائل) و(أفصي بن جمان) و(جشم بن مالك) و(عدي بن نمر) و(قيس بن بشر أل) و(بهثم بن سكي) و(ثوبان بن جذيمة الصدفي)، والصدف قبيلة حضرمية ورد ذكرها في نقوش سبئية وحميرية من القرن الثاني قبل الميلاد والقرنين الثالث والرابع الميلاديين[1]، وكذلك أحضر (يدع إل ـ أو يدع أب – ... السيباني) و(قضاع السيباني)، وسيبان أيضًا قبيلة حضرمية ورد ذكرها في نقش كرب أيل وتر (نقش النصر)، وكانت حينها تقطن مدن أثخ وميفع ورثخم، وتقع أراضيها حاليًّا على بُعد (٨٠ كم) شمال ميفع، في المرتفعات الواقعة بين المكلا ودوعن[2].

ومن المؤكَّد أنَّ الحميريين قد احتلوا لمرَّتين في الأقل كلًّا من عقران، وشبام، وصوران، ومريمة، وتريم[3].

(١) عربش: نقش ...، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) نفسه، ص ١١٣.

(٣) سرجيس: تاريخ ...، مرجع سابق، ص ١٢٢.

صوأران (صوران): سبق ذكرها في النقش السابق.

شبام (شبم): سبق ذكرها في النقش السابق، وجاء لفظها هنا بلفظ (شبام)، مما يؤكد خطأ كتابة لفظ (شبوة) محلها في النقش السابق.

رطغة (رطغتم): سبق ذكرها في النقش السابق.

سيئون (سيؤن): مدينة مشهورة تتوسط وادي حضرموت، وهي عاصمته السياسية حاليًّا، وما زالت تحمل الاسم نفسه الذي ذُكِرَ في النقش.

مريمة (مريمتم): سبق ذكرها في النقش السابق.

حدب (حدب): حاول كل من (فون فيسمان) و(ف. ميللر) مطابقة مستوطنة (حدب) بالخرائب الواقعة بالقرب من قرية سونة في وادي عدم، والتي تحمل اسم (حدبة الغصن)، واقترح محمد عبدالقادر بافقيه البحث عن خرائب (عر أهلن) و(عر كلييم) في التلال المعزولة الواقعة إلى الشرق من مدينة تريم[1].

وبقي تحديد مكان هذه المدينة مجهولًا حتى سنوات خلت، وتحديدًا في عام ٢٠١٠م، إذ تمَّ عمل حفريات في موقع عادية الغرف جنوب مدينة تريم، وهو الموسم الخامس للعمل بهذا الموقع منذ بدء العمل في ١٩٨١م، فتم خلال الموسم المذكور التعمُّق في دراسة الاسم التاريخي لموقع عادية الغرف، وتمَّ العثور على نقش في بقايا مبانٍ في جنوب غرب الموقع بـ(٣٥٠ م)، وهو عبارة عن نقش نذري على كسرة من لوحة برونزية،

(١) سرجيس: تاريخ ...، مرجع سابق، ص ١٢١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مكوَّن من أربعة أسطر وجزء من سطر، يعلوها شكل رأس أسد. ويذكر النص أنَّ شخصًا وابنًا له قدَّما تقدمة لربِّ السماء سين ذي كهرخن بحدب نذرا ...[1]. وموقع حدب بالفعل مثلما جاء في النقش هذا بعد مريمة وقبل تريم.

عر أهلان (عر أهلن): قال ناشر النقش معلِّقًا: "يوجد في حضرموت أكثر من مكان اسمه (العر)، ولكن (أهلان) لم أعرف عنه شيئا، وكذلك (عر كليب) الآتي ذكره، ولكن الهمداني ذكر (آل كليب) في نسب حضرموت"[2].

إذا أعدْنا النظر إلى النقش فسنجد لفظ (عر أهلان) أي (حصن أهلان)، وهذا الموقع لا يُعرَف مكانه حتى الآن، وبإلقاء نظرة على أسماء المدن المذكورة في النقش فسنجدها مرتبة جغرافيًّا من الغرب إلى الشرق، فبعد سيئون تأتي مريمة، وهي معروفة، ثمّ تأتي حدب، وهي معروفة مؤخَّرًا، ثم يأتي عر أهلان، وهو لا يُعرف، ثم تأتي مدينة تريم، وهي أشهر من نار على علم. وعلى هذا فموضع حدب وعر أهلان بين مدينتي سيئون وتريم، ويمكننا أن نحدِّد موضع عر أهلان، فإلى الجنوب من مدينة تريم تقع منطقة باجلحبان، وهي واقعة تحت سفح جبل يسمى (جبل كحلان)، والواقع به حصن مطهر، وتلتقي عنده مياه واديي عَدم وسَر. ويرى الباحث أن الاسم حُرِّفَ وصُحِّفَ من (أهلان) إلى (كحلان)، وبهذا يمكن أن يكون في هذا الجبل موضع (عر أهلان). ويرى

(١) السقاف وآخرون، التنقيبات الأثرية لموقع عادية الغرف وادي حضرموت ٢٠١٠م، تقرير غير منشور، الهيئة العامة للآثار والمتاحف، فرع وادي حضرموت والصحراء، ص ١ – ٤.

(٢) الإرياني: نقوش ...، مرجع سابق، ٢٠٤.

الدكتور بافقيه أن (عر أهلان) ربما هو حصن الرناد بتريم، ولكنه لم يدلِّل على هذا[1]. ويرى الباحث أنَّ حصن أهلان يقع في المنطقة المذكورة، إذ إنه (عر)، أي حصن أو قلعة في جبل، وليس مدينة أو قرية كالمدن التي ذُكِرت في النقش.

تريم (ترم): سبق ذكرها في النقش السابق.

دمون (دمن): ذهب ناشر النقش إلى أنها دمون الهجرين، وأورد ذكرها في شعر امرئ القيس، وأنها من مدن الصدف[2]. والصحيح أنَّ دمُّون المذكورة هي دمون تريم، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة تريم، وكانت ضاحية لها، والآن بعد اتصال العمران أصبحتا واحدة.

مشطة (مشطت): آخر المدن التي ذكرها النقش، وقد ذكرها الهمداني فقال: "ثم مشطة قرية مقتصدة "[3]. وهي ما زالت تحمل هذا الاسم، وتقع إلى الشرق من مدينة تريم، وتبعد عنها نحو (٨ كلم)، وقد عُثِرَ في أثناء عملية بناء أساسات منارة مسجد القرية الجديدة على أجزاء من نقوش، إلى جانب آثار لقنوات ري، ممّا يرجِّح أنَّ المسجد القديم قد بُنِيَ فوق أنقاض معبد [4].

(١) بافقيه: محمد عبدالقادر، عودة إلى نقش عبدان الكبير (٢)، حولية ريدان، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، العدد٧، ٢٠٠١، ص٣٢.

(٢) الإرياني: نقوش ...، مرجع سابق، ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٨٧.

(٤) الرباكي: الجديد ...، مرجع سابق، ص ٢١٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

عر كليبم (حصن كليب): أما عر كليب فهو يأتي في ترتيب المناطق في النقش بعد مشطة الواقعة إلى الشرق من تريم، وموضعه غير معروف. ويرى الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه أن موقعه في التلال الواقعة إلى الشرق من تريم[١].

ويذكر الهمداني في الأنساب في الإكليل أنه: "أولد ذو جدن: بني عوف، وبني حقيق، وبني ربيعة، وبني شخيم، والأذمور، وآل عمرو، وهم بالمسفلة من حضرموت، وهم بنو كليب"[٢]. فأولئك هم بنو كليب أصحاب (عر كليب)، وكان عرهم بسفليّ حضرموت، ومنهم المرأة التي تُدعَى تهناة بن كليب، من قرية تنعة (إلى الشرق من منطقة الحصن، وهي قرية ما زالت قائمةً اليوم)، تلك المرأة التي خاطت للرسول صلى الله عليه وسلم كسوة، وبعثتْ بها مع ابنها كليب بن أسد بن كليب، الذي وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وقال فيه شعرًا، منه:

أنت النبي الذي كنا نخبره وبشرتنا بك التوراة والرسل.

والذي يشير إلى أنّ قائله كان يهوديًّا، والأرجح أنه ينتمي إلى الحضارمة الأصلاء[٣].

ويقول الدكتور محمد عبد القادر بافقيه عن (عر كليب) في آخر دراساته، بعد أن حدّده سابقًا بأنه في التلال الواقعة إلى الشرق من تريم: "عر كليب هو حصن العر اليوم، وفيه بقايا حصن قديم"[٤].

---

(١) سرجيس: تاريخ..، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٢) الهمداني: الحسن بن أحمد، الإكليل، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ٢، ص٣٧٧.

(٣) سرجيس: المرجع السابق، ص٩٠.

(٤)بافقيه: عودة إلى...، مرجع سابق ص٣٢. والرباكي: أحمد صالح، حصن العر في النقوش والمدونات التاريخية،...

ثم جاءت جملة (ونجثو كل / هجر/ حضرموت/ وسررن). ومعناها: (واستولوا على كل مدن حضرموت والسرير). والسرير هو أحد أقسام وادي حضرموت المهمّة كما سبق ذكره، وجاء ذكره في نقوش أخرى منها (جام ٦٥٦- ٦٦٨)، وذكره الهمداني في الإكليل فقط، وغاب عن الصفة[١].

(١)الإرياني: نقوش ...، مرجع سابق ص ١٩٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

جدول مقارنة بين المدن والمناطق المذكورة في النقشين:

الرقم	IR31	IR32
١	صوأران	صوأران
٢	عقران	----
٣	شبام (وذُكِرت خطأً: شبوة)	شبام
٤	رطغة	رطغة
٥	----	سيؤن
٦	مريمة	مريمة
٧	----	حدب
٨	----	عر أهلان
٩	تريم	تريم
١٠	----	دمون
١١	----	مشطة
١٢	----	عركليب

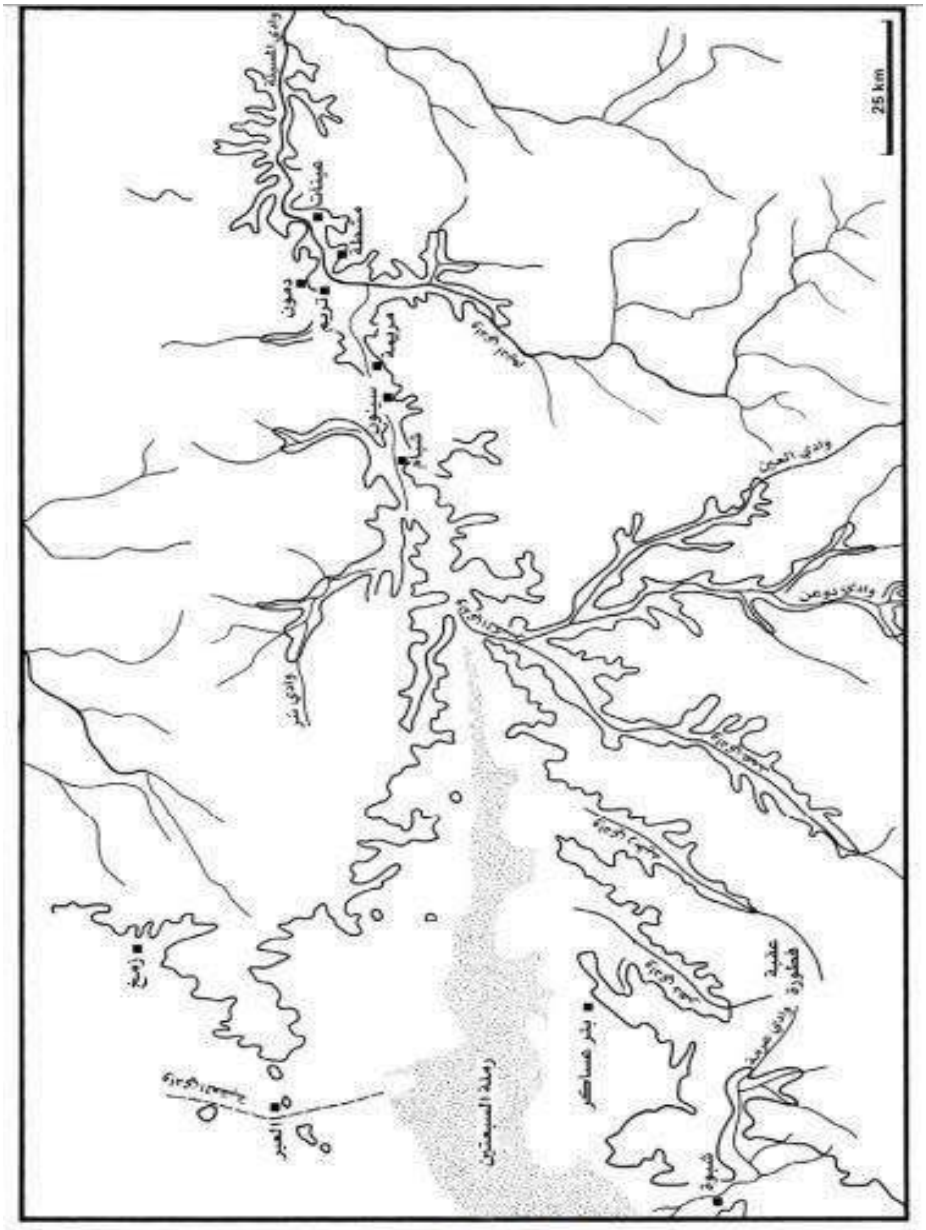

خارطة وادي حضرموت

عن بافقيه: توحيد ...، مرجع سابق، ص ١٦٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المراجع

١- الإرياني، مطهر علي: نقوش مسندية وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط٢، ١٩٩٠م.

٢- الإرياني، مطهر علي: المعجم اليمني في اللغة والتراث، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

٣- الأغبري، فهمي علي: التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير، ١٩٩٤م.

٤- الحاج، محمد علي: مدينة شكع وأرض يهمطل في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملك شهر يجل يهرجب، في ضمن كتاب المملكة العربية السعودية عبر العصور، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٣م.

٥- الحسني، جمال محمد: الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤م.

٦- الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، مج١.

٧- الحميري، نشوان بن سعيد: منتخبات في أخبار اليمن، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨١م.

٨- الرباكي، أحمد صالح: الجديد في تاريخ تريم القديم، في ضمن أبحاث تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، ثلوثية بامحسون، دارحضرموت للنشر، المكلا، ٢٠١٠م.

٩- الرباكي: حصن العر في النقوش والمدونات التاريخية، مركز النور للأبحاث، تريم، ط١، ٢٠١٠م

١٠-السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله: إدام القوت بذكر بلدان حضرموت، تحقيق: إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م.

١١-السقاف وآخرون: التنقيبات الأثرية لموقع عادية الغرف وادي حضرموت ٢٠١٠م، تقرير غير منشور، الهيئة العامة للآثار والمتاحف، فرع وادي حضرموت والصحراء.

١٢-الهمداني، الحسن بن أحمد: الإكليل، تحقيق: محمد علي الأكوع، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ٢،

١٣-الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م.

١٤-المشهور، علي بن عبدالرحمن: شرح الصدور بذكر بعض أحوال وسير وإجازات عبدالرحمن بن محمد المشهور، مخطوط بمكتبة خرد.

١٥-أبو الغيث، عبدالله: العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ـ ق٣-٦م- وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.

١٦-بارباع، مرعي مبارك: منطقة الكسر في وادي حضرموت، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤م.

١٧-بافقيه، محمد عبد القادر: حضرموت القبيلة والوادي في النقوش وعند الإخباريين، مجلة المنتدى، العدد (٨)، دبي، مايو ١٩٩٠م.

١٨-بافقيه، محمد عبدالقادر: عودة إلى نقش عبدان الكبير (٢)، حولية ريدان، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، العدد٧.

١٩-بافقيه، محمد عبدالقادر: توحيد اليمن القديم، ترجمة: علي محمد زيد، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٠-بلفقيه، عبدالله بن حسن: صفحات مجهولة من تاريخ حضرموت، تحقيق: مصطفى العطاس، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط١، ٢٠٠٥م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢١-بلفقيه، حداد أبوبكر: تريم اسم في ذاكرة الزمن، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، العدد ٣٠٠، أغسطس – سبتمبر ٢٠٠١م.

٢٢-بيستون وآخرون: المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، دار نشر بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٢٣-حبتور، ناصر صالح، وحسين، أسوان محمد: عامل نشوء المراكز والمدن في اليمن القديم، مجلة سبأ، جامعة عدن، عدن، العدد (١٨ -٢٠) أبريل ٢٠١٣م.

٢٤-حبتور، ناصر صالح: أسماء الأماكن في نقش عبدان الكبير، مجلة سبأ، جامعة عدن، العدد (١٨- ٢٠)، أبريل ٢٠١٣م، عربش، منير، والسقاف، عبدالرحمن: نقش جديد من عهد يدع أب ذبيان يهنعم ملك قتبان ويدع أب غيلان ملك حضرموت، حولية ريدان، العدد (٧)، عام ٢٠٠١م.

٢٥-عبدالله، يوسف محمد: أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر، دمشق – بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

٢٦-غاجدا، إيفونا: جنوب الجزيرة العربية موحدًا تحت راية حمير، في ضمن كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، ترجمة: بدر الدين عردوكي، باريس – دمشق، ١٩٩٩م.

فرانتسوزوف، سرجيس: تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، ترجمة: عبدالعزيز بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.

المعتقدات والطقوس الدينية بحضرموت قُبيل الإسلام

علي سالم علي باهادي

نائب مدير مركز الرناد للتراث والآثار والعمارة

تريم ـ حضرموت

المقدمة:

تُعَـدُّ ظاهرتا التدين والعبادة جزءًا من حاجات النفس البشرية، وقد زُرِعَتا في الإنسان منذ أنْ خلقه الله وأوجده على هذه الأرض، وقد جعلها الإنسان في أوَّليات تفكيره، وكان من بين اعتقاده فيها أنها تجلب له الخير والبركة وتدفع عنه السوء، والإنسان موحِّدٌ بفطرته، لكن عند ابتعاده عن تعاليم الرسل ينحرف بعبادته إلى غير الله، فيرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين.

تستعرض هذه الورقة العلمية الموسومة بـ(المعتقدات والطقوس الدينية بحضرموت قبيل الإسلام) الأوضاعَ الدينيةَ بحضرموت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، في أعقاب سقوط مملكة حضرموت، وتفتُّت كيانها السياسي، وانضوائها تحت لواء الدولة الحميرية التي حاولت توحيد ممالك جنوب الجزيرة العربية.

تتوزَّع الورقة على: مدخل: احتوى على صورة عامة عن حضرموت في تلك المرحلة، ومبحث أول: تناول المعتقدات الوثنية بحضرموت قبيل الإسلام، والطقوس التي تُمارس

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

تبعًا لتلك العبادات الوثنية، ثم مبحث ثانٍ: تناول الديانات التوحيدية بحضرموت عشية ظهور الإسلام، والأخلاقيات التي ترتقي إلى أن تكون تعاليم إسلامية مارسها الحضارم قبل الإسلام، واختُتمت الورقة بخاتمة.

ما زال الغموضُ يشوبُ الكثيرَ من مراحل تاريخ حضرموت القديم، خاصة الجانب الديني، وقد لاحظ ذلك الإشكال الكُتّاب الذين اعتمدنا على مؤلفاتهم في هذه الورقة، أمثال الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه في كتابه (تاريخ اليمن القديم)، والباحث التونسي بناجي العبدولي في كتابه (قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية)، وكذلك الباحث الروسي سرجيس فرانتسوزوف في كتابه (تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده). وقد ردُّوا ذلك الغموضَ إلى شحة المصادر النقشية، وقلة التنقيبات الأثرية، واقتصار الكثير من مادة النقوش الشحيحة التي تم العثور عليها على ذكر الحوادث السياسية أو النذور التي تقدم للآلهة الوثنية. وتُعَدُّ الدراسة التي قام بها الباحث جمال الحسني (الإله سين في ديانة حضرموت القديمة) من أهم الدراسات الحديثة التي أعطت مادة تحليلية عن ديانة حضرموت والإله سين وفق النقوش. أما المصادر العربية القديمة التي تم الاعتماد عليها أيضًا فإنَّ مادتها الدينية -على أهميتها- تعطي لمحة موجزة، ولا تقدم للباحث تفاصيل عن المعتقدات والشعائر التي يقوم بها السكان.

كل الشكر والتقدير لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وإدارته الموقَّرة على الجهود الجليلة التي يقومون بها في سبيل حفظ تراث حضرموت وتوثيق تاريخها المجيد، وعلى جهدهم في الدفع بالباحثين الشباب نحو الكتابة الجادَّة في تاريخ حضرموت.

تقع حضرموت في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية، وقد اختلف المؤرخون اختلافًا كبيرًا في حدودها، ويرجع ذلك إلى الناحية السياسية في الأكثر، وقامت على أرض حضرموت في الألف الأول قبل الميلاد مملكة امتدَّت لمساحات واسعة من جنوب الجزيرة العربية، وتبوَّأت مكانةً بارزةً بين ممالك جنوب الجزيرة المجاورة لها، وقد قطع اسمها مئات من الأميال قبل الميلاد، فبلغ مسامع اليونان والرومان، وسجَّله كتّابهم في كتبهم لأول مرة في القارة الأوروبية، وكُتِبَ لذلك التسجيل الخلود حتى اليوم، ولكن سجلوه بشيء من التغيير والتحريف، اقتضته طبيعة اختلاف اللسان، أو سوء السماع، أو طول السفر.

في مطلع القرن الرابع الميلادي أصاب تجارة اللبان والبخور شلل تام بفعل اعتناق الإمبراطور البيزنطي (قسطنطين الكبير) المسيحية، وجعلها الدين الرسمي للإمبراطورية، وهذا الأمر أثر سلبًا في تجارة البخور واللبان الذي أخذ يفقد صفة القداسة؛ نظرًا لانحسار المعتقدات القديمة التي كانت تستخدم البخور في الصلوات والطقوس الأخرى، وأدّى ذلك إلى تدهور مملكة حضرموت، إضافة إلى الصراعات التي كانت تشهدها ممالك جنوب الجزيرة في ما بينها، وكان من نتائجها انهيار تلك الممالك القديمة، وبروز قوى محلية جديدة كحِمْيَر، ودخول قوى أجنبية إلى الساحة كالفرس والأحباش.

وأرجع بعض علماء العربيات الجنوبية سقوط مملكة حضرموت واندماجها كُلِّيًّا في مملكة سبأ وذي ريدان في أيام (شمر يهرعش) إلى ما بعد السنة ٣٠٠م، وذهب بعض

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الباحثين إلى أن سقوط حضرموت كان في القرن الرابع بعد الميلاد فيما بين سنة ٣٣٥م وسنة ٣٧٠م[١]. وعقب وفاة شمر يهرعش الذي تميز عهده بالقوة حدثت ثورة كبيرة في حضرموت، ربَّما أراد الحضارمة الانفصال عن الدولة المركزية، والعودة إلى مملكتهم التي أزالها شمر يهرعش، وأخذت حِمير تعلن النفير لاستعادة حضرموت، فاشترك جيشا الدولة الحميرية -وهما الخميس أي (النظامي) وجيش الأعراب أي (البدوي)- في القضاء على تمرُّد قبائل حضرموت، كما جاء في نقوش (إرياني ٣٢، وإرياني ٣٩)[٢].

وبعد أن ضعفت الدولة الحميرية أخذت المدن والمستوطنات الحميرية تنفصل عنها تباعًا، وأخذ زعماء القبائل والأقيال والأذواء يستقلّون بما تحت أيديهم من أراضٍ وأودية[٣]، وقد ضعفت دولة الحميريين بعد استيلاء الأحباش على اليمن، وفي المدة التي تسبق الإسلام مباشرة كان حكم حضرموت في يد قبيلتي حضرموت وكندة، ولكلٍّ من القبيلتين ملوك و أمراء، والواقع أن تسميتهم بملوك إنما هو تجوُّز؛ لأنهم مشايخ عشائر وإقطاعيون نعتوا أنفسهم بالملوك، وكثيرًا ما سمَّتِ العربُ مشايخَها الأقوياء بالملوك[٤].

وقد نزحت قبيلة كندة تاركةً ديارها الأصلية في وسط الجزيرة العربية، ويبدو أنَّ تدهور الأوضاع في حضرموت قد شجعها على ذلك النزوح، فنزلت كندة في اثنين من

(١)علي: جواد، المفصل، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٠.

(٢)بافقيه: محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١٤٦.

(٣) الحامد: صالح بن علي، تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م، ج١، ص١٤.

(٤) الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٩٤م، ص٦٠.

أودية حضرموت: وادي دوعن، ووادي العَبْر[1]، ثم تفرَّقوا في قرى حضرموت ومدنها، فكان بنو عمرو بن معاوية في مدينة تريم، ونزل بنو الحارث الملك في دمُّون، وجاوروا بها إخوانهم من الصَّدف[2].

وأخذت الصراعات القبلية في حضرموت تزداد في أعقاب نزوح قبيلة كندة إليها، فكانت علاقة أقيال حضرموت مع كندة هي الحرب، وقد دخلوا في حروب كثيرة حتى كاد الفناءُ يَعُمُّهم، وكانت الغلبة في الأكثر لكندة، وقد تتحدَّان معًا ضد الغزو الخارجي[3]، ولم يحجز بينهما إلا ظهور الإسلام[4]، بالإضافة إلى العلاقات المضطربة مع القبائل المجاورة سِلْمًا وحَرْبًا، فقد كانت كندة في حالة نزاع مع مذحج، وقد نشبتْ بينهم الغارات المتبادلة إلى حدِّ أن ملك كندة قيس بن معد يكرب والد الأشعث بن قيس قدْ قُـتِـلَ في معركة مع (مُراد) المذحجية، وكانت قبيل البعثة بحوالي خمس سنين، وقد أراد الأشعث أن يثأر لأبيه فوقع في الأسر، فافتدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ولم يُعرَف أنَّ أحدًا افْتُدِيَ بمثل هذا الفداء من العرب[5].

(١) الهمداني: الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٩٩٠، ص١٦٨.

(٢) العبدولي: بناجي، قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية، دار حضرموت، المكلا، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٦.

(٣) الشاطري: مرجع سابق، ص٦١.

(٤) الشجاع: تاريخ اليمن في الإسلام، ص٣٦.

(٥) الشجاع: مرجع سابق، ص٤٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

٢- المعتقدات الوثنية بحضرموت قبيل الإسلام:

عرف الحضارم عدَّةً من المعتقدات الوثنية قبيل الإسلام، وشاركوا سُكَّانَ المجتمعات المجاورة لهم في الكثير منها، وانفردوا ببعضٍ منها، ومارسوا طقوسًا وثنية مختلفة، وقد أسهمت الديانات التوحيدية عند دخولها حضرموت في إزالة تلك الرواسب الوثنية.

٢/١ عبادة الأجرام السماوية:

تُعَدُّ عبادة الأجرام السماوية والكواكب إحدى الديانات التي انتشرت في حضارات العالم القديم، وكانت الديانة اليمنية القديمة ديانة فلكية، أي إنها تقوم على عبادة آلهة تجسدها أجرام سماوية، تمامًا كبقية الشعوب العربية أو السامية الشمالية، ومهما اختلفت أسماء الآلهة عند قبائل اليمن وممالكها؛ فإنه يمكن إدراجها تحت أحد أجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر(١).

وانتشرت في حضرموت عبادة القمر، وسمي بالإله (سين)، وانتشرت معابده في طول البلاد، ووجدت الكثير من النقوش في أنقاض وخرائب المعابد والمستوطنات الحضرمية تحتوي على نذور وإهداءات للإله سين، وذلك في حقبة ازدهار مملكة حضرموت، لكن مع سقوط حضرموت في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، ودخولها في إطار الدولة الحميرية، اختفت تلك النقوش النذورية المهداة للمعابد، ومع ضياع الاستقلالية السياسية للمنطقة انقرضت العبادات المرتبطة بالآلهة

(١) بافقيه، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

المحلية، ولا سيما (سين) الإله الرئيس والرسمي لمملكة حضرموت القديمة، وكان انتشار الديانتين اليهودية والمسيحية في جنوب الجزيرة العربية ومن ضمنها حضرموت كالضربة النهائية لديانات الشرك التقليدية في المنطقة(١).

أما قبيلة كندة التي نزحت إلى حضرموت في تلك الأثناء فلم يكن وضعها الديني بغريب عن السكّان المحليّين، إذ تشير المستندات التاريخية إلى أن ديانة الكنديين تجسدتْ من خلال الإله (كهل) المعبود الرئيس لأهل (قرية)، حيث كانت تقيم كندة في دهرها الأول، و(كهل) هو إله (القمر) عند الحضارم، وكان في هيئة رجلٍ مُسِنٍّ، وبغير هذه الإشارة فإنَّ الرقوم اليمنية لا تُسْعِفُنا بشيء البتَّة عن ديانة كندة القديمة، لتبقى معلوماتنا رهينة لما روتْه لنا المصادر العربية على اقتضابها وتأخرها، ويبدو أن الكنديين قد كانت تتجاذبهم دياناتٌ متعددة، إذ تعايشتْ معهم الديانة الوثنية والتوحيدية في الوقت ذاته(٢).

٢/٢ عبادة الأصنام:

إنَّ عبادة الأصنام هي إحدى الديانات الوثنية القديمة، وقد انتشرت في مناطق مختلفة، وكان نبي الله نوح هو أول رسول بعثه الله لإعادة البشر إلى الطريق السويِّ بعد أن انحرفوا إلى عبادة الأصنام، ويبدو أنَّ الصلات التجارية بين تجار وسط الجزيرة وبلاد الشام والرافدين قد أدخلت تلك الأصنام إلى شبه الجزيرة العربية ومكة المكرمة، إذ تشير كتب السنة النبوية إلى رجل يُدعى عمرو بن لُحيٍّ بأنه أوَّل من أدخل الأصنام إلى مكة.

(١) فرانتسوزوف: سرجيس، تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي قبيل الإسلام وبعده، ترجمة الدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل، ط١، ٢٠٠٤م، المعهد الفرنسي للآثار، ص ٨٢.

(٢) العبدولي: بناجي، قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية، دار حضرموت، المكلا،ط١، ٢٠١٠م، ص ٤٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويبدو أنَّ غياب السلطة المركزية، وسقوط الكيان السياسي بحضرموت، ودخولها في إطار التبعية لقوى خارجية، قد سمح بدخول تلك العبادات الوثنية إلى المنطقة، وانتشارها على حساب الديانة القديمة.

ومع ذلك تعايشت المعتقدات الوثنية للبدو الرُّحَّل النازحين من وسط الجزيرة العربية جنبًا إلى جنب مع بقايا عبادات الشرك للسكان الحضارمة الأصليين، ومع ديانتي التوحيد اليهودية والمسيحية اللتين دخلتا إلى المنطقة مُزيحتَيْنِ مِن أمامهما الوثنية القديمة[1].

تذكر المصادر العربية القديمة عددًا من الأصنام التي عبدها الحضارم، ودارت حولها بعض الطقوس والعبادات والنذور، وهي أصنام يشترك في عبادتها مجموعة قد تكون قبيلة أو عدَّة من القبائل:

١ـ صنم ذريح: الذي عبدته حضرموت، وكان بحصن النجير في حضرموت، وكانت تلبيته: (لبّيك اللهمّ لبّيك، كُلُّنا كنود، وكلنا لنعمه جحود، فاكفنا كُلَّ حيّةٍ رصود)[2]. والملحوظ في هذه التلبية استخدام كلمة كنود بمعنى (العصاة)، وذلك لمقاربتها في النطق مع كلمة كندة المشتركة معها في الجذر، ولا نجد في المصادر ما يوضح نوع الإله الذي يمثِّله ذريح المذكور، وقد أرجعه أحد الباحثين إلى الفعل اليهودي (زرح)، والآرامي (دنح)، بمعنى أشرقت الشمس أو سطعت، وضمه آخر إلى مجموعة الآلهة الكوكبية[3].

(١) فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص٨٢.

(٢) العبدولي، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٣) فرانتسوزوف، مرجع سابق ، ص ٨٤

يتضح ممَّا سبق أن حصن النجير[1] الذي هو معقل كندة، وكان آخر مراكزهم في حروب الرِّدَّة بحضرموت، لم تكن له أهمية حربية وعسكرية فقط، بل كانت له أهمية دينيَّة أيضًا.

٢ـ **صنم مرحب:** وعبده الحضارمة، وزعموا أنَّ له سَادِنًا اسمه (ذو مرحب)، مثله مثل أيِّ صنم كان في وسط الجزيرة العربية، ويعني (ذريح) في النقوش العربية المتأخرة اسمًا لمبنًى معيَّن. وتوجد بالمتحف الوطني بمدينة عدن قطعة حجرية بها نقش يذكر (شمسم بعلت مرحبم). وإذا حكمْنا من شكل الحجر الذي هو عبارة عن صخرة معمولة بشكل رديء، كانت تقع بجانب صخرة كبيرة عبارة عن بيت إيل أي بيت إله؛ فإنَّ مصطلح (مرحبم) في هذه الحالة يجب فهمه على أنه موضع طبيعي، وليس مبنًى للعبادة.

٣ـ **صنم الجلسد:** وهو صخرة بيضاء لها ما يشبه رأس أسود، إذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه إنسان، وكان له حِمًى ترعى فيه بحرية تامة الإبل التابعة له، ويفقد المالك حقَّ ملكيته لحيواناته إذا اضطرها الجوع لأن تدخل في حمى الجلسد.

وهنالك عادات وطقوس يجب القيام بها قبل الوقوف أمام الجلسد لطلب مساعدته في الشؤون اليومية، فللعثور على الإبل الضائعة يجب أخذ ثوبين نظيفين من السَّدَنَة ولبسهما، ويعد الدخول إلى المعبد في جنوب الجزيرة في ثياب نجسة ذنبًا يجب على صاحبه التوبة منه، ويعد ذلك الطقس شبيهًا بالوضوء في الإسلام، وهو يرمي إلى

(١) اختلف المؤرخون في موقع حصن النجير، ورجح الكثير أنه يقع شرقي تريم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الغرض نفسِه، ألا وهو بلوغ الطهارة الطقوسية، ويمكن مقارنتها كذلك بالعادة الكنعانية التي تُوجب لبس ملابس خاصة عند التعبُّد للإله (بعل)، وتُـقَـدَّمُ الحيواناتُ كالإبل أضاحيَ للجلسد، ويُطْلَى الصنم بدم الأضاحي، وتصاغ الطلبات والتضرُّعات إليه بعبارات مسجوعة. ويجب إحناء الرأس عند الاقتراب من الجلسد، ويعكس ذلك بيت من الشعر الجاهلي قاله المثقب العبدي أو عدي بن ودّاع:

فبات يجتاب شقارى كما بيقر من يمشي إلى الجلسد[١]

والفعل آتٍ على الأرجح من اسم (بقر)، وتعني في أصلها (مشية يُطاطئ فيها الرجلُ رأسَه). وتشير الطقوس المرتبطة بعبادة هذا الصنم إلى أنه كان حاميًا للمواشي، وقد كان هذا المعبود موجودًا بأشكال مختلفة لدى الشعوب والقبائل السامية. أمَّا اسم (الجلسد) فيمكن إرجاعه إلى (جسد) أو إلى (الجلمد) التي تعني الصخرة أو الإنسان القوي[٢]. وقد اختص بسدانة الجلسد بيت بني علاق من بني شكامة بن شبيب بن السكون من كندة، وكان له حِمًى من الأرض[٣]. وعلى الرغم من الأساطير التي تدور حول الجلسد فإنَّ الوصف التفصيلي للصنم نفسه، وطقوس عبادته، لا يترك شَكًّا في وجوده الفعلي.

(١) ابن الكلبي، هشام، كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، ص ١٠٨.

(٢) فرانتسوزوف، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٣) العبدولي، مرجع سابق، ص ٤٨.

٤ـ ذو الخلصة: ويقع بتبالة موضع بين مكة واليمن، وهو منحوت من حجر أبيض عليه ما يشبه التاج، وكان سدنته بني أمامة من باهلة بن أعصر، أما عن موقعه اليومَ فعتبة باب مسجد تبالة، على ما يذكر الكلبي[١]. ويُرْوَى أنَّ امرأ القيس الكندي استقسم عند صنم يُدْعَى ذا الخلصة. ويوحي ذلك بانتشار الوثنية في كندة قبل الإسلام[٢].

٥ـ العُـزّى: ويقع خارج حضرموت، لكن شهرته قد جعلته يصل إلى الكثير من القبائل في الجزيرة العربية، ويعد من أعظم الأصنام عند قريش؛ إذ كانت قريش تُقَدِّم له الذبائح، وتسمي أبناءها به، وتقصده بالزيارة[٣]. ويبدو أن عبادته قد انتقلت مع القبائل النازحة إلى حضرموت من وسط الجزيرة العربية، وفي المخربشات الحضرمية كثيرًا ما نقابل اسم الإله العزَّى[٤].

ذكر المؤرخون أيضًا أصنامًا عبدها الحضارم، وهي أشبه ما تكون بالأصنام الشخصية، فقد ذكر علماء السِّيَر أن من أسباب وفادة وائل بن حجر وإسلامه قصَّةً حدثتْ له مع صنمه الذي يضعه في مخدعه. ويذكر الشاطري نقلًا عن المؤرخ أحمد دحلان أنَّ صنم وائل كان من العقيق[٥]، وقد سمع منه هاتفًا، ودار بينهما حديث في قصة

(١) ابن الكلبي، هشام، كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، ص ٣٤- ٣٥.

(٢) العبدولي، مرجع سابق، ص ٤٨.

(٣) ابن الكلبي: كتاب مصدر سابق، ص ١٨.

(٤) فرانتسوزوف، مرجع سابق، ص ٨٣

(٥) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعارف، ص ١٠٧

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

طويلة رواها أهل السير والحديث. ويتضح من قصة صنم وائل اهتمام الحضارم باقتناء الأصنام، ويبدو أن مكانة وائل بن حجر الاجتماعية قد جعلته يمتلك صنمًا من العقيق، وقد حطّم وائل صنمه هذا قبل ذهابه إلى المدينة وإعلان إسلامه.

٢/٣ طقوس وسلوكيات وثنية:

لم تصل إلينا الكثير من النصوص الدينية المطوَّلة من قصص وأساطير وأدعية وصلوات، كما هو الحال في الشعوب السامية الأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الكتابة الحجرية على الأحجار، التي التزمت الإيجاز في كل ما تعرَّضت له من موضوعات دينية ودنيوية، ومع ذلك فإنَّ النصوص على إيجازها صِيَغٌ تكاد تكون جامدة ومكرَّرة، تدلُّ دلالة قوية على عمق الشعور الديني[١]، لكنْ على الرغم من شحَّة المعلومات في تلك المصادر التي لم تبين الكثير من الطقوس التي أداها الحضارم في عبادتهم الوثنية؛ فإنَّه يمكن إيجازها في الآتي:

أ ـ السحر: وكان منتشرًا بحضرموت؛ إذْ كانَ الاعتقاد في السحر والسحرة شائعًا في النّاسِ، حسبما ذكره ابن سعيد المغربي وابن خلدون في مؤلفاتهما[٢]. وقد ذكرتْ لنا بعضُ المصادرِ وجود السحرة في أوساط قبيلة السكاسك الذين كانُوا يُوهِمُونَ النّاسَ باستطاعتهم إيقاف السحابة الماطرة، وجلب السيول المفاجئة[٣]، وحاول السكان حماية

(١) بافقيه، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

(٢) ابن خلدون: عبدالرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، د. ت، ج٢، ص ٢٧٦.

(٣) فرانتسوزوف، مرجع سابق ، ص ٨٦.

أنفسهم من تلك القُوى الخارقة من خلال وضع التمائم على الرقاب، التي هي من سن الثعلب، وتبدو أقرب إلى شكل الهلال[1] الذي يرمز إلى إله القمر.

ب ـ الكهانة: لقد وُجِدَ الكهنة في القبائل الحضرمية قبل الإسلام، وكان مركزهم الاجتماعي، وكذا علاقة الآخرين بهم، في أشد الاختلاف. ومن هؤلاء الكهنة الكاهن الغني المشهور (خنافر بن التؤام الحميري) الذي كان يملك قوات محاربة خاصة به، وقد دخل في حلف مع الزعيم المهري القوي (جودان بن يحيى القرضمي)، كذلك الكاهنة (زبراء)، وهي جارية مقطوعة النسب، وهي من مولدات العرب، ويبدو أن وضعها الاجتماعي قد جعل تكهناتها محل سخرية الناس[2]، وكان الكهنة يتدخلون في الحياة العامة بصور مختلفة، ويتميزون بمكانة مرموقة[3]. وكانت كندة تستخدم النسيء، بل قيل كانت أول من استخدمه[4].

ج ـ الصيد المقدَّس: في بداية العصور التاريخية في جنوب الجزيرة العربية انتشرت مناظر صيد الوعول، وكانت ترافق ذلك الصيدَ طقوسٌ وشعائرُ دينيةٌ موسميةٌ، امتدت إلى بداية الديانة الكوكبية في جنوب الجزيرة، وأصبح تقديس الوعل وصيده من الشعائر الدينية التي يقوم بها الملك، وظهرت لوحات برزتْ فيها عمليات صيد الوعل،

(١) بافقيه، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

(٢) فرانتسوزوف، مرجع سابق ، ص ٨٦.

(٣) بافقيه، مصدر سابق، ص ٢٠٧.

(٤) العبدولي، مرجع سابق، ص ٥٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وزُيّـنَتْ بها أعمدة المعابد وجدرانها. وبعد أن تطورت وسائل الإنتاج، وتحسنت الظروف الاجتماعية، وأخذت الديانات التوحيدية تنتشر شيئًا فشيئًا في ربوع الجزيرة العربية؛ بدأت مهنة الصيد لا تؤدي غرضها الديني، بل أصبحت عادة بين المجتمعات كنوع من القوة والزعامة والتفاخر بين العرب. ونظرًا لما يمثله الوعل من مظاهر الشموخ والقوة؛ فقد اتخذته بعض حضارات جنوب الجزيرة رمزًا مقدَّسًا للإله (عثتر)، وهو إله الزهرة، وله مكانة عالية في نفوس سكان جنوب الجزيرة العربية.

ولأن مجتمعات جنوب الجزيرة زراعية؛ فقد كانت تقوم بالصيد المقدَّس بصفته أحد الطقوس الدينية التي تُرضي الإله؛ كي يمنَّ عليها بالخير والبركة. وعلى حسب اعتقادهم فإنَّ أداء الصيد المقدس يجلب لهم نزول المطر الذي يروُون به الأرض، وتحلّ به النعمة، وإهماله قد يؤدي إلى غضب الإله. وكان يرافق الصيد المقدس بعض الاحتفالات قبل الصيد وبعدَه، ويعمُّ الفرح جميع من خرج في الرحلة، بالإضافة إلى اعتقادهم بأن صيد الوعل يجلب خصوبة الأرض. ويتّضح أن المناطق التي تناسب عيش الوعول تكون من أفضل المناطق الزراعية[1]. وقد عرفت حضرموت الصيد منذ القدم، تدل على ذلك الرسوم الصخرية ورسوم المنحوتات، وتقدّم تلك النقوش معلومات عن وجود طقس الصيد الملكي في حضرموت القديمة. وما زال الناس في حضرموت يمارسون صيد الوعل، ويستبشرون عند صيده بدورة زراعية جيدة[2]. ويذكر الأستاذ محمد بافقيه أن

(١) طعيمان، علي مبارك، صيد الوعول نشاط مقدس في ديانة جنوب الجزيرة العربية (قديمًا)، ص ١٤٤.

(٢) الحسني، جمال محمد، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، دار جامعة عدن، ط ١، ٢٠١٤م، ص١٥٠.

من المعتقدات القديمة التي ما زالت باقية إلى اليوم وضع قرني الوعل في زوايا المنازل من الخارج، أو وضعها على بعض القبور، كما يُشاهد في مدافن شبوة الحديثة، وقرنا الوعل كقرني الثور يُذكِّران بالهلال[1] رمز الإله القمر.

وقد اختفى ذلك الطقس الديني مع انتشار الديانات التوحيدية في حضرموت، لكن العادة ظلَّت مستمرة، وما زال قنيص الوعول يستهوي الكثير من الناس، ويُـعَـدُّ من الرياضات الشعبية التي يقوم بها السكان، وتُستقبَل جموع العائدين من القنيص في أطراف المدن بالأهازيج، ويعُـمُّ الفرح، وتُزَفُّ المواكب إلى داخل ساحات المدن، وتُوضَع قرون الوعول على البيوت للتفاخر والزينة، وبقيت العادة بشكلها الاجتماعي الشعبي منذ تلك العصور، واختفى الارتباط الديني فيها.

د ـ الزجر: وهي عادة جاهلية انتشرت بين الكثير من القبائل العربية، وتقوم على زجر الطير أو الوحش، وملاحظة الناحية التي يسلكها، ليبني الزاجرُ على ذلك تفاؤله أو تشاؤمه. وقد كان هذا الاعتقاد منتشرًا لدى سكان حضرموت الأصليين، فبحسب رواية علقمة وعبدالجبار ابني القَيل وائل بن حجر؛ فإنَّ والدهما كان من مشاهير الزاجرين[2]. وعلى الرغم من أنّ الإسلام يعد الزجر من بقايا الوثنية الجاهلية فإنَّه تُذكر لوائل بن حجر قصة في ذلك بعد استقراره في الكوفة بعد الإسلام.

(١) بافقيه، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

(٢) الشاطري، الأدوار، ص ١٠٨. فرانتسوزوف، مرجع سابق، ص ٨٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

هـ - جز النواصي: وهي من عادات الأعراب في الجاهلية، إذ يُجَزُّ شعر الناصية قبل الدخول في المعركة إشارةً إلى الاستعداد للموت من أجل حِمَى القبيلة، وعدَّه البعض ذا معنًى طقوسي يتمثل في تقديم خصل الشعر المجزوز أضاحيَ للآلهة الوثنية. وفي يوم النجير مع أحداث الرِّدَّة قام رجال كندة بجزِّ نواصيهم التي كانت رمزًا لتساوي الجميع، وتنادَوْا فيما بينهم لقتال المسلمين، وقاموا بتعليق نواصيهم بعد جزِّها على أسنَّة الرماح، وأقسموا أن يموتوا بشرف وعزة، حسب ما أورده فرانتسوزوف نقلًا عن ابن أعثم الكوفي[1].

أمَّا فيما يتعلق بطقوس دفن الموتى في حضرموت قبل الإسلام؛ فالمعروف عنها قليل جدًّا، فلقد كان الميت يُوارى في الثرى، ويُعَدُّ عدم دفنه إهانةً بالغةً له[2]. وكان عرب الجنوب لم يبدوا عنايةً بإنشاء المقابر مثل عنايتهم بتشييد المعابد، وفي أثناء الحفريات الأثرية تم الكشف عن أنماط من طرق الدفن، وتُوجَد في عددٍ من القبور نُصُبٌ على هيئة أعمدة ملساء، يُكتَب في الجهة الأمامية منها اسم المتوفَّى، وتحته يوجد مكان مربع قد ينتهي بجزء صغير لرسم المتوفى[3].

(١) فرانتسوزوف، مرجع سابق ، ص ٨٧.

(٢) نفسه، ص٨٧.

(٣) بافقيه، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

٣- الديانات التوحيدية بحضرموت قبل الإسلام:

تعود صلة حضرموت بالديانات التوحيدية إلى أزمان بعيدة، فقد أشار الكثير من الأخباريين العرب والمفسرين إلى أن بلاد الأحقاف التي ذُكرت في القرآن الكريم، وكانت محلَّ بعثة النبي هود -عليه السلام- هي بلاد حضرموت، كذلك استقر بحضرموت نبي الله صالح -عليه السلام- وبها دُفِن، وتُوجَد قبور في مناطق مختلفة من حضرموت تُنسَب إلى أنبياء بعثهم الله وأدركتهم المنيَّة بحضرموت، والأنبياء هم دعاة التوحيد والإيمان بالله الواحد.

٣/١ الديانة اليهودية:

في عام ٧٠ ميلادية وفد من فلسطين فرارًا من حكم الإمبراطور الروماني تيتوس (Titus) كثيرٌ من اليهود إلى اليمن، ووجدوا بلدًا آمنًا يأوون إليه، ومكانًا حصينًا يقيمون فيه، وبعد مضيِّ مدَّةٍ قصيرةٍ من الزمن تمكّنوا من السيطرة على مرافق اليمن التجارية، وكان اليمنيون في شغل شاغل بأنفسهم وبحروبهم الداخلية وتدمير بعضهم بعضًا!

وكان أول من اعتنق اليهودية من ملوك اليمن المتأخرين الملك أسعد الكامل، الذي حكم اليمن من عام ٣٨٥ إلى ٤١٥ بعد الميلاد، وتبعه جماعة من أصحابه في اعتناق اليهودية [١].

(١) بامطرف، المختصر في تاريخ حضرموت العام، ص١٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وربما أتت تلك الهجرة إلى اليمن لوجود جماعات من القبائل اليمنية آمنتْ باليهودية من قبل، فليس من المعقول أن تأتي تلك الجماعة اليهودية من غير سابق تخطيط ولا تدبير إلى مكان مجهول بالنسبة إليها.

وفي تلك المدة بدأت تنتهي عبادة الآلهة الكوكبية، وظهرت مرحلة الديانة السماوية التي استمرت بين عامي (٤٩٣م ـ ٦٦٩م)، وبدأت النقوش الجنوبية تذكر أسماء الآلهة الرسمية، وأصبح الدعاء باسم (رب السماء) أو (إله السماء والأرض) أو (رحمنن) أي الرحمن. ومنذ منتصف القرن الرابع الميلادي كان قد تم بناء الكنائس في حضارة جنوب الجزيرة العربية، إذ اشتدّ الصراع، وبدأ العنف الديني، خاصةً ما حدث في عهد الملك (يوسف أسار) المعروف في المصادر العربية بذي نواس الذي اعتنق الديانة اليهودية[1].

وفي حضرموت انتشرت الديانة اليهودية، لكن لا توجد معلومات ذات شأن عن بداية تغلغلها في حضرموت، لا في المصادر النقشية، ولا في مدونات التاريخ، ويبدو أنها أتتْ مع قبيلة كندة التي سرتْ إليهم أيام اتصالهم بالتبابعة أو من مجاورة اليهود في يثرب عندما كانوا ملوكًا على قبائل معد[2]. ولم تنتشر الديانة اليهودية في حضرموت بفضل الدعاة اليهود من السكان المحليين فحسب، بل بواسطة البدو النازحين من وسط الجزيرة العربية أيضًا.

وينقل الباحث الروسي فرانتسوزوف عبارةً من مخطوطة تاريخية للسيد علي بن حسن العطاس، يذكر فيها أنه "كانت قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- جالية

(١) طعيمان، علي مبارك، صيد الوعول نشاط مقدس، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٢) العبدولي، مرجع سابق، ص ٤٨.

يهودية بمدينة حريضة، أزاحتها من المدينة قبائل السكون فيما بعد". وعلى الأرجح أنَّ غالبية أعضاء هذه الجالية يعودون إلى السكان الأصليين[1]. و يذكر ابن عبيداللاه السقاف نقلًا عن شخص لم يُسمِّه، يقول: إنَّ (حريضة) مصحَّفة عن (قريظة). ودلّل على ذلك بأنها كانتْ مسكن اليهود قبل البعثة بأربعمائة سنة، وفي نقله عن مذكرات أحمد بن حسن العطاس يذكر أنَّ حريضة كانت لليهود قبل النبوة، فأسلموا بكتابه صلى الله عليه وسلم، ثم ارتدُّوا إلى اليهودية، وبقوا عليها إلى زمان المُهاجر ثم أسلموا[2].

روت المصادر العربية القديمة عددًا من الحوادث التي ترجح أن اليهودية كانتْ متفشية في حضرموت عشيَّة ظهور الإسلام، ولها مكانة بين السكان، من ذلك:

ـ ما ذكره ابن سعد وابن حجر عن حكاية المرأة الحضرمية من منطقة تنعة، الواقعة بالقرب من برهوت، التي آمنت وخاطت للرسول صلى الله عليه وسلم كسوةً حضرميَّةً، بعثت بها مع ابنها كليب بن أسد بن كليب، الذي وفد على الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة، وأعطاه هدية أمه، وقال فيه شعرًا يمتدحه:

من وشز برهوت تهوي بي عذافرةٌ إليك يا خير من يحفى وينتعلُ
تجوب بي صفصفًا غبرًا مناهله تزداد عدوًا إذا ما كلَّتِ الإبلُ
شهرين أعملها نصًّا على وجلٍ أرجو بذاك ثواب الله يا رجلُ
أنت النبيُّ الذي كنا نخبَّرهُ وبشرتنا بك التوراة والرسلُ[3].

(١) فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص ٨٩.

(٢) السقاف، إدام القوت، ص ٢٨٤.

(٣) ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٢٨٩. السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، ص ٤٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

تتشابه تلك الحكاية مع حكايات لوفود آخرين التقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، لكن البيت الأخير من القصيدة يشير إلى أن قائلها يهودي، والأرجح أنه ينتمي إلى الحضارم الأصليين في المنطقة مثله مثل غيره من سكان تنعة، ويعلّل كليب دخوله في الإسلام بما ذُكر في التوراة عن قدوم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويدلُّ ذلك على تعمقه في استيعاب نصوص العهد القديم.

ـ حكاية النزاع الذي حدث بين الملك الكندي الأشعث بن قيس وبين يهودي من حضرموت في قطعة أرضٍ صغيرة، وجرى التحاكم فيها لدى الرسول صلى الله عليه وسلم، وتدل تلك الحكاية على قدر التأثير الملحوظ للجالية اليهودية بحضرموت قبل الإسلام(١)، وعلى مدى التعايش بين أتباع الديانات من القبائل الحضرمية، فكان بإمكان الملك الأشعث انتزاع تلك الأرض من ذلك اليهودي بحكم قوته وسلطته على فرع كبير من كندة، لكنه فضَّل أخذها بالقضاء والتحكيم.

ـ حكاية الناقة التي حاولت كندة استردادها من عامل أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن وَسَمَها بميسم الصدقة، وقد رفض زياد بن لبيد العامل الإسلامي ذلك، وظنَّ أنَّه إنما فعل ذلك ليمتنع عن أداء الصدقة، ودار حول ذلك حوارٌ، ثم تطوَّر واتسع النطاق إلى مواجهة عسكرية(٢)، وفي أثناء الحوار بين عامل الخليفة والمتمرِّدين ورفضه

(١) فرانتسوزوف، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) العبدولي، قبيلة كندة، مرجع سابق، ص٨٢.

إعادة الناقة أجابه الزعيم الكندي أبو السميط حارثة بن سراقة بن معد يكرب: "ذاك إذا كنت يهوديًّا". وانطلاقًا من الشريعة اليهودية فإن بإمكاننا القول إن أبا السميط كان يعني بعبارته (قانون العشر اليهودي)، الذي يحرِّم استبدال البهيمة التي أعطيت عشرًا باعتبارها قدسًا للربِّ، "لا يفحص أجيد أم رديء، ولا يبدله، وإن أبدله يكون هو وبديله قدسًا لا يفك". الكتاب المقدس، اللاويين ٢٧:٣٢ـ ٣٣[١].

ومن ذلك يمكن القول إنَّ الحضارم لم يكونوا يدينون باليهودية بشكل سطحي، بل كانت لديهم معرفة بأحكام الشريعة اليهودية وتطبيقاتها، ومن خلال احتكاك أبي السميط الكندي بالجالية اليهودية من كندة جعلتْه يطَّلع على تلك التشريعات، التي يرجح أنها كانت تمارس بين يهود حضرموت.

ومن أشهر اليهود الحضارم الذين وردَ ذكرُهم في المصادر التاريخية: قيس بن معد يكرب (والد الأشعث بن قيس)، وكذا كانت أخته التي ظلّت على يهوديتها حتى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك اليهودية هر بنت يامن، وهي من اللاتي فرحْن بموت الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وعاقبها المسلمون بحزم وشدة على فعلتها تلك[٢].

(١) فرانتسوزوف، مرجع سابق، ص ٩١.

(٢) العبدولي، مرجع سابق، ص٤٩ . فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، مرجع سابق، ص٨٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٣/٢ الديانة المسيحية:

لا يُعرف متى كانت النصرانية قد تفشَّت بين بعض القبائل العربية حتى وصلت إلى نجران في اليمن، ولكن المعروف أنَّ بعض أهالي اليمن اعتنقوا المسيحية عند احتلال الأحباش لليمن في المرة الأولى بين عام ٣٤٠ و٣٧٤ ميلادية [١].

وفي حضرموت يبدو أن انهيار مملكتها قد ساعد بشكل واسع على إحداث تغيرات كبيرة في حضرموت سياسية ودينية، فقد نزح إليها عدد من المجاميع القبلية من وسط الجزيرة العربية، ويشير المؤرخون إلى أن تلك المجاميع أسهمت في نشر الديانات التوحيدية إلى حضرموت، ومنها المسيحية، إذ نجد طائفة من الكنديين تدين بالنصرانية، خاصةً بعد اتصالاتهم بالنصارى إمَّا من خلال علاقتهم بالأحباش في اليمن، وإمَّا من خلال البيزنطيين في الشام، وربما تسرّبتْ إليهم من نجران معقل النصارى باليمن [٢].

وقد وصلتْ إلى حضرموت حملة حِمْيرية في عام ٥١٨ ميلادية، أي: قبل احتلال نجران المركز الرئيس للنصرانية في جنوب الجزيرة العربية، وكان الهدف الرئيس لهذه الحملة مدينة الهجرين الواقعة في وادي دوعن، وقد كانت على الأرجح مركزًا من مراكز الموحدين النصارى، وإلى تلك الحقبة يعود الذكر الوحيد لنصارى حضرموت الموجود في (رسالة شمعون من بيت أرشم)، وتوجد علاقات وثيقة بين مسيحيي حضرموت

(١) بامطرف، المختصر في تاريخ حضرموت العام، ص ١٦.

(٢) العبدولي، مرجع سابق، ص ٤٩.

وسوريا في مطلع القرن السادس الميلادي، فقد كان اثنان من القساوسة الأربعة الذين قتلوا في أثناء حملة ذي نواس على حضرموت من قساوسة الأديرة السريانية، وهم مارإيليا ومارتونا. ويوجد من بين السكان المحليين قساوسة، وهذا ما يشير إليه أسماء هؤلاء القساوسة وهو: مار وائل[1]. ومن المحتمل أن وصول القساوسة من بلاد الشام إلى حضرموت قد جعل بعض النصارى الحضارم يتفرغ لتلقي تعاليم الشريعة المسيحية حتى أصبح قسِّيسًا.

وفي قصر الرناد بتريم في أثناء إحدى عمليات الترميم له في القرن الماضي عُثِرَ على قطعة رخامية بها صورة ملاك مجنَّح، وهي الشاهد الأثري الوحيد لوجود الجالية المسيحية بحضرموت، لكننا مع ذلك لا نملك دليلًا على أن تلك القطعة متصلة بمسيحيي حضرموت بالفعل، أو أنها قد أهديت لهم، أو تمَّ جلبها إلى المنطقة غنيمة حرب من منطقة أخرى. وتذكر بعض المراجع المحلية مثل (البرد النعيم) و(صلة الأهل) أنه في إحدى المرات التي تمت فيها عمليات حفر حول جامع تريم القريب من قصر الرناد؛ تم مشاهدة قبور موجهة إلى القبلة العيسوية، وبحكم قرب المنطقتين (الجامع والرناد)، وعند الجمع بين الإشارتين اللتين تؤكد كل واحدة منهما الأخرى؛ فإنه من المحتمل أن تكون بتلك المنطقة آثارٌ أخرى لمسيحيي حضرموت.

(١) فرانتسوزوف، مرجع سابق، ص ٩٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومن أشهر النصارى الحضارم الذين ذكرتْهم المصادر التاريخية: العاقب عبدالمسيح، وهو زعيم كندة بنجران، وأكيدر بن عبدالملك السكوني صاحب دومة الجندل، الذي صالحه الرسول على الجزية، وكان حرملة بن المنذر بن معد يكرب الكندي نصرانيًّا، وكذا كان حجية بن المضرب وبنوه[1].

٣/٣ شعائر وسلوكيات توحيدية:

ظهرت بين الحضارم الكثير من الحدود والأخلاقيات الإسلامية المبكِّرة، تعود بجذورها إلى ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليد في الجاهلية، ومنها:

أ ـ القسم بالله ودعاؤه عند المهمَّات: فقد نقل باحنَّان عن أبي الفرج الأصفهاني حادثة اختطاف الملك السكوني قيسبة بن كلثوم عند خروجه إلى الحج من قبل بني عقيل، إذ مكث عندهم ثلاث سنين مقيَّدًا في الحبس، وأهل اليمن يظنُّون أنَّ الجن قد خطفته! فلمّا طال به المقام رفع طرفه إلى السماء، وقال: اللهمَّ ساكن السماء فرِّجْ ما بي وما أصبحت فيه. ففرّج الله عنه بعد ذلك، في قصة طويلة[2]. وكانت كندة تعرِفُ الأَشْهُرَ الحُرُمَ وتعظِّمها[3].

ب ـ الامتناع عن الزنى والميسر وشرب الخمر: وقد ظهر من بين الحضارم من كانت تسمو أنفسهم عن كثير من تلك الآثام، مثل: عفيف بن معد يكرب الذي امتنع عن الخمر والميسر والزنى، وكان يؤمن بالله[4]، وقد عبَّر عفيف الكندي عن امتناعه عن الخمر بقوله:

---

(١) باحنان، جواهر تاريخ الأحقاف، ج ١، ص ١٢٥. العبدولي، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) باحنان، الجواهر، ص٧٣. الشاطري، الأدوار، عالم المعارف، ص ١١١.

(٣) الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ص ٦٢.

(٤) العبدولي، مرجع سابق، ص ٥٠.

وقالـــــت لي: هلـــــمِّ إلى التصـــــابي
فقلـــــت: عففـــــتُ عمَّـــــا تعلمينـــــا
وودَّعـــــتُ القـــــداح وقـــــد أراني
لهـــــا في الـــــدهر مشـــــغوفًا رهينـــــا
وحرَّمـــــتُ الخمـــــورَ علـــــيَّ حـــــتى
أكـــــون بعقـــــر ملحـــــودٍ دفينـــــا

وقد علل امتناعه عن شرب الخمر بقوله:

فـــــلا والله لا ألفـــــى وشـــــربا
أنـــــازعهم شـــــرابًا مـــــا حييـــــت
أبى لي ذاك آبـــــاءٌ كـــــرامٌ
و أخـــــوال بعـــــزهم ربيـــــت[1]

وكذلك كان قيسبة بن كلثوم السكوني الذي كان منذ نشأته يميل إلى التحنُّث والعبادة[2]. وفي النهاية فاز أولئك بالدخول في الإسلام.

ج ـ حج بيت الله الحرام: اعتادت القبائل العربية على الوفادة إلى مكة لحج بيت الله بطرق وأساليب وضعوها لأنفسهم، وكانت قبائل حضرموت تحجُّ البيت، فكانت

(١) فرانتسوزوف، مرجع سابق، ص٨٩.

(٢) الشاطري، الأدوار، عالم المعارف، ص ١١٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

كندة تعظِّم البيت، وقيل إنهم أفضل مَنْ يحجُّ البيت من اليمن، وكانت تلبيتهم (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك تملكه أو تهلكه، أنت حكيم فاتركه)[1]. وكانت القبائل العربية في الجاهلية تقسَّم على عدد من التجمعات الدينية القبلية التي تختلف طقوس حجها إلى مكة حسب ما ذكره الإخباريون الذين عاشوا في بداية الإسلام، فهناك ثلاث مجموعات:

- قبائل الحُمس: وهم القبائل المتشدِّدة في طقوسها.
- قبائل الحلة: وهم القبائل التي لا تُراعي المحرمات كثيرًا.
- قبائل الطلس: وتضم سكان اليمن وحضرموت، وهم بين الحلة والحُمس[2].

(١) العبدولي، مرجع سابق، ص ٥٠.

((٢)) فرانتسوزوف، المرجع نفسه، ص٨٨. العبدولي، مرجع سابق، ص ٥٠.

الخاتمة:

في القرن الرابع الميلادي حدثت عِدَّةٌ من المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في حضرموت، ففي تلك الحقبة انهار الكيان السياسي لمملكة حضرموت إثر نزاع طويل مع جاراتها ممالك جنوب الجزيرة العربية، بالإضافة إلى كساد تجارة البخور واللبان أهم موارد حضرموت الاقتصادية بعد انتشار الديانات التوحيدية في البلدان المستوردة له، وقد سمح التفكُّك السياسي بدخول مجاميع من القبائل البدوية التي كانت تجوب وسط الجزيرة العربية، واستقرت بحضرموت مُحدِثةً تغيراتٍ في التركيب الاثني والديني للمنطقة.

كان لسقوط مملكة حضرموت دور في تلاشي ديانتها الوثنية القديمة المرتبطة بعبادة الإله (سين)، وسمح ذلك بتنوع المعتقدات الدينية بحضرموت في القرنين الخامس والسادس الميلاديين بين معتقدات وثنية وتوحيدية، لكن ما يُميِّزها أنها تعايشتْ جميعًا ومع بقايا الوثنية القديمة، رغم حالة الاضطراب السياسي بحضرموت خلال تلك الحقبة، والاقتتال شبه المستمر بين القبائل، غير أنه لم تسجَّل حالة صدام مسلَّح بين الطوائف الدينية، وبقيت في حالة من التعايش الديني حتى ظهر الإسلام، وظفر الحضارم بالدخول فيه.

كان لصلات الحضارم التجارية بممالك ودول العالم القديم دور في التعرف إلى الديانتين اليهودية والمسيحية، واشتهر الكثير من الحضارم الذين دانوا بتلك الديانات.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مارس سكان حضرموت في تلك الأزمان عدَّةً من الطقوس الوثنية والتوحيدية ممَّا يدل على تعمقهم الديني، وتدل كثرة المعابد المنتشرة في طول حضرموت التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية على تدين الحضارم منذ تلك العصور، وقد اشتهرت شبوة عاصمة حضرموت الثانية عند الرحالة الغربيين بـ(مدينة المعابد). وكذلك تبيِّن الأشعار التي قيلت قبل الإسلام بحضرموت مدى معرفة الحضارم بالطقوس الدينية المختلفة.

إنَّ حالة التشتت والتفكك الديني التي عاشها الحضارم في القرنين الخامس والسادس الميلاديين قد ساعدت بشكل كبير على تقبُّل الحضارم للإسلام وتعاليمه، والمشاركة في بناء حضارته في مراحل لاحقة.

لا تزال الدراسات العلمية في هذا الجانب شحيحة، وهذه الورقة جهد متواضع قام به الباحث للمشاركة في سدِّ الفجوة العلمية عن تلك الحقبة من تاريخ حضرموت، وإنّني أتقدمُ بالشكر والتقدير لكلِّ من أسدى إليَّ نصحًا أو إرشادًا أو قدَّم معلومةً أفدتُ منها في إعداد هذه الورقة، وإنَّ عملي هذا عملٌ بشريٌّ يعتريه النقص والخطأ، والكمال لله وحده، وأسال الله العلي القدير أن يوفق الجميع لكل خير.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر العربية:

ـ ابن حجر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

ـ ابن خلدون: عبدالرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، د. ت.

ـ ابن الكلبي، هشام، كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، نسخة إلكترونية، د. ت.

ـ الهمداني: الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٩٩٠م.

ثانيًا: المراجع والدراسات الحديثة:

ـ باحنان: محمد بن علي، جواهر من تاريخ الأحقاف، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠٠٨م.

- بافقيه: محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

ـ بامطرف: محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت، ط٢، ٢٠٠٨م.

ـ الحامد: صالح بن علي، تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م.

ـ الحسني، جمال محمد، الإله سين في ديانة حضرموت القديمة، دار جامعة عدن، ط ١، ٢٠١٤م.

ـ السقاف: عبدالرحمن بن عبيداللاه، إدام القوت، تحقيق: محمد باذيب، دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٥م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ـ السقاف: عبدالله محمد، تاريخ الشعراء الحضرميين، مكتبة المعارف، السعودية، ط٣، ١٤١٨هـ.

ـ الشاطري: محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٩٤م.

ـ الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، مدينة جدة، ط ٢، ١٩٨٣م.

ـ الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

ـ طعيمان، علي مبارك، صيد الوعول نشاط مقدس في ديانة جنوب الجزيرة العربية (قديمًا)، مستند pdf، د. ت.

ـ العبدولي: بناجي، قبيلة كندة في صدر الإسلام والدولة الأموية، دار حضرموت، المكلا، ط١، ٢٠١٠م.

ـ علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٧م.

ـ فرانتسوزوف سرجيس: تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي قبيل الإسلام وبعده، ترجمة: د/ عبدالعزيز جعفر بن عقيل، ط١، ٢٠٠٤م.

ميناء شُرْمَة التاريخي في العصور القديمة

الباحث/ طاهر ناصر المشطي

المقدمة:

هكذا ضُبِطَت في القواميس (شُرْمَة)، بضم الشين، وسكون الراء، وفتح الميم. جاء في (تاج العروس من جواهر القاموس): وشُرْمَة: قَرْية بِحَضْرَمَوْت اليَمَن[1]. واللفظة مشتقة من الشرم، وهو الشق بمعناه الواسع، ومنه (الأشرم) أبرهة الحبشي. وسميت شُرمة بهذه الاسم نتيجة لنحت الأمواج لساحل البحر، ودخول لسان من الماء في هذه الشُرْمة،

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية ج ٢٢، ص٤٦٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مُشكِّلةً لخليجٍ أُطْلِقَ عليه (خليج شُرْمَة)، وسُمِّيت المنطقة باسمه، جاء في القاموس المحيط: الشَّرْمُ: لُجَّةُ البَحْرِ أو الخَليجُ منه[1]، وجاء في صحاح الجوهري: وشَرْمٌ من البحر: خليجٌ منه[2].

١. **الموقع الفلكي:** تقع شرمة عند تقاطع دائرة العرض ١٤درجة و٤٩دقيقة ٢٠ثانية شمالًا، مع خط الطول ٥٠ درجة ٠١ دقيقة ٤٠ ثانية[3].

٢. **موقع الجوار:** تقع جنوب شرق مدينة الشرفية، وتبعد عنها نحو (١١ كم)، كما تبعد عن مدينة الشحر (٤٦ كم)، وعن مدينة المكلا نحو (١٠٠ كم) باتجاه الشرق، وتبعد عن الطريق الرئيس (المكلا – سيحوت) بنحو (٦٥ كلم).

٣. **الموقع المكاني:** تقع جنوب الجزيرة العربية على ساحل حضرموت عند المدخل الشرقي لخليج عدن، الذي يصل خليج عدن ببحر العرب والمحيط الهندي.

---

(١) (القاموس المحيط) - الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١١٢٦.

(٢)) منتخب من صحاح الجوهري، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ص ٢٥٩٤

(3) Axelle Rougeulle & Anne Benoist (Notes on pre- and early Islamic harbours of Hadramawt) (Yemen) . Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 3 1 (2001) . p 211

الحدود: ويحدها من الغرب رأس شرمة والبحر، ومن الشرق شاطئ يثمون ورأس باغشوة، ومن الشمال منحدرات الهضبة والطريق الرئيس (المكلا – سيحوت)، ومن الجنوب خليج عدن والبحر العربي.

الشكل (١): موقع ميناء شرمة.

لموقع ميناء شرمة أهمية كبيرة من عدة من النواحي، منها:

١. **أنه ميناء طبيعي:** إن امتداد رأس شرمة كذراع من اليابس نحو البحر، وتكوين خليج شرمة بفعل نحت الأمواج لصخور الشاطئ، قد كوَّن ميناءً طبيعيًّا، إذ عمل هذا الرأس حاجزًا يحمي الخليج (الميناء) من الرياح العاتية والأمواج، مما جعل ساحل شرمة القبلي (الغربي) يتميز بهدوء أمواجه.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الشكل (٢): ميناء شرمة الطبيعي إذ يشكل امتداد الرأس حاجزًا لكسر الأمواج.

٢. **أنه معلم ملاحي:** إن رأس شرمة يعد معلمًا ملاحيًّا يسترشد به الملاحون المارون بسفنهم أمامه منذ القدم، فإن الملاح أحمد بن ماجد العماني (وُلد عام ٨٣٨ هـ، ١٤٣٤ م وعُمِّر زهاء مائة عام) يروي لنا أنه قرأ في كتب ملاحية قديمة أن عرب الجزيرة العربية كانوا يسافرون من شواطئ حضرموت وعُمان إلى الهند وفارس متخذين المعالم الساحلية العربية منارًا لهم[١]. ويحرص البحارة على وجوب الوصول إلى هذا الرأس أو الاقتراب منه، ويعدونه في مصطلحهم (منتخ)، أي معلمًا بارزًا للانطلاق في السفر.

٣. **إشرافه على أهم طرق الملاحة العالمية:** إن موقع ميناء شرمة على البوابة الشرقية لخليج عدن يجعله يتحكم في المدخل الشرقي لهذا الخليج، ويشرف على خطوط الملاحة العالمية في المحيط الهندي، إذ إن ميناء شرمة يقابل بر العجم الإفريقي عند رأس

(١) محمد عبد القادر بامطرف: الرفيق النافع على منظومتي الملاح باطايع، مطبعة السلام بعدن، ص١٠.

جواردافوي[1] Guardafui، إذ تبلغ المسافة بينهما (٣٢٠ كلم)، كما أنه يطل على المحيط الهندي، وتبلغ المسافة بينه وبين جزيرة سقطرى نحو (٤٤٢ كلم) فقط. إن هذا الموقع لميناء شرمة يجعله يشرف على أهم خطوط الملاحة العالمية في المحيط الهندي.

المساحة:

تبلغ مساحة منطقة شرمة حوالي (٢٧ كلم٢)، لتشمل (٢٧٠,٠٠٠) هكتار تقريبًا، ويبلغ طول شواطئها (١٨ كلم) تقريبًا، بعمق بحري بين (١ –٢ كلم) تقريبًا[2].

ساحل حضرموت في العصور القديمة:

يُشكِّل ساحل حضرموت وأحواضه مساحة واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد كان مجالًا للنشاط البشري منذ فجر التاريخ [3]، فعلى هذا الساحل عُرفت أمة من أقدم الأمم التي عرفها التاريخ، ألا وهي أمة (عاد)[4] التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، ووصفها بأنها كانت تدين بالوثنية وعبادة الأصنام، فأرسل الله إليهم هودًا عليه

(١) يُعرف عند العرب برأس عسير.

(٢) موقع وزارة السياحة مديريات ساحل حضرموت: مناطق الجذب السياحي (ساحل حضرموت)، فضل ناصر سيف بن الشيخ علي.

(٣) مجلة خلفة، العدد الثالث، صفحة ٣٨، (طاهر المشطي، كنوز بلادي ١)، لقاء مع المؤرخ والأنثروبولوجي الدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل.

(٤) عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، ومن أولاده: (شدّاد)، و(شديد)، و(إرم) باني مدينة (إرم ذات العماد) التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

السلام، فكفرت به، ولم يؤمن به إلا القليل من أهلها. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن (عادًا) هي أصل الجنس السامي، وقد عاشت بـ(الأحقاف)[1] من أرض حضرموت، قال البيضاوي في تفسيره: إنهم -يعني عادًا- يسكنون بين رمالٍ مشرفةٍ على البحر بالشحر من اليمن [2]. وعلى طول الساحل الحضرمي (الشحر [3] الذي يمتد من شرق عدن إلى ظفار في عمان تكونت عدة من الموانئ البحرية على مدى التاريخ، وساد بعضها في حقب زمنية قديمة، ثم بادت وبقيت آثارها شاهدة عليها، ومنها ميناء شرمة.

إن المنطقة الواقعة إلى الشرق من مدينة الشحر حتى الحدود العمانية ظلت عمليًّا غيرَ مستكشفة ومجهولةً إلى عام ١٩٩٦م، باستثناء ميناء حيريج[4]، وتشمل هذه المنطقة معظم ساحل بلاد حضرموت وبلاد المهرة[5].

(١) الأحقاف: وهي جبال الرمل، وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يُقال لها الشحر، واسم واديهم مغيث، وقد أرسل الله إليهم نبيَّه هودًا عليه السلام، فكذَّبوه، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية. (قصص الأنبياء - لابن كثير ١/ ٨٩) .

(٢) تفسير البيضاوي (٥/ ١٨٢).

(٣) الشحر: معنى الشحر في اللغة المهرية: ساحل. والشحر جمع مفرده شُحْرة، بضم الشين، وهي مسقط مياه السيل ومجراه برؤوس الوديان عند أقدام المرتفعات. وهذا ينطبق طبوغرافيًّا على ساحل حضرموت والمهرة.

(٤) وهو موقع اكتشفَه بالقُرب من سيحوت فريقٌ روسيٌّ في عام ١٩٩٠م، ثم دَرَسَهُ المعهد الألماني بصنعاء دراسةً استقصائيةً (أي مسحًا)، في مطلع التسعينيات والثمانينيات من القرن الماضي (Vogt 1994).

(5)Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . Introduction , P NO 1

وخلال المدة ما بين عامي ١٩٩٦ و ١٩٩٩م تمت المسوح الميدانية المكثفة لساحل حضرموت والمهرة، من قِبل البعثة الفرنسية برئاسة الدكتورة أكسيل روجول[١]، بين الشحر والحدود العمانية، في ضمن المشروع الفرنسي المدعوم من وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (الإدارة العامة للتعاون الدولي والتنمية)، والمركز الوطني للبحث العلمي برنامج موانئ المحيط الهندي، وكان الهدف الأساسي من هذه المسوح هو تقديم معلومات عن الاستيطان في هذا الساحل، ودوره في التجارة البحرية في المحيط الهندي لمدة القرون الوسطى، والموانئ وأنشطتها الاقتصادية، والشبكات التجارية، والسلع المتبادلة[٢]. وقد استكشفت رأس شرمة منذ حملة التنقيب الأولى في عام ١٩٩٦م، وفعلًا تم اكتشاف عدد من الموانئ القديمة، منها: ميناء شرق الشحر، والمصينعة، وشروين، وخلفوت، وكدمة يعرب.

وبدأت أعمال الحفريات في ميناء شرمة وضواحيها منذ عام ٢٠٠١م حتى عام ٢٠٠٦م خلال أربعة مواسم. وقد رافق البعثة في أثناء عمليات التنقيب الأربع نحو عشرين عالـمًا متخصصًا في مجالات مختلفة، منهم: ماري لويز Marie-Louise Inizan، وريمي كراسارد Rémy Crassard، المتخصصان في تحليل رفات وبقايا عصور ما قبل التاريخ، وجيريمي شيتيكاتي Jérémie Schiettecatte المتخصص في تحليل

(1)(ROUGEULLE Axelle (Ḥayrīğ, Šarwayn, Ḫalfāt, les ports anciens du Mahra) Yémen. c. ixe-xiie siècles . Anisi 42 (2008), p.378.

(2) Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . Introduction , P NO 1

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مدة الاستيطان لحضارة جنوب الجزيرة العربية، وأريك فاليت Eric Vallet الباحث في تاريخ التبادلات التجارية البحرية بما فيها ميناء شرمة.

لقد أظهرت نتائج أعمال المسح والتنقيب عن الآثار في شرمة وضواحيها من قبل البعثة الفرنسية حقيقة مهمة جدًّا وهي: إن منطقة شرمة وما حولها قد استُوطِنت في مختلف الأوقات والأزمان(1)، منذ عصور ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث.

ويمكننا تمييز ثلاث مراحل للاستيطان في شرمة، هي على النحو الآتي:

وتركز الاستيطان بصورة رئيسة على الهضبة الغربية المتصلة برأس شرمة (شبه جزيرة شرمة)، وأهم مظاهر الشاطئ الأحفوري القديم: كتلة كبيرة وواسعة من مجموعات المحار الحجرية، ووجود هياكل المستوطنات البشرية المرتبطة بالمادة الحجرية على الرصيف الصخري، وقبور ما قبل التاريخ.

وتركز الاستيطان على الهضبة الشرقية التي تشرف على الميناء مباشرة. وآثار الاستيطان هنا أقل من المرحلة السابقة، وأبرزها الشرفة المغليثية الكبيرة.

ومن الملاحظ أن هاتين الهضبتين قد تعرضتا لنحت الأمواج لصخورهما خلال آلاف السنين، مما أدى إلى انهيار أجزاء من تلك المستوطنات في البحر، وإن استمرار هذه عمليات التعرية البحرية سيؤدي إلى انهيار أجزاء أخرى مستقبلًا، كما هو ملاحظ في أثر عمل الأمواج في صخور الهضبتين.

(1)Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . Introduction , P NO 4

وهي مستوطنة حقبة الحضارة العربية الإسلامية

في فجر الإسلام، وهي من أهم مراحل الاستيطان في ميناء شرمة، إذ تركز الاستيطان في السهل الساحلي باتجاه خليج شرمة (الميناء / الفرضة)، إذ تكونت مستوطنة محصنة بالأسوار والقلاع، وتضم المستودعات والسوق والمسجد والمقبرة الإسلامية وغير ذلك. وكان ميناء شرمة في هذه الحقبة مركزًا رئيسًا للتجارة الدولية، فقد ازدهر الميناء ازدهارًا عظيمًا لم يسبق له مثيل على مدى تاريخه، حتى عُدَّ واحدًا من أكثر الموانئ ازدحامًا في غرب المحيط الهندي، خاصةً في المدة من نهاية القرن العاشر الميلادي حتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي[1]. وبهذا أصبحت شرمة ثالث ميناء على مستوى الجنوب العربي بعد الشحر وعدن[2]، وثاني أهم موانئ حضرموت في تلك المدة[3].

وسنتناول في هذه الورقة الاستيطان في ميناء شرمة منذ عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الجاهلي قبيل الإسلام، وسنترك المرحلة الثالثة في فرصة قادمة إن تيسَّر لنا ذلك إن شاء الله.

وسنستعرض أهم المعالم الأثرية لتلك العصور:

---

(1) Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . Introduction , P 5

(2) Dionisius A. Agius , (Classic Ships of Islam) From Mesopotamia to the Indian Ocean . 2008 p 91

(٣) الأنصاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة ١٢٨١م، ص ٢١٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

أولًا: مستوطنة شرمة وما جاورها في عصور ما قبل التاريخ:

يقصد بعصور ما قبل التاريخ تلك العصور التي سبقت اكتشاف الإنسان للكتابة. وفي الجزيرة العربية ظهرت الكتابة في نهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد[١]، وبالاستناد إلى الأدلة الأثرية في جزيرة العرب فيما يخص الأدوات الحجرية يمكن تصنيف هذه العصور وفق النظام التقليدي المسمى: (The three Age System) نظام العصور الثلاثة، وهي: العصر الحجري (The Stone Age)، والعصر البرونزي (The Bronze Age)، والعصر الحديدي (The Iron Age)[٢]. وهذه العصور الثلاثة الرئيسة تصنف إلى تصنيفات فرعية تفصيلية أخرى نحن في غنى عنها في الوقت الراهن.

ويتطابق العصر الحجري القديم من الناحية الجيولوجية مع العصر المطير (البلايستوسين)[٣]، عندما كانت جزيرة العرب جنَّاتٍ وأنهارًا، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ[٤]، إذ

---

(١) المعمري، عبدالرزاق راشد، (موروث العصور الحجرية في الجزيرة العربية ودوره في تشكُّل قُرَى ومُدن حضارة جنوبي الجزيرة المبكِّرة)، ص ٤.

(٢) آثار ما قبل التاريخ وفجره، د. محمد عبدالنعيم، ترجمة: عبد الرحيم محمد خبير ص ٦١.

(٣) د. تقي الدبَّاغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، الناشر دار الشؤون الثقافية العامة، وآفاق عربية. الطبعة الأولى، بغداد ١٩٨٨م، ص٧ ، ٨.

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يقبلها مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

كانت شبه جزيرة العرب في عصر الجليد كثيرة المياه والأمطار، وتجري فيه الأنهار والجداول، وتنتشر الغابات والأشجار والحشائش، وتسرح الحيوانات، وظلت كذلك حتى نهاية العصور الحجرية[١]، وكان الإنسان القديم في تلك العصور يعيش في الكهوف والملاجئ الجبلية والغابات على جمع الجذور والبذور وثمار الفواكه، وعلى صيد الأسماك والحيوانات كالماعز البري وأنواع الوعول والغزلان والأرانب والطيور ونحوها. وارتقى الإنسان تدريجيًّا في سلم التطور، فصنع القوارب واستخدمها في النقل، وصنع الملابس وأدوات الزينة[٢] وغيرها.

أما وجود الإنسان في منطقة شرمة وضواحيها فإنه –كما تشير الدلائل– يعود على الأقل إلى العصر الحجري الحديث Neolithic (النيوليثي)[٣]، ورجحَّت البعثة الفرنسية الاستيطان المبكر القديم في شرمة، الذي يعود إلى الألفية الثالثة أو الرابعة قبل الميلاد[٤].

---

(١) د. تقي الدبَّاغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، الناشر دار الشؤون الثقافية العامة، وآفاق عربية. الطبعة الأولى، بغداد ١٩٨٨م، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢) ج . هاوكس ول . وولي، أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة وتعليق: د. يسرى عبدالرزاق الجوهري، دار المعارف ص ٧.

(٣) العصر الحجري الحديث Neolithic (النيوليثي): يمتد كما يرى زارنس وآخرون (Zarins et al) من الألف الثامن (٨٠٠٠ ق.م) قبل الميلاد إلى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد (٢٠٠٠ ق . م)، وتتميز هذه الحقبة بسمات حضارية مثل: استئناس الحيوان، وظهور الزراعة، وصنع واستعمال الأواني الفخارية. (المصدر: آثار ما قبل التاريخ وفجره. د. محمد عبد النعيم، ترجمة: عبدالرحيم محمد خبير، ص ٦٠).

(4)Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique P 11

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

تنتشر آثار هذه المستوطنة في شبه جزيرة شرمة، التي تشمل الهضبة الغربية (منطقة رأس شرمة)، والسهل الساحلي المجاور لها، وهذه المنطقة عبارة عن لسان من اليابسة يمتد داخل البحر باتجاه الجزيرة الصخرية الصغيرة (جزيرة شرمة)، تحيط بها مياه البحر من ثلاثة اتجاهات. ولا شك أن هذه المنطقة قد تعرضت لنحت الأمواج لصخور الشاطئ لحقب زمنية طويلة، مما أدى إلى تدمير عددٍ من الآثار التي جرفتها الأمواج خلال آلاف السنين وغيبتها في البحر.

الشكل (٣): موقع مستوطنة شرمة لعصور ما قبل التاريخ (شبه جزيرة شرمة).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

مظاهر عصور ما قبل التاريخ في شبه جزيرة شرمة:

يتضح ذلك إذا قمنا بنبش الرمال الذهبية على السطح، سنلاحظ أن الرمال في الأسفل ذات لون أسود، وبها ليونة نسبية، وهذا دليل على تكوُّن الوقود الأحفوري على الشاطئ القديم بسبب تحلل الكائنات الحية، وربما يمثل احتمالات آثار من الساحل القديم جدًّا. وقد أظهرت الحفريات أن الودائع الأثرية لا تزال باقية تستند دائمًا على طبقة القاعدة التحتية، وهي لوح من الحجر الجيري أو الشاطئ الأحفوري، الطبقات الصخرية الظاهرة حتى ذلك الحين على شكل بروزات في كل مكان على السطح، على الأقل في هذا الجزء الغربي من السهل، وهي غنية بالموارد الغذائية[1]، إذ كان ميناء شرمة مشغولًا جدًّا، ومزدحمًا بالأعمال منذ وقت مبكر جدًّا كما تظهر ذلك وتبينه الهياكل المختلفة لعصور ما قبل التاريخ أو التاريخ البدائي المحددة في هذا القطاع، ولا يزال هناك ما تبقى من مجموعات المحار والأسماك الصدفية[2]، وهياكل الموائل[3]، والمقابر[4]، وتتوزع على السهل الساحلي القديم والهضبة الغربية.

(1) Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique P 11

(٢) بقايا استخدامات أو طعام للإنسان البدائي الجولات.

(٣) الموائل: جمع موئل، وهو الملجأ والمعقل.

(4) Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique P 11

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أ) أكوام من مجموعات المحار والقشريات والأسماك الصدفية المتراكمة جنبًا إلى جنب في الحافة الجانبية: تنتشر في عدة من الأماكن في حافة السهل الذي يقع في نهاية رأس شرمة، وعلى الرأس، وعند سفح الهضبة الشرقية (انظر الشكل ذا الرقم ٤)، ويقع تحت طبقة رقيقة من الرمال الذي تثيره الرياح سطح رمادي اللون. وهذه المناطق تمتد على الترتيب خلال ما يقرب من حوالي ثلاثة هكتارات وهكتار واحد[1].

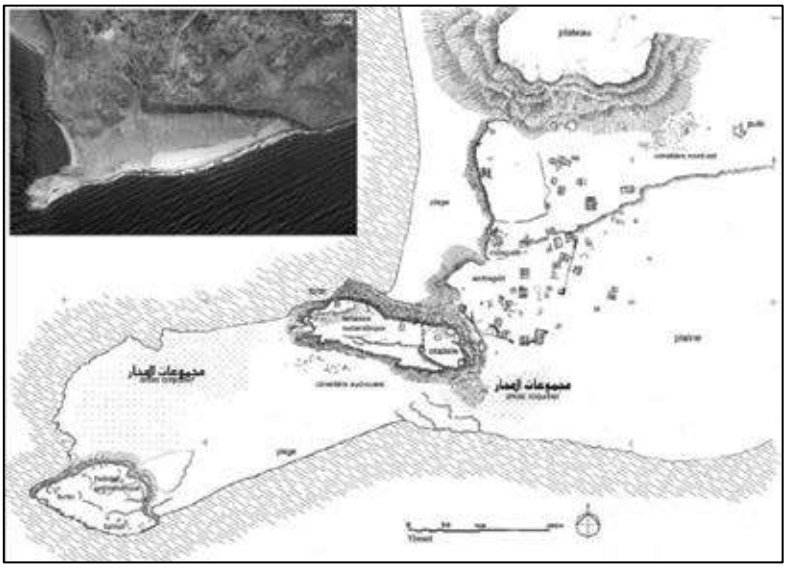

الشكل (٤): يوضح أماكن انتشار بقايا مجموعات المحار والقشريات والأسماك الصدفية المتراكمة في منطقة رأس شرمة.

(1)Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique P 11

ب) مجموعة من قطع الصوان (الكوارتز): وعند إجراء المسح في أحد المواقع (المنطقة ذات الرقم ٨٨، B٢٥ أسفل النموذج) من هذا السهل تم التقاط أربع وعشرين قطعة من أحجار الصوان والكوارتز المصقول من سطح المنطقة ذات الرقم ٨٨. ويشمل التجمع أيضًا مكشطة من حجر الصوان (الكوارتز) مدببة الحواف بدون زَلَّاجَة وذات القَطَع المعاكس، واثنتين من مكاشط الحجر الرملي، تتحرك بدون زَلَّاجَة مع مقبض ناعم، وحجر المهاجم الشاق ذا التصويب الثابت.

الشكل (٥): المنطقة ذات الرقم ٨٨، B٢٥ تم التقاط أربع وعشرين قطعة من أحجار الصوان والكوارتز المصقول من سطحها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

ج) نماذج لمهن الصيادين في الحقبة الزمنية الأخيرة لعصور ما قبل التاريخ (على الأرجح الألفية الثالثة، أو حتى الألف الرابع قبل الميلاد).

عُثِرَ على نموذج لمهن الصيادين في الحقبة الزمنية الأخيرة لعصور ما قبل التاريخ (على الأرجح الألفية الثالثة، أو حتى الألف الرابع قبل الميلاد)، وهي أثقال شباك الصيد الحجرية[1] (poids de filet). وقد عُثِرَ على مثل هذه الأدوات في بعض المواقع الساحلية من سلطنة عُمان، والمعروفة على نحو أفضل في المنطقة، أظهرت بالضبط النوع نفسه من المعدات والأدوات[2]. ويتبين من ذلك أن المستوطنين الأوائل كانت لهم صلات بعُمان لتشابه الأدوات. وكانت بلاد اليمن وحضرموت وعُمان من أخصب بقاع الجزيرة العربية في ذلك الوقت، وأوفرها نماءً، وهي على صلة بمراكز الحضارة سواء عن طريق البر أم البحر[3].

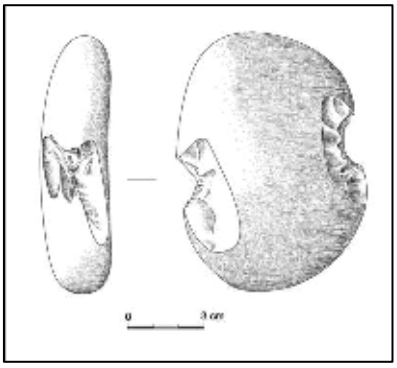

الشكل (٦): أثقال شباك الصيد الحجرية poids de filet.

(١) تستخدم في تثقيل شباك الصيد عند رميها في البحر، بمنزلة الرصاص الذي يضعه الصياد اليوم في شبكة الصيد.

(2)Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique P 12

(٣) د. أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٣ ، ص ١٥.

د) استخدام بعض الأدوات من الأصداف:

لأول مرة تُستخدم أصداف المحَّار، وعلى وجه الخصوص نوع Conus sp المخروطي و.Strombus sp، وتستخدم هذه في مجال تصنيع الخواتم، بعد أن يتم استخراج قمة رأس الصدفة وتلميعها، وربطها بالحلقة (شاربنتييه ١٩٩٤). وقد تم العثور على جزء وحلقة دائرية.

الشكل (٧): محار Strombus sp تستخدم رؤوسها في صناعة الخواتيم.

محارات الأسقلوب (pectens) موجودة أيضًا في شرمة، وتستخدم في الغالب أوعيةً (أوانيَ) أو حاوياتٍ (صحونًا).

الشكل (٧): محار الأسقلوب.

وهناك غيرها من أنواع الأصداف.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

تعود إلى الألفين الثالث والرابع قبل الميلاد، وتقع في مقدمة رأس شرمة، وهي عبارة عن مجموعة من هياكل المستوطنات البشرية المرتبطة بالمادة الحجرية على الرصيف صخري (الرف) في الهضبة الغربية، وكذا مجموعة من المدافن التلية، الشكل (٨).

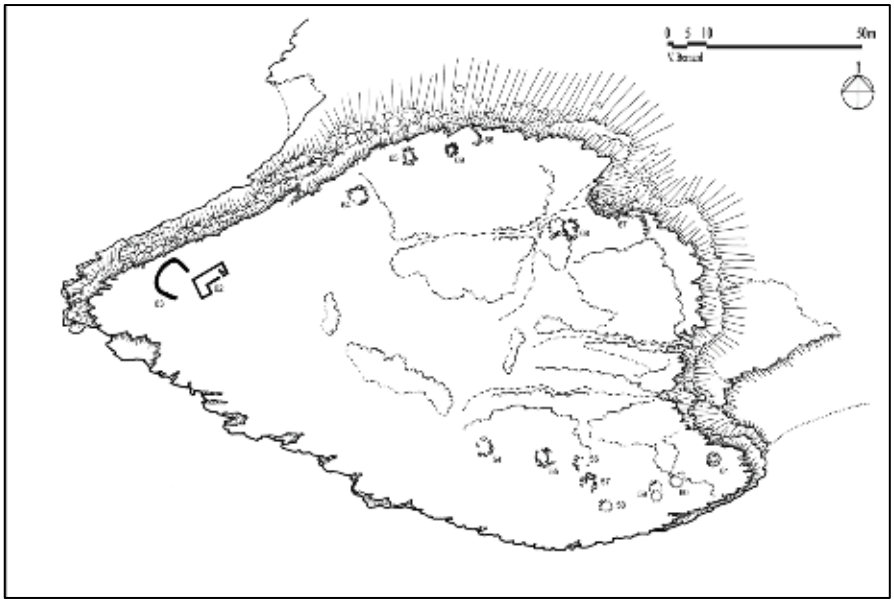

الشكل (٨): مستوطنة العصر الحجري الحديث والبرونزي على الهضبة الغربية هياكل حجرية في الجهة الشمالية، ومقابر تلية في الجنوب.

أ) هياكل المستوطنات البشرية المرتبطة بالمادة الحجرية على الهضبة الغربية:

على حافة الجرف الشمالي من الهضبة الغربية، وفي طرف الرأس فوق الخليج، تقع عدة من المنشآت الحجرية اللوحية الجامدة على نتوء صخري (الشكل). منها ما هو مفتوحة نحو الغرب على شكل حدوة حصان مثل هيكلB64 ، ومنها ما هو على شكل بيضاوي مثل الهيكل B65، ومنها ما هو على شكل قوس دائري مثل الهيكل (B66). والمنشآت الأخرى من النوع نفسه تقع غير بعيد إلى الشرق، عند مدخل الطريق المؤدي من السهل الساحلي على الجهة الشرقية من الهضبة، عند السفح إلى الأسفل من ثغرة في نتوء الصخور، وعدة من الأحجار المصفوفة التي قد خدمت لتوجيه الجريان السطحي لمياه الأمطار (B68). وهذه الهياكل يصعب تفسيرها.

الشكل (١٥): نموذج للمواد الحجرية من الهضبة الغربية.

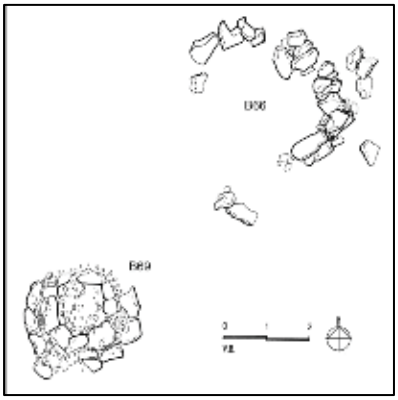

الشكل (١٦):
الهياكل B66 وB 69.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ب) المدافن التلية (عصور ما قبل التاريخ):

توجد ثمانية مدافن تلية تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الهضبة الغربية (الرأس). انظر الشكل (١٧). وهي متآكلة جدًّا بشكل عام، فهي على شكل تلال دائرية غير واضحة، أقطارها من ٤-٥ أمتار، مغطاة بكسور من الصخور النارية[١].

الشكل (١٦): مدافن تلية B54-57.

غير إن البعثة لم تُجرِ أي حفريات في هذا الموقع لتحديد تاريخ هذه المقابر بدقة. وعلى العموم فإن مثل هذه الهياكل الحجرية هي عبارة عن مدافن تلية تُنسب عادةً إلى العصر البرونزي[٢].

(1) Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1-3. Les tumuli du plateau occidental, P 14

(2)Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique P15

لا تزال بعض مخلفات مستعمرات البدو كما هو الحال وعلى الأرجح وجود هياكل مماثلة بنيت على الهضبة الشرقية من الحجر من تحت أنقاض الشرفة حضارة الجنوب العربي. ولكنها هنا ترتبط بمواد سطحية خاصة، في مجموعة مثيرة للاهتمام تشمل عدة من الأدوات من المواد الحجرية، بما في ذلك الكثير من أدوات حجر الصوان والكوارتزيت، والتي يبدو أنها تمثل مستعمرة يصعب حتى الآن البحث والتَّحقيق في تحديد مدتها الزمنية في هذه اللحظة، ربما تعود إلى (الألفية الخامسة أو الرابعة أو الألفية الثالثة قبل الميلاد)[1]. (الشكل ١٧، ١٨).

الشكل (١٧): بعض مخلفات مستعمرات البدو على الهضبة الشرقية.

(1) Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique p14

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الشكل (١٨): آثار تعود للعصور البرونزية القديمة على الهضبة الشرقية.

هذه المجموعة هي على الأرجح بقايا مستوطنة من العصر البرونزي، أو حتى العصر الحجري الحديث، والتي يمكن أن تكون مرتبطة مع أكوام أصداف المحار المتراكمة على السهل،، وربما يرجع تاريخها إلى الألفية الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد[1].

(1)Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique p14

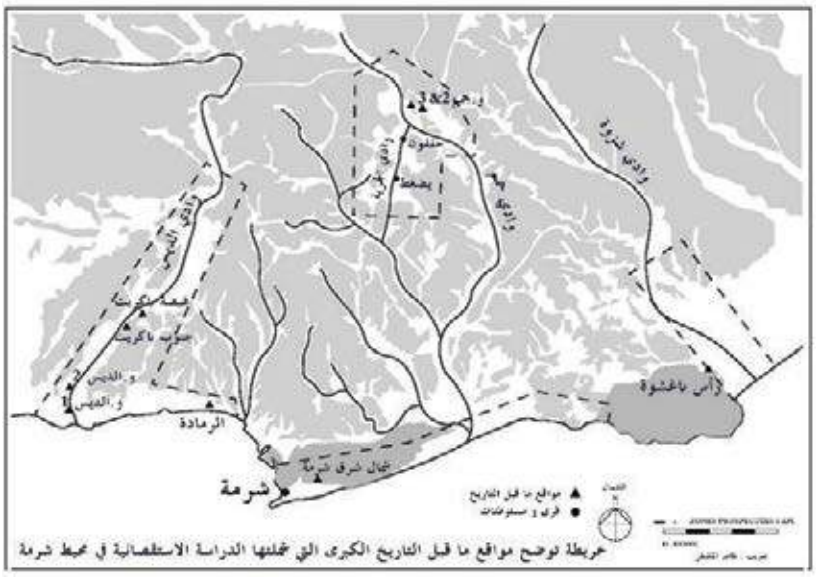

الشكل (١٩): خريطة لمواقع ما قبل التاريخ الكبرى التي شملتها الدراسة الاستقصائية محيط شرمة.

وقد أُجريت عدة من دراسات استقصائية (مسوحات) في المنطقة المحيطة بشرمة، من خلال الدراسة المكثفة للساحل في المدة ١٩٩٦-١٩٩٩ خلال الحفريات في الموقع. وقد ركزت على أربعة مناطق متميزة (الشكل ١٩)، وهي:

١. منخفض وادي الديس، والساحل بين الوادي وهضبة رأس شرمة.
٢. من على حافة الجرف في سهل الرأس (شرمة) حتى مصب وادي يثمون.
٣. الجزء الأسفل من وادي شزوة.
٤. المناطق المحيطة بالقرى القائمة حاليًّا (يضغط وحلفون) في المتوسط خلال أودية: حمم، ضبه، الجربة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وكان هذا البحث يستهدف تحليل العلاقات بين شرمة والمناطق المحيطة بها، وكذا تقدير طبيعة وكثافة المستوطنات البشرية في المناطق المجاورة لرأس شرمة لمختلف العصور. وقد ساعدت المسوحات في تحديد أربعة وأربعين موقعًا، منها نحو عشرين موقعًا لحقبة ما قبل العصر الحديث، بالإضافة إلى عدة من المدافن، وعدة من مواقع مستعمرات المواد الحجرية.[1]

ومن هذه المواقع:

إذ تم تحديد عدة من المقابر ذات

مراسيم الدفن القديمة، منعزلة أو في مجموعات، تقع في الهضبة الساحلية شمال شرق شرمة، من قِبل البعثة الفرنسية، كما عثر على قبرين مع شبكة من القبور تقع في حدود الهضبة التي تطل على السهل، تتكون من هياكل دائرية من مجموعة من الكتل الصخرية الصغيرة قطرها يتراوح بين ٤ و ٥ أمتار، متبوعًا بقطار بسيط طوله حوالي ٣٥ مترًا، تتألف من ١٦ إلى ١٧ مجموعة من كتل صغيرة من الحجارة (الشكل ١٨). وهذا النوع من الهياكل معروف جيدًا في اليمن بانتمائه إلى العصر البرونزي[2].

(1) Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique, P NO 16

(2) Rémy Crassard, Marie-Louise Inizan, Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДaḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . I/1. L'occupation préhistorique, P NO 16

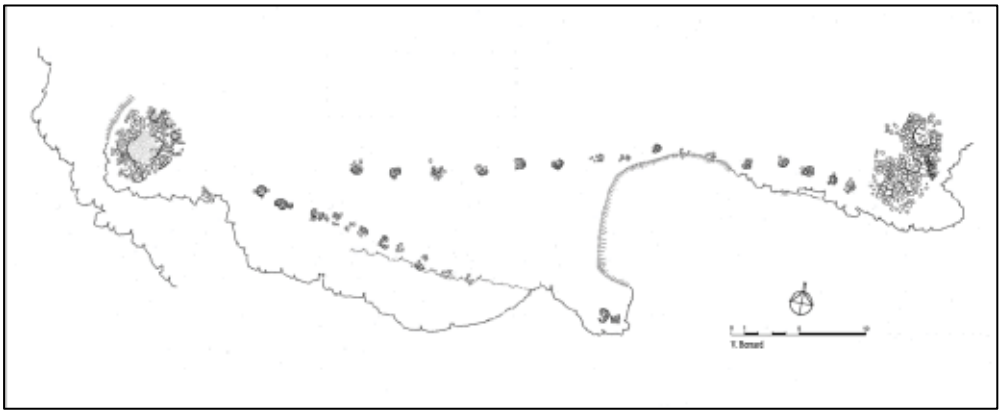

الشكل (٢٠): مقابر العصر البرونزي شمال شرق شرمة.

إذ تم التقاط قطعة حجر الحجر الرملي ذي الوجه الخشن مع وجود قاعدة مخصصة للعمليات الهجومية للمهاجم الصعب، من قِبل البعثة الفرنسية (الشكل ٢١)، تنتمي لعصور ما قبل التاريخ، التُقطت على الحافة الشرقية لرأس باغشوة (١٤.٨٦٥٤١١ درجة شمالًا / ٥٠.١٧٢١٧٥° E)

الشكل (٢١): حجر المهاجم ذو الوجه الخشن.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(AL-Ramada):

تقع على الجانب الآخر المواجه لخليج شرمة، حيث توجد مجموعات كبيرة من كتل المحار والرخويات مماثلة إلى حد كبير للشاطئ الأحفوري لشرمة لعصور ما قبل التاريخ. وهذا الرماد يمتد على نطاق كبير على طول حافة الشاطئ، وهو ذو لون أسود تقريبًا، وثم قلة من المواد التي التقطت من على السطح، وهي بعض شظايا الصوان والأصداف.

عُثِرَ على عدد من الأدوات الحجرية بوادي حمم، وهي أسلحة حجرية نصال ورؤوس سهام (الشكل ٢٢).

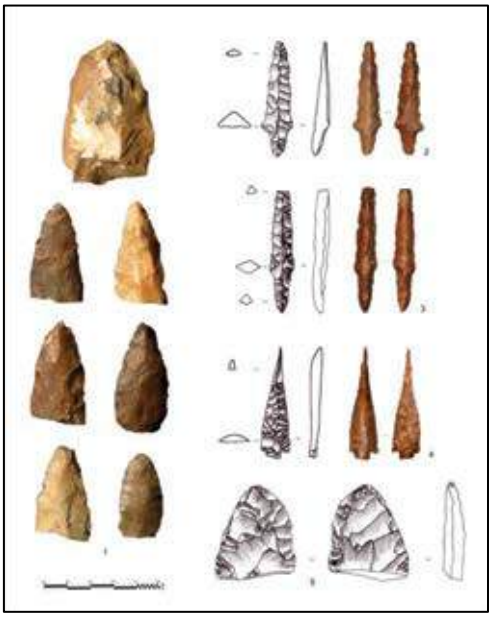

الشكل (٢٢): نصال ورؤوس سهام حجرية

تعد من آلات العصر الحجري الحديث، عُثِرَ عليها في وادي حمم.

لقد مدَّت حِرفة الصيد البحري -بالإضافة إلى الصيد البري والزراعة البدائية- إنسانَ العصر الحجري الحديث في شرمة وضواحيها بوفرة من الرزق، مكَّنته من أن يعيش حياة مستقرة، وبدأ الناس في هذا العصر يخرجون من الكهوف إلى المواقع المكشوفة، ليسكنوا الخيام والأكواخ، فانتشروا في الغابات، وعلى سواحل البحار، وحول الواحات، وعلى شواطئ الأنهار، يصيدون الأسماك والطيور والحيوانات[1].

ثانياً: مستوطنة شرمة وما جاورها خلال حقبة حضارة جنوب الجزيرة العربية:

وفيما يتعلق بالبيانات التي جمعتها البعثة الفرنسية في موقع شرمة والمناطق المجاورة لها لحقبة حضارة جنوب الجزيرة العربية (العصر الجاهلي)؛ تُري البعثة ضعف وقلة النشاط البشري لتلك العصور بالمقارنة مع النشاط البشري لعصور ما قبل التاريخ والعصر الإسلامي[2].

وقد ورد أقدم ذكر لميناء شرمة قبل الإسلام باسمها المعروف اليوم في خريطة بطليموس الإسكندري[3] المتوفى عام ١٦٧م، وقد رسم هذه الخريطة في أجواء سنة ١٤٠م، وذكر اسم (الأسعاء) وسماها (Alasa Emporiam)، وذكر إلى غربها ميناء (بروم)،

(١) د. تقي الدبَّاغ، الوطن العربي في العصور الحجرية، الناشر دار الشؤون الثقافية العامة، وآفاق عربية. الطبعة الأولى، بغداد ١٩٨٨م، ص ٨٣.

(2) Jérémie Schiettecatte , I/2. L'occupation sudarabique . p no 25

(٣) عالم رياضيات إغريقي، وجغرافي، وعالم فلك ومنجم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وإلى شرقها ميناء شرمة، إضافة إلى عدد من المرافئ القديمة التي لا يستطاع تبيان أسمائها الصحيحة على الخريطة المذكورة[1]، ولكن شرمة سُكنت قبل ذلك التاريخ بوقت كبير، كما ذكرنا آنفًا.

:Megalithic terrace

هذا الهيكل الضخم المثير للإعجاب، يقع في أعلى نقطة من الجزء العلوي باتجاه قمة الهضبة الشرقية، على حافة منحدر ارتفاعه نحو ثلاثين مترًا يسيطر على الميناء (الشكل)[2]. ورجحت البعثة الفرنسية أنه قاعدة مبنى الطابق السفلي الذي يعود لحضارة الجنوب العربي. وهذا التحديد أكده وجود بعض القطع غير المنتظمة لعصور ما قبل الإسلام (الجاهلية) في مستويات العصور الإسلامية[3]. وحجارة الميغاليث[4] الضخمة هذه لم تجزم البعثة بحقيقتها، فتارة افترضت أنها قاعدة لمعبد حِمِيَري يشرف على الخليج[5]، وتارة تشبهها بالمخطط التفصيلي لشرفات المعابد خارج أسوار المدن (extra-muros)،

(١) المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف، الشهداء السبعة، ص ٢.

(2) Jérémie Schiettecatte , I/2. L'occupation sudarabique . p no 19

(3) Axelle Rougeulle (Sharma Un entrepôt de commerce médiéval sur la côte du ДаḌramawt (Yémen, ca 980-1180) . Introduction , P 4

(٤) هي قطع من الحجارة الكبيرة.

(٥) أكسيل روجول، الحفريات الأثرية في شرمة ــ مواسم ٢٠٠١ و٢٠٠٢م / حوليات يمنية ٢٠٠٣ ، المعهد الفرنسي للآثار بصنعاء، ص ٤٨.

وتارة ترجح أنها فنار أو قلعة تشرف على الميناء لحراسته وإرشاد السفن[1]. ومهما يكن فإن هذه الأنقاض تدل على ضخامة هذا الهيكل المثير للإعجاب الذي ينتمي لحضارة جنوب الجزيرة العربية.

الشكل (٢٣): أنقاض الشرفة المغليثية Megalithic terrace.

جرى تحديد عدد من شقفات الخزف من حقبة ما قبل الإسلام في الموقع، ومنها ما هو مستورد من الهند وعمان وإيران[2]، مما يؤكد أن شرمة كانت ميناءً نشطًا في تلك الحقبة. ومن الغريب أن الحفريات لم تُظهر أي أثر لطبقات من حقبة حضارة جنوب

(1)Jérémie Schiettecatte , I/2. L'occupation sudarabique . p no 11
(2) Dionisius A. Agius , (Classic Ships of Islam) From Mesopotamia to the Indian Ocean . • 2008 P 94

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

الجزيرة العربية[1]، إذ إن طبقات العصور الوسطى تفترش دائمًا على القاعدة التحتية مباشرةً، أو على ودائع عصور ما قبل التاريخ، ومع ذلك تم توثيق هذا النشاط الاستيطاني للعصر الجاهلي جيدًا[2].

وهي مطمورة تحت الرمال عند الركن الجنوبي الغربي من الهضبة الشرقية، ويوجد بها عشرات القبور الدائرية.

أما أهم المعالم الأثرية لحضارة جنوب الجزيرة العربية في محيط ميناء شرمة فهي:

أ. موقع الجاهلية:

يقع هذا الموقع شمال شرق قرية المعيملة على الضفة الشرقية لوادي ضبة، هذا الموقع عبارة عن مغارة (جولة) كبيرة يعتقد أنها كانت محطة لاستراحة القوافل القادمة من ظفار إلى ميناء قنا، وهي تحمل تجارة حضرموت من اللبان والمر والبخور في العصر الجاهلي (ما قبل الإسلام).

(١) أكسيل روجول، الحفريات الأثرية في شرمة ــ مواسم ٢٠٠١ و٢٠٠٢م / حوليات يمنية ٢٠٠٣ ، المعهد الفرنسي للآثار بصنعاء، ص ٤٨.

(2)Jérémie Schiettecatte , I/2. L’occupation sudarabique . p no 11

الشكل (٢٤): كهف الجاهلية.

وقد أشار إليه الباحث والمؤلف الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه عند ذكره لأهم المستكشفات الأثرية في حضرموت في بداية الستينيات من هذا القرن، فقد ذكر مجموعة مواضع، منها موضعان في الديس، قال الدكتور عنهما:

الموضع الأول: مخربشات في كهف في حلفون بالمشقاص. (يقصد به كهف الجاهلية).

الموضع الثاني: مخربش ثمودي (؟) على صخرة ملساء من الديس الشرقية (بمتحف المكلا)[1]. (يقصد بها صخرة الواسطة).

والدليل على أن المنطقة ممر لطرق القوافل -بالإضافة إلى المخربشات- هو أسماء الأماكن المجاورة لها، مثل: (الميزاع) عين غيضة بيت نمور، والتي تعني: العبور، ومنطقة أخرى تسمى (عبور)، و(المجزعة) وهي ملتقى طرق برية أيضًا.

(١) بافقيه، محمد عبد القادر، المستشرقون وآثار اليمن، ج٢، ص ٩٩٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ب. كتابات بخط المسند ومخربشات:

تنتشر هذه الكتابات في كثير من المناطق، منها:

١. خلَّة مشبأ: بوادي ثُوْب، وهي حصاة كبيرة بها كهف، وبجانبها قبور قديمة لا يُعرف مَن قُبِرَ فيها، كان البدو يحجُّون إليها، إذ يأتون من جميع الغياض المجاورة، وتوجد بالكهف كتابات جنوبية قديمة.

٢. نجَّة براح: وتقع شرق الغاغ، وهي منطقة أثرية بها كتابات جنوبية قديمة.

٣. الحضرميات: وهي حصاتان عليهما كتابة جنوبية قديمة بالوقر (أي محفورة)، في منطقة وادي عسموت.

٤. حضركات: بوادي شِزْوَة، فقد عثر الأهالي على كتابات جنوبية قديمة بعد أن كشف السيل المار بموقع يسمى (المخر) عن هذا الكنز، وهو مجموعة من الحجارة المتوسطة الحجم في شكل دائرة، وكل حجر من هذه الأحجار عليه كتابات بخط المسند.

٥. مناطق طرق القوافل القديمة: مثل منطقة حصاة حمورة، وحصاة الواسطة، والجاهلية، ومشبأ، ونابخ بطريق غيل بن يمين، وغيرها.

الشكل (٢٥): نماذج من مخربشات كهف الجاهلية.

ج. حصن الكافر:

يقع هذا الحصن الأثري إلى الشمال من قرية حلفون، على تل صغير بجانب الطريق المتجهة من حلفون إلى المعيملة، في الجهة الغربية منها. وهذا الحصن القديم ما زالت أساساته موجودة، وتقدَّر مساحة آثار حصن الكافر بأكثر من (٥٠٠٠) قدم مربع، إذ قدَّرنا أبعاده بـــ(٦٠) قدمًا من الشرق إلى الغرب، وبنحو (٨٥) قدمًا من الشمال إلى الجنوب، هذه آثار الأساسات الظاهرة على سطح الأرض، وربما هناك أجزاء أخرى منه تحت التراب. ويُعتقد أن مثل هذه الحصون وظيفتها حراسة طرق القوافل من لصوص البر.

الشكل (٢٦): حصن الكافر (حلفون).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

د. قبور الجاهلية:

هذه القبور تنتشر في مواقع مختلفة من المنطقة، تعرفنا إلى ثلاثة مواقع منها، وهي: الموقع الأول في مدخل غيضة بيت نمير، حيث توجد ستة قبور دائرية وقبور أخرى تعرضت لجرف السيول. والموقع الثاني في وادي شبدوت، ولم نتمكن من الوصول إليه، ولكن سنحاول إن شاء الله في مرة قادمة. والموقع الثالث في شمال غرب قرية المعيملة على الضفة الغربية لوادي ضبة، في اتجاه مقابل لموقع الجاهلية، حيث توجد مجموعة من القبور المدورة لما قبل الإسلام.

الشكل (٢٧): نماذج لقبور عصر ما قبل الإسلام على ضفاف وادي ضبة.

هـ) آثار زراعية:

منها الحاجز المائي الذي عُثِرَت عليه البعثة الفرنسية في الطرف الشمالي من مجرى وادي ضبة، على بُعد (٢٠٠) متر من المنبع عند التقائه مع وادي حمم عند الموقع (١٤.٩٤٦٦٦٦ ° N / ٥٠.٠٧٨٩٧٢ ° E) [١]. ومنها ثلاثة سدود صغيرة مرتبة من خلال القنوات الطبيعية عند الموقع (١٤.٨٤٧٤٧٢ ° N / ٥٠.٠٨٣٥٥٥ ° E) [٢]، وغيرها من الآثار الخاصة بالزراعة.

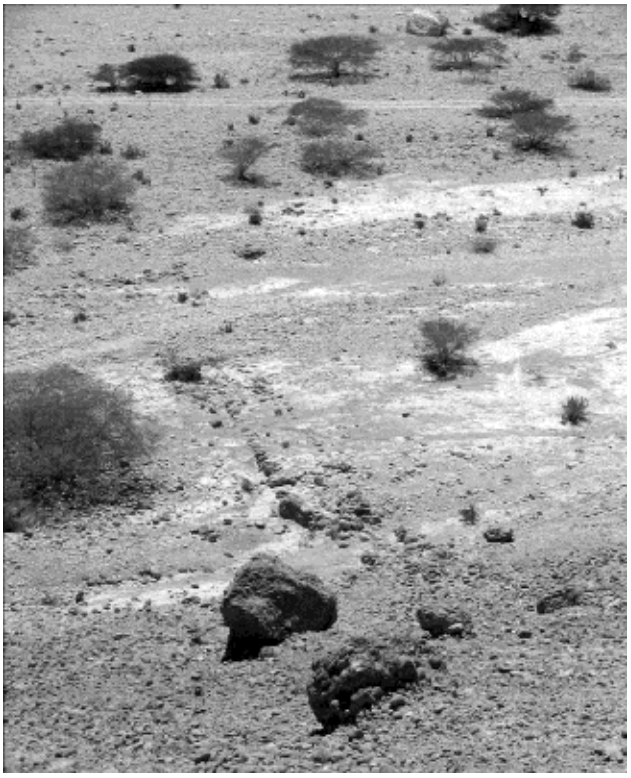

شكل (٢٨): بقايا حاجز مائي بوادي ضبة.

(1)Jérémie Schiettecatte , I/2. L'occupation sudarabique . p no 23
(2)Jérémie Schiettecatte , I/2. L'occupation sudarabique . p no 24

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

من خلال العرض السابق لمظاهر الاستقرار البشري في ميناء شرمة والمناطق المحيطة به؛ نلاحظ نشاط السكان واشتغالهم بالزراعة والرعي وصيد الأسماك والملاحة البحرية منذ عصور ما قبل التاريخ. وهذه المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب (حضرموت وعُمان) قد كان لها دور ريادي في الملاحة البحرية منذ الألف الرابع قبل الميلاد، ومع الرخاء والاستقرار الذي دام من منذ أواخر القرن الأول قبل الميلاد حتى أواخر القرن الأول الميلادي؛ ازداد الإقبال مجددًا على السلع النفيسة من عطور وبهارات وعاج وغير ذلك مما يُجلَب من اليمن وإفريقيا والهند، وازداد عدد السفن التي كانت تجوب ذلك البحر والمحيط الهندي، وشيئًا فشيئًا أخذت السفن الرومانية الإغريقية المنطلقة من مصر تحذو حذو السفن اليمنية والهندية في الاستعانة بالرياح الموسمية في رحلتي الذهاب والإياب بين مصر والهند[1]، فازداد التنافس بين الأساطيل التجارية المختلفة، ومع استقرار الأحوال في الإمبراطورية الرومانية؛ انتعشت الموانئ على طول ذلك الطريق البحري للمحيط الهندي، وكانت موانئ حضرموت -خاصةً قنا وسمهرم وسياجورس Syagros وميناء كدمة يعرب (يروب) أو (خور جربون) وميناء شرمة وميناء دمقوت وريسوت وميناء المصينعة- من الموانئ النشطة في جنوب الجزيرة العربية في ذلك الزمن، وكانت تُصدَّر من ميناء شرمة بعض المنتجات الزراعية للمنطقة، ومنها اللبان.

(١) مختارات من النقوش اليمنية، د. محمد عبدالقادر بافقيه وآخرون، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، ١٩٨٥، ص ٢٨.

ويبدو أن العرب –بالرغم من سيطرة تجار الإغريق والرومان على أغلب تجارة الهند في المحيط الهندي والبحر الأحمر– قد ظلوا ينتفعون ببيع منتجاتهم الخاصة من البخور والصمغ ومشتقاتها، ويقومون بنقلها عبر قوافل الإبل، ويعملون على تصريفها، ويجنون أرباحها. وهو أمر لم ينتفع به الجنوبيون وحدهم، وإنما انتفع به العرب الشماليون أيضًا لأزمان طويلة، كما سنعود إلى ذكره فيما بعد.

بل إن السفن الإغريقية والرومانية –وإن عرفت الطريق البحري القصير المباشر إلى الهند– ظلت تلجأ إلى الموانئ العربية من حين لآخر للاتجار معها مباشرة، أو للاستجمام فيها، والتزود منها بالماء والزاد خلال رحلاتها الطويلة إلى سواحل الهند وعودتها منها، بل ظلت تسمح لبعض السفن العربية بالاشتراك معها في التجارة، وذلك يعني أنها لم تقاطعها جملة ولم تحرمها من التجارة جملة. وقد كان للحميريين على ساحل البحر الأحمر وساحل البحر العربي أسطول تجاري ضخم لا يمكن تجاهله[1]، وكان الساحل اليمني مزدحمًا بأصحاب السفن والملاحين العرب، وهم دائبون في أعمالهم التجارية مع إرتيريا، والصومال، وبربجازا (في الهند)، وعمان، وفارس، وغيرها[2].

(١) الكتاب: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، المؤلف: عبد العزيز بن صالح، الناشر: مكتبة الإنجلوالمصرية، ص ١١١.

(٢) الخشَّاب يحيى، مقدم ومراجع كتاب (العرب والملاحة في المحيط الهندي)، تأليف: جورج فضلو حوراني، الناشر: مكتبة الإنجلوالمصرية، ص ٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الـدلائل علـى إسـهام مينـاء شـرمة والمنـاطق المجـاورة في تجارة حضرموت في العصور القديمة:

١.

، التي يعود تاريخها إلى القرنين الرابع والثالث الميلادي، وبعض الأواني الزجاجية التي قد تعود إلى ذلك الوقت أيضًا[١]. هذا ما أكدته التنقيبات الأثرية في كلا الميناءين. وهذا يعني تزامن النشاط التجاري للميناءين في هذه الحقبة الزمنية. وقد شهدت تلك القرون نمو النشاط التجاري العربي البري والبحري، فقد كانت موانئ اليمن قِبلةَ السفن القادمة من الشمال (مصر)، ومن الجنوب (إفريقيا)، ومن الشرق (الهند)، وكان اليمنيون والهنود معًا أول من عرف نظام حركة الرياح الموسمية، واستفاد منه في تسيير السفن في الاتجاهين، وزادت بسبب ذلك أنواع وكميات السلع التي كانوا يتاجرون فيها[٢].

٢.

يذكر بامطرف انضمام قنا الى اتحاد (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت)، وأن قبيلة آل الغراب- التي كانت تسكن منطقة (قنا) بما فيها حصن الغراب الذي سمي باسم هذه القبيلة- انتقلت من حصن الغراب إلى شرق الشحر في (شرمة)، وتحالفت مع قبيلة الحموم، وهي فرع من قبيلة حضرموت المهيمنة على ساحل الشحر الشرقي[٣].

---

(1) *Jérémie Schiettecatte* , I/2. L'occupation sudarabique . p no 11

(٢) مختارات من النقوش اليمنية، د. محمد عبدالقادر بافقيه وآخرون، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، ١٩٨٥، ص ٢٥.

(٣) بامطرف، محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة، ص ٣٠.

إن قبيلة آل غراب التي تمتلك خبرة وعلاقات في التجارة الداخلية والخارجية والملاحة البحرية، وكانت تسيطر على تجارة اللبان، لا شك إنها بعد انتقالها من ميناء قنا قد سخَّرت تلك العلاقات التجارية والخبرة في موطنها الجديد. وبتحالف آل غراب مع الحموم أضاف الحضارم في المنطقة الشرقية قوَّةً إلى قوتهم، وتماسكًا إلى تماسكهم، ولا شك أن ميناء شرمة في تلك الحقبة قد شهد طفرة كبيرة بقدوم آل غراب إليه.

ومما يؤكد ذلك الانتقال تشابهُ مخطط الشرفة الميغاليثية في ميناء شرمة إلى حدٍّ ما مع مخطط مبنًى يقع في الجزء العلوي من حصن الغراب في بئر علي التي لا تبعد سوى (٢٠٠كم) عن ميناء شرمة، والذي افتُرض أنَّه موقع فنار أو موضع إشارة[١].

٣. يتحدث صاحب كتاب الطواف حول البحر الإرتيري[٢] في هذه الحقبة عن نشاط ميناء قنا، وهو الميناء الرئيس لدولة حضرموت الذي كان يُصدَّر منه أجود أنواع اللبان، الذي يُجلب إليه بحرًا من الميناء المعروف في النقوش باسم (ساكلن/ سمهرم) في إقليم ظفار شرق بلاد المهرة، ولعلَّ ميناء شرمة قد أفاد في هذه الحقبة من موقعه المتوسط بين ميناء سمهرم إلى شرقها وميناء قنا في غربها، ومنابت أشجار اللبان في شمالها، وهذا الخط التجاري المهم الذي كان يُنقَل عبره اللبان والبخور والتوابل من ميناء سمهرم إلى ميناء قنا في تلك الحقبة، بالإضافة إلى انتشار أشجار اللبان على نطاق واسع شمالًا وشمال شرق وشمال غرب.

(1) Jérémie Schiettecatte , I/2. L'occupation sudarabique . p no 19

(٢) مؤلفه مجهول.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٤. بالإضافة لارتباط ميناء شرمة بخطوط الملاحة العالمية؛ هناك دلائل على وجود طريق للقوافل التجارية من ميناء شرمة وإليه، ويمرُّ عبر وادي جثمون. أمَّا القوافل القادمة من جهة الشرق (المشقاص) أو الذاهبة إليها فإنها تسلك طريق وادي حمم عبر الطريق التجاري العام، وأمَّا القوافل القادمة من جهة الغرب (المعراب) أو الذاهبة إليها فإنها تسلك وادي شبدوت نحو الطريق التجاري بين الشرق والغرب. وتتصل تلك الطرق بمناطق إنتاج اللبان في المنطقة، كما تدل الآثار على وجود مستوطنات قديمة، أسماؤها مستوحاة من اللغات العربية الجنوبية القديمة، مما يدل على انتمائها إلى حضارة جنوب الجزيرة، ومن هذا الأسماء: شبدوت، حلفون، جثمون، رغدون[1]. ويُستخدم الطريق البري عند غلق البحر بسبب اضطراب الأمواج في موسم الخريف، كما أن أسماء المناطق التي تمر بها القوافل لها دلالات ومعاني العبور، مثل: منطقة المجزعة (ملتقى أودية يموان والنترة وحمورة)، والميزاع (بيضغط)، ومعبر بوادي معبر، ومنطقة عبور بوادي شِزْوة.

٥. إن آثار الاستيطان لعصور تلك الحقبة الزمنية، والودائع واللقى الأثرية، لهي دليل على هذا النشاط التجاري في المنطقة، فقد عُثِرَ في منطقة خلفة التاريخية على عملات حضرمية

(١) خلص بعض الباحثين إلى أن الواو والنون والواو والتاء في بعض الأسماء الحضرمية والمهرية إنما هي بمنزلة (أل) التعريف، وإنما اختلفت باختلاف الزمان والمكان. والله أعلم بحقيقة الأمر. المصدر: حاشية إدام القوت، ص ٦٧٩.

منقوش عليها اسم القصر الملكي شقر، ويرجع تاريخ هذه العُملة إلى القرن الثاني قبل الميلاد منذ عهد الملك (يدع) أوَّل ملوك حضرموت ومؤسس القصر الملكي شقر[1]، كما عُثِرَ في منطقة الرمادة إلى الغرب من منطقة خلفة على عملات حضرمية عليها صور حيوانات. وإن وجود عُملة دولة حضرموت في مناطق ظهير ميناء شرمة في المناطق المذكورة آنفًا لهو دليل قوي على الدور التجاري لهذه المناطق مع ميناء شرمة التاريخي.

ويفسِّر المؤرخ والأنثروبولوجي الدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل وجود عملات مملكة حضرموت في منطقة خلفة بأن هذا الساحل قد استُخدِمَ في يومٍ ما مرفأً مؤقتًا لتفادي سيطرة الدولة المركزية والتهرب من الضرائب[2]، ويُفسِّر العثور على عملات مملكة حضرموت في المناطق الداخلية بارتباط تلك المناطق بالطرق التجارية القديمة للقوافل.

وأخيرًا فإن المنطقة الساحلية من حضرموت والمهرة بحاجة إلى المزيد من الدراسات لاستكشاف كنوزها الأثرية، فهي إلى الآن لم تحظَ إلا باليسير من الدراسات، بالمقارنة مع تاريخها القديم وآثارها المنتشرة سواء على السواحل أم على الأودية. لذا نُوصي الجهات المختصة بأن توليها اهتمامها وعنايتها.

(١) انظر: تاريخ اليمن القديم للدكتور محمد عبد القادر بافقيه، ص ٣٩-٤١.

(٢) مقابلة أجراها الباحث مع المؤرخ والأنثروبولوجي الدكتور عبد العزيز جعفر بن عقيل، نُشرت في ضمن موضوع كنوز بلادي بمجلة خلفة، العدد الثالث، مايو ٢٠٠٩م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الحضارمة ودورهم في ملاحة وتجارة المحيط الهندي في عصور ما قبل الإسلام

محمد علوي عبدالرحمن باهارون

مدير دار الحامي للدراسات والنشر وخدمة التراث م/ حضرموت

مقدمة:

تتمتع حضرموت بموقع جغرافي متميز لوقوعها على شواطئ بحر العرب، مما جعلها تتحكم في الطريق الملاحي البحري الذي يربط البلاد العربية بالعالم الخارجي، وقد شكلت بوابةً رئيسةً للتجارة البحرية والبرية عبر عصور التاريخ المختلفة.

وللحضارمة تاريخ مجيد في مجال الملاحة البحرية وتجارة المحيط الهندي، وكان لسكان موانئ ساحل حضرموت كالشحر والحامي وبروم دور بارز في توثيق ذلك التاريخ الحيوي منذ فجر التاريخ.

وكان لموقع شبه الجزيرة العربية بين مياه بحر العرب والبحر الأحمر والخليج العربي إلى جانب الصحراء أثر كبير في تعامل العرب مع المياه وركوبهم البحر منذ الأزمنة القديمة، إذ برعوا في الملاحة وفي بناء السفن، كما تفوقوا في الشؤون التجارية، وخصوصًا الحضارمة، وكانت وجهتهم الأساسية تجاه المناطق ذات الثراء الطبيعي والتنوع الإنتاجي سواء في آسيا أم في إفريقيا، ولا يعد من المبالغة إذا قلنا إنَّ

العرب أصبحوا سادة المحيط الهندي ملاحيًّا وتجاريًّا، بل إنهم حوَّلوا المحيط الهندي إلى بحيرة عربية[1].

وبرز الحضارمة في فنون الملاحة البحرية وصناعة السفينة الشراعية الخشبية المعروفة بـ(السنبوق الحضرمي)، وبرز منهم الكثير من الربابنة ومعالمة البحر المشهورين منذ مئات السنين. ويعد الحضارمة وغيرهم من عرب الجنوب أصحاب علم ودراية بالبحر ومسالكه، قبل عرب الشمال بقرابة ألف سنة من الخبرة البحرية من قبل الإسلام، بل إنهم عرفوا سرَّ الرياح الموسمية، وعنهم أخذها اليونان، بل إن المراكب العربية كشفت مجاهل المحيط الهندي إلى الصين في حوالي النصف الأول من القرن الخامس الميلادي[2].

لقد عرف الحضارمة سر الرياح الموسمية التجارية وأوقات هبوبها وأنواعها وأسمائها التي تسير عليها سفنهم الشراعية في حوض المحيط الهندي، ومنها ريح الشمال الجنوبية الغربية التي تسير عليها السفن المتجهة إلى موانئ الخليج العربي والبصرة والهند وباكستان، وريح الأزْيَب الشمالية الشرقية التي تسير عليها السفن من البصرة وعُمان والهند إلى موانئ جنوب الجزيرة العربية حضرموت وعدن.

وقد ارتبط الحضارمة بعلاقات ملاحيَّة وتجاريَّة مع موانئ عُمان والخليج العربي والهند وشرقي إفريقيا منذ ما قبل الإسلام، وتُبودلت بينهم المعارف والخبرات، وتُنوقلت السلع، وتداخلت الثقافات، وتوثَّقت العلاقات.

(١) شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) أنور عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٢١.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وفي هذه الدراسة نبين بعضًا من ذلك الدور الذي اضطلع به الحضارمة في ملاحة وتجارة المحيط الهندي منذ ما قبل الإسلام، كما تبينه النقوش الآثارية، وبعض المراجع الكلاسيكية التي كتبها اليونانيون وغيرهم، والبحوث والكتب العلمية المعاصرة.

أولًا: الحضارمة والملاحة في المحيط الهندي قبل الإسلام:

تشير الدراسات إلى أهمية المحيط الهندي في الملاحة الدولية منذ القِدَم، فقد ارتاده المصريون في رحلتهم الشهيرة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى أرض (بنت) بالصومال لجلب البخور والطيوب والنفائس، وعلى مياهه أبحرت سفن نبي الله سليمان عليه السلام في القرن التاسع قبل الميلاد إلى أرض (أوفير) بجنوب الجزيرة العربية لجلب الذهب.

وقد مارس عرب جنوب الجزيرة العربية الملاحة البحرية منذ قرون سبقت ظهور الإسلام، ومهروا في الملاحة البحرية بمعارفهم الفلكية والبحرية من الإبحار إلى موانئ حوض المحيط الهندي، وتجاوزوا السفر خلفها غربًا وشرقًا، فكان لهم بعد التواصل والتداخل مع مجتمعات شعوب تلك الأقطار[1].

ويعد الحضارمة من أبرز عرب جنوب الجزيرة العربية الذين تربَّعوا على عرش ملاحة وتجارة المحيط الهندي منذ ما قبل الإسلام، وكانت سفنهم الشراعية الخشبية تسافر جنوبًا في رحلات إلى الهند وملبيار، وإلى كلمبو بسيلان، وإلى مدراس، وإلى كلكتا، وإلى رنقون في برما، وإلى جوادر وكراتشي وبومبي، وتستورد منها الأقمشة،

(١) عبدالرحمن الملاحي، الطريق التجاري البحري بين مسقط والمخا في مرشدات الربان باطايع، ص ١، ٢٢.

والأخشاب والحديد لبناء السفن، والأرز، والبهارات، والتوابل، وتسافر إلى شرق إفريقيا وشواطئها، وتستورد منها حبوب الذُّرَة والسمسم والأخشاب، وتسافر إلى شمال اليمن وجدَّة، وتستورد من شمال اليمن الحبوب، وفي مقابل ذلك كله كان التجار الحضارمة يصدرون الصَّدف، والملح، والأسماك المجففة والمملوحة بأنواعها، والصِّيْفة (زيت السمك)، والتبغ العجمي، والمستحضرات الطبية، وأعشاب الصباغة، وكانت سفنهم تقوم برحلتين تجاريتين رئيستين إلى تلك الجهات في كل عام، فتسافر من الشحر إلى الهند، وتعود إلى الشحر، ثم تسافر من الشحر إلى الهند وتعود إليها، وتسافر من الشحر إلى البصرة وتعود إليها، ثم تسافر من الشحر إلى شرق إفريقيا أو الهند أو شمال اليمن وجدة، وتعود إليها[1].

وكان الحضارمة يحتكرون التبادل التجاري، فقد كانت حضرموت مصدرًا للُّبان والمُرِّ، وكان الحضارمة يتجهون إلى مصر برًّا، وإلى الهند وشرق إفريقيا بحرًا؛ لتصريف منتجاتهم من النسيج وصناعة الحُلي والأواني المزخرفة، ومركبات الروائح العطرية ومستحضرات البخور والصمغ، وليستوردوا من تلك الأقطار الأحجار الكريمة والعاج والتوابل والأخشاب والقطن والقصدير وبعض المواد الغذائية. وكانت الموانئ الرئيسة لهذا التبادل التجاري هي موانئ عدن والقنا والشحر وشرمة، وكانت المنتجات الحضرمية تُحمل على سفنهم إلى جزيرة (هينان) الصينية، وإلى إقليم (ناتال) في جنوب شرقي إفريقيا،

(١) بدر الكسادي، أبطال منسيون من ربابنة الملاحة البحرية العربية، ص ٦٨، ٦٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وإلى جزيرة تيمور في جنوب شرقي آسيا، وإلى خليجَي العقبة والسويس في شمال بحر القُلزم، الذي يُسمى اليوم بالبحر الأحمر(١).

وكان في حضرموت منذ ما قبل الإسلام سوقان سنويَّان تأتي إليهما العرب من أقطارها: سوق بالأسعاء (الشحر)، وسوق بالرابية بوادي العين، وكانت لها مدن بمنزل محطات للتجار والقوافل؛ كالأسعاء (الشحر)، وشبام، وشبوة، وعكرمة بريدة الدَّيَّن، وكانت سواحلها مراسيَ للمراكب التي تأتي بطرائف البضائع والصنائع من بلاد الهند وجزائر الصين، وإليها كانت تفد القوافل التي تحملها إلى سبأ والشام والعراق(٢).

وعُرِفَت حضرموت عبر تاريخها القديم بأرض اللبان، وكان البخور بصنفيه اللُّبان والمُر يُنتج في جنوب الجزيرة العربية في منطقة حضرموت – ظفار، ويُنقَل عبر البحر الأحمر إلى مصر وما بعدها، كما كان يُحمَل برًّا إلى الشمال عبر الحجاز إلى بلاد الشام، وشمالًا إلى شرق بلاد الرافدين(٣).

وقد وصف اليونانيون لمَّا وفدوا إلى سواحل حضرموت في القرن الأول الميلادي نشاط أبنائها الملاحي والتجاري وعلاقتهم بالموانئ التجارية الأخرى على طول سواحل الجزيرة العربية، ومنهم صاحب الدليل البحري المعروف بالطواف حول البحر الإرتيري، وهو أصدق وثيقة وصلت إلينا من الكتَّاب القدامى(٤).

---

(١) محمد بامطرف، الهجرة اليمنية، ص ٦١، ٦٢.

(٢) علوي الحداد، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها (١/ ٢٨٤-٢٨٥)، تحقيق: محمد عبدالنور.

(٣) نقولا زيادة، دليل البحر الإرثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ص٢٦٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٦٤.

ووصف ذلك التاجر اليوناني في المدة التي بين عامي (٥٠) و (٨٠) للميلاد ساحل أو خليج الشحر (ساشاليت)، وأماكن تواجد البخور على مرتفعاته، وأنها بلاد جبليَّة تستعصي على الزائر، تلفُّها الغيوم والضباب، وهي تنتج البخور من الأشجار الموجودة فيها، والأشجار التي تنتج البخور ليست بالطويلة أو الضخمة، والبخور يتقطَّر منها على لحائها، ويقوم بجمع البخور عبيدُ الملك، أولئك الذين يُبعثون لهذا العمل عقوبة لهم، إذ إن هذه الأماكن ليست صحية، كما أنها موبوءة حتى بالنسبة إلى أولئك الذين يبحرون في محاذاة الساحل، إلا أنها بالنسبة إلى الذين يعملون هناك تكاد تكون قاتلة، وقد يقضون بسبب نقص الطعام[1]!

هكذا وصف لنا ذلك الرحَّالة اليوناني منطقة الشحر الممتدة من سواحل حضرموت والمهرة إلى مرتفعات ظفار، والتي كانت مصدرًا رئيسًا لمادة اللُّبان والمُر، وكانت السفن الشراعية تجلبها إلى معابد مصر والشام، وأشار إلى أولئك التجار الحضارمة الذين يسيرون بسفنهم بحذاء الساحل يتنقلون من ميناء إلى ميناء لغرض التجارة الداخلية، ثم يشحنون سفنهم بالمنتجات المحلية ويصدرونها إلى خارج حضرموت.

(١) دليل البحر الإِرثري، مرجع سابق، ص ٢٦٦ـ٢٦٧.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ثانياً: موانئ حضرموت القديمة وأثرها في الملاحة والتجارة البحرية والبرية:

نشأت على سواحل حضرموت منذ عصور غابرة مدن وموانئ تجارية، كانت بمنزلة الشريان الذي يُوصِلُ الحياة بتصدير البضائع واستيرادها من الموانئ الأخرى، ونظرًا لتلك الأهمية التي اكتسبتها حضرموت؛ برع الحضارمة في عملية التصدير والاستيراد، وركبوا البحر، وصنعوا السفن الخشبية بأشرعتها المثلثة، وخاطوها بحبال القنبار، وجلبوا عليها بضائعهم، وأنشؤوا لذلك الموانئ التجارية المهمة التي تشير إلى أهميتها التجارية والملاحية بعضُ النقوش الأثرية والتقارير القديمة، وكان يقصدها التجار العرب وتجار الغرب من شتى موانئ العالم منذ عهد مملكة حضرموت القديمة، ومن تلك الموانئ:

-

من أقدم الموانئ الحضرمية، كان يتحكم في التجارة إبَّان مملكة حضرموت، ويعود تأسيسه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، في عهد الملك يشهر إيل يهرعش مكرب حضرموت، الذي كان عهده مزدهرًا بالتجارة البحرية والبرية، وقد اتخذه الحضارمة محطةً تجاريةً تُجمَع فيها السِّلع؛ كاللبان، والمُر، والصبر، ثم تُصدَّر لبقية الموانئ[1].

(١) منير عربش، معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (القرن السابع ق.م – القرن الثالث الميلادي)، حوليات يمنية ٢٠٠٣، ص ٧، ٩، ١٠.

وقد جاء ذكره في القرن الأول الميلادي في تقرير الطواف حول البحر الإرثري بالاسم، وأنه سوق تجارية تابعة للملك العزيلط ملك بلاد البخور، ويُنقَل إليها البخور الذي يُجمع على متن الجمال والقوارب الخشبية، وكان لميناء قنا تجارة نشطة مع الموانئ القريبة منه وموانئ عُمان وساحل فارس، وتورد إليه السفن التجارية من مصر القمح، والثياب العربية الأصلية والتقليدية، والنحاس، والقصدير، والمرجان. ويُحمل من ميناء قنا إلى الملك الحميري العزيلط الذهب، والفضة، والخيول، والتماثيل، والثياب ذات الصناعة الممتازة والرفيعة. ومنه تُصدَّر المنتجات المحلية كالبخور والصبر وغيرها من الأشياء التي يتبادلها التجار في الموانئ الأخرى[1].

ومنذ العصور القديمة كان ميناء (قنا) يتلقى السلع من البر والبحر، فمن البر كانت مئات القوافل تحمل إليه سلع حوض البحر الأبيض المتوسط، وتعود منه ببخور اليمن وطيوبها وأحجارها الكريمة، وتوابل الهند، وسلع شرق إفريقيا النفيسة التي جاءت على متن السفن. وظل الميناء مزدهرًا حتى سقوط حضرموت في القرن الرابع للميلاد بيد الحميريين أيام (شمر يهرعش)، الذي خرَّب وأحرق الكثير من قرى ومدن حضرموت، وقتل كثيرًا من أهلها، فهاجر كثير ممن بقوا على قيد الحياة إلى الخارج. وبين أنقاض ميناء قنا توجد حتى يومنا هذا كميات كبيرة من دقيق اللبان ممزوجًا بالتراب، وتفوح منه عند وضعه على الجمر رائحة البخور الزكية[2].

(١) دليل البحر الإرثري ، مرجع سابق، ص ٢٦٦ـ ٢٦٧.

(٢) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ٢٤٨ – ٢٥٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بُنِيَ هذا الميناء في نحو القرن الثالث قبل الميلاد، وسُمِّيَ (سمهرم) نسبةً إلى ملك حضرموت (سمهرم علهان) الملقب بمكرب حضرموت، الذي كانت حضرموت في عهده تقيم علاقات متينة مع مملكة مَعِين، وقد كان ميناء سمهرم محطة تجارية مهمة لتلك العلاقات المتينة(١).

وقد أشار إليه الرحَّالة اليوناني صاحب الدليل البحري أنه ميناء مخصص لاستقبال البخور من ميناء الشحر، وكانت ترسو فيه السفن القادمة من موانئ الشحر وقنا باستمرار وذلك في القرن الأول الميلادي(٢).

ويقع ذلك الميناء في إقليم ظفار العُماني، وفي عام ١٩٥٢م قامت بعثة مؤسسة الإنسان الأمريكية بإجراء أوَّل حفريات في ظفار، وسرعان ما ثبت لها أنَّها أرض اللبان التي وصفها البريبلوس (دليل البحر الإرثري)؛ لتوافر غابات أشجاره فيها، وثبت بالدليل القاطع أنها كانت جزءًا من مملكة حضرموت القديمة، وقال يومها (وندل فيلبس) بحماس ظاهر وفرحة طافحة: "لقد كانت حضرموت بلاد البخور؛ لأنها كانت مملكة مترامية الأطراف تتوسط بلاد العرب وتمتد إلى ظفار أعظم المناطق المنتجة للبخور"(٣).

(١) معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة، مرجع سابق، ص ٧،١٠.

(٢) دليل البحر الإرثري، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(٣) محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ٤٧.

وبين عامي ١٩٥٣-١٩٦٢م قامت تلك البعثة الأمريكية بالتنقيب في مكان خور روري، ويقع الخور إلى الشرق من صلالة، في منتصف الطريق بين قريتي البلاد ومرباط، وهو خور مستطيل في نهاية وادٍ سُدَّ منفذُه إلى البحر بكتلة رملية يمتد خلفها الماء نحو البر مسافة ميل واحد، ثم يختفي عندما يلامس أرض الوادي الصخرية. كما كشفت تلك الحفريات عن مدينة حصينة مسوَّرة تسمى (سمهرم)، وقد اتخذها تجار مملكة حضرموت وملاحوها مستودعًا تجاريًّا تُجمع فيه مادة اللبان من مرتفعات ظفار، ويتم بعد ذلك تصديره عبر الطرق البرية والبحرية، وكانت ظفار -كما تذكر النقوش الأثرية- تسمى (ساكلهن) أو (ساكلن)، وقد أثبتت تلك الحفريات بصورة قاطعة أن ظفار الغنية بغابات أشجار اللبان حتى يومنا هذا، كانت المعنيَّة باسم بلاد اللبان في كتابات الكلاسيكيين، وأن إطلاق الاسم على حضرموت إنما يرجع إلى خضوع ظفار لتلك المملكة الواسعة[1].

●

يُعدُّ ميناء الأسعاء من الموانئ الحضرمية القديمة، إذ كانت السفن التجارية تفد إليها من شتى أقطار المعمورة في عهد حكومة مملكة حضرموت وقضاعة وكندة، وقد

(١) المرجع السابق، ص ٤٩، ٥٠. وقد زرت ذلك الميناء التاريخي في شهر فبراير ٢٠١٠م برفقة أستاذنا المؤرخ المرحوم عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي والشيخ عوض سعيد بن رمدان وابنه أحمد؛ للاطلاع على موقعه المتميز على بحر عُمان، وتنقلت بين جدران تلك المدينة التجارية وما تحويه من مستودعات وغرف مبنية من الحجارة الصلبة، وتنتشر في تلك الغرف بقايا من الأواني والأحواض الخزفية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

اكتسب تلك الأهمية بموقعه المتميز إلى وقت قريب، وكانت مدينة الشحر معروفة بقِدَمها وبتجارتها المزدهرة في السابق، وتشكل المنفذ البحري الرئيس لتحركات السفن الشراعية بالنسبة لتجارة جنوب الجزيرة العربية، وهمزة الوصل بين الشرق والغرب[1].

وكان يسمى بالسوق قبل أن يُعرَف باسم الشحر. وكان الملاحون اليونانيون الذين وفدوا إليه في القرن الثاني الميلادي سموه في خرائطهم البحرية باسم السوق أو المركز التجاري ALASA EMPORIUM [الأسعاء السوق]، كما جاء ذكره في خريطة الرحالة الشهير (بطليموس) التي وضعها في أجواء عام ١٤٠م بصفته مركزًا تجاريًّا تؤمُّه السفن عابرة المحيط الهندي[2].

ويذهب الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف إلى أنَّ كلمة (الأسعاء) حُرِّفَت من كلمة (اللسه)، وتعني: الأرض القاحلة التي لا تنبت عليها إلا الأعشاب الصغيرة المتناثرة. وسُميت بها منطقة (السوق) التي هي ميناء الشحر. واسم (السوق) تُعرف به الشحر إلى يومنا هذا، أما اسم (الشحر) فهو اسم المنطقة الواقعة بين مرباط وعين بامعبد. وفي وقت متأخر غير معروف أطلق اسم (الشحر) على هذا الميناء القديم، وما يزال أهل بادية الشحر والمناطق الواقعة إلى شمالها يسمونها (السوق) إلى اليوم[3].

---

(١) أبطال منسيون ، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٢) محمد بامطرف، الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع، ص٧٤ ، والشهداء السبعة ص ١٩.

(٣) الرفيق النافع، ص ٧٤، ٧٥.

وقيل: إن تسمية ميناء الأسعاء مشتقة من اسم الملك الحضرمي (العزيلط) أحد ملوك الدولة الحميرية، ويسميه البطالسة (إليزوس)، ويختصر الباحثون اسمه إلى (العذ) أو (العز)، وبعضهم يسميه (الأسعاء) وهو الاسم الذي أطلق قديمًا على ميناء الشحر تيمنًا باسم هذا العاهل الحميري. وكانت الأسعاء، أو الشحر الميناء، المنفذ الرئيس للتجارة اليمنية؛ بحكم كونها موقعًا مطلًّا على البحر العربي، ومن خلاله على المحيط الهندي، وصارت بحكم هذه الميزة همزةَ وصل بين الشرق (الهند، والملايو، وجاوة، والصين)، والغرب (أقاليم حوض البحر الأبيض المتوسط)، ويليها في الأهمية ميناء عدن (عَدَنَوْمْ)، وميناء القنا بمنطقة حصن الغُراب[1].

ولمَّا دخل الجزء الغربي من حضرموت في اتحاد سبأ – ريدان – حضرموت غرب يمنات في نحو سنة (٣٠٠) ميلادية؛ حوَّل الحضارم الشرقيون الذين لم يدخلوا هذا الاتحاد مركز تجارتهم من شبوة إلى شبام (حضرموت) في الشمال، كما حوَّلوا مركز تجارتهم من القنا (بئر علي) إلى ميناء السوق (الشحر)[2].

وفي الوقت الذي كانت فيه القنا مزدهرةً بكونها المنفذ البحري لصادرات اللبان الواردة من شبوة أو من مأرب؛ فقد كانت السوق منفذًا تجاريًّا ليس يقل عنها أهمية، وكانت قنطرة طبيعية للتبادل التجاري بين الهند والخليج العربي ومصر وشرق إفريقيا من جهة، وبين المنطقة الحضرمية الواقعة بين وادي عرْمة ومدينة وذيعوت القديمة

(١) الهجرة اليمنية، مرجع سابق، ص ٦، ٧.

(٢) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ١٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

(أسفل وادي المسيلة) شرق حضرموت من جهة أخرى. ولم تكن تجارة (السوق) منحصرة في اللبان فقط، ولكنها كانت ذات طابع اقتصادي متنوع. وهناك ميزة أخرى كانت السوق تتمتع بها، وهي كونها ميناء (ترانزيت) إلى أقطار خارجية كثيرة كالهند وإفريقيا، لذلك ظلت مركزًا تجاريًّا مهمًّا حتى بعد أن تلاشت تجارة اللبان، ونتيجةً لذلك تلاشت أهمية بعض العواصم اليمنية القديمة. وقد ازدهرت تجارة اللبان في ميناء الشحر (السوق) في تاريخ متأخر أكثر مما ازدهرت في ظفار موطن اللبان الأصلي، وإن ازدهار تجارة اللبان في الشحر هو ما ألصق لقب اللبان بأهل الشحر إلى اليوم، حتى قال الشاعر العربي القديم:

اذهب إلى الشحر ودع عُمانا إن لم تجد تمرًا تجد لبانا[1].

•

وهو ميناء ثانوي في ساحل حضرموت تذكره الكتب التاريخية في العصور الوسيطة مع ميناء لَسْعا، وأثبته الرحَّالة اليوناني بطليموس في خريطته البحرية التي وضعها في عام ١٤٠م. وفي القرن الثالث الميلادي سكنت منطقة شرمة قبيلة آل الغراب بعد أن تحالفت مع قبيلة الحموم التي كانت مسيطرة على منطقة القنا، ومنها حصن الغراب الذي سمي باسم قبيلتهم[2].

(١) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦، ١٩.

وقد أجْرَت بعثةٌ فرنسيةٌ في عامي ٢٠٠١-٢٠٠٢م بعضَ الحفريات الأثرية في ميناء شرمة، وأوضحت تلك الحفريات أن شرمة كانت منشأة متميزة، إذ كانت مخزنًا كبيرًا محصَّنًا أسَّسه تجار من منطقة الخليج الفارسي في نهاية القرن العاشر الميلادي، وكان بمنزلة محطة للتجارة الشرقية، وأحد أنشط الموانئ على المحيط الهندي إلى أن هجره الناس على نحو مفاجئ في بداية القرن الثاني عشر الميلادي(١).

أمَّا بالنسبة للتاريخ القديم لميناء شرمة فقد سُكِنَ رأسُ شرمة منذ وقت بعيد، وقد تم تحديد عدَّة من المنشآت من حقبة ما قبل التاريخ، وكان رأس شرمة مأهولًا بالسكان في حقبة حضارة جنوب الجزيرة العربية، فقد وُجدت آثار رصيف من حجارة يُرجَّح أن تكون أساسًا لمعبد حميري يُشرِف على الخليج، كما جرى تحديد عدد من شقفات الخزف من حقبة ما قبل الإسلام في الموقع، منها ما هو مستورد من الهند وعُمان وإيران، وعلى العموم فقد كانت شرمة ميناءً نشطًا في تلك الحقبة، ويعد أحد أهم موانئ المحيط الهندي و"إمبوريوم" أي مركزًا كبيرًا لتجارة الشرق في حقبة مفصلية في التاريخ، وربما كان أيضًا مستودعًا تتوقف فيه سفن الخليج في طريقها بين الشرق والغرب، وتتخذه محطةً لإعادة الشحن، والتزود بالسلع اليمنية مثل البخور(٢).

(١) روجل، آكسل، الحفريات الأثرية في شرمة – حضرموت مواسم ٢٠٠١و٢٠٠٢م، حوليات يمنية ٢٠٠٣، ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧، ٤٨، ٥٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

•

وهو من موانئ حضرموت الموغلة في القدم، وقد جاء ذكره في خريطة الرحَّالة بطليموس في عام ١٤٠م ميناءً تجاريًّا تؤمُّه السفن عابرة المحيط الهندي[١]، فهو إذن ميناء كان مزدهرًا منذ عهد المملكة الحضرمية القديمة في أيام ملكها العزيلط، وكان ميناءً آمنًا لرسو السفن من العواصف والرياح التي تهب في أيام غلق البحر بين شهري يونيو وأغسطس، وقد ظلت تلك الأهمية الملاحية لميناء بروم سارية المفعول عبر القرون، ومن ميناء بروم تكون الانطلاقة الأولى للسفن الحضرمية في بداية كل سنة بحرية إلى موانئ الهند والخليج وشرق إفريقيا، وقد اشتهرت مدينة بروم بأنها محتضن للسفن الشراعية، وهي المرسى الآمن لحفظ تلك السفن من الزوابع البحرية ومن الرياح العاتية التي تهب على البحر العربي في فصل الخريف الزراعي (الصيف)، هكذا عُرِفَت عبر تاريخها الملاحي الشهير. وكانت سفن الأسطول التجاري الحضرمي ترسو في شاطئ بروم، وتُعمَل لها هناك عمليات الصيانة السنوية، وظل الحال هكذا حتى انقرضت الملاحة الشراعية الحضرمية في السنوات القريبة الماضية، فتلاشت أهميته الملاحية، وبقيت أهميته بصفته ميناء اصطياد سمكي إلى اليوم[٢].

(١) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) ينظر: محمد باهارون، ميناء بروم تاريخ ملاحي عريق لمرسى آمن، مجلة شعاع الأمل ص ٢٤، ٢٥، العدد (١١٧)، يناير ٢٠١٢م.

•

وهو من الموانئ الحضرمية العريقة التي تقع شرقي ميناء الشحر التاريخي، ويمده بالسفن والبحَّارة الأقوياء منذ فجر التاريخ[1]، وكانت الحامي تمد الأسطول التجاري الحضرمي بأحسن ملاحيه وبحارته. وعُرف أهل الحامي عبر تاريخهم بروح المغامرة البحرية، وقد كان لهم دور رائع في ملاحة اليمن الجنوبية منذ فجر التاريخ، فهم الذين كانوا يسيِّرون الخط التجاري القديم بين الشحر والهند والخليج وشرقي وجنوبي إفريقيا[2].

وكان أهل الحامي يمتلكون عشرات السفن، وكانوا يسيطرون على الملاحة البحرية والشحن والتفريغ في السواحل الجنوبية للجزيرة العربية منذ فجر التاريخ، وكانوا يجوبون كل أرجاء المحيط الهندي والبحار المجاورة له، في دائرة تبتدئ من ميناء الشحر إلى كراتشي وبومبي وكاليكوت وكولومبو ومدراس وكلكتا ورنجون، وموانئ إفريقيا الشرقية، فشواطئ البحر الأحمر الغربية، ثم شواطئه الشرقية، ثم يعودون إلى ميناء الشحر وقريتهم الحامي عن طريق ميناء عدن، ثم يذهبون مع الرياح التجارية إلى الخليج العربي متخذين في ذهابهم السير بمحاذاة الشواطئ الإيرانية إلى البصرة، ثم يقفلون عائدين متخذين الخط الغربي للخليج العربي طريقًا بحريًّا لهم، على أنهم في سيرهم بين الشواطئ الهندية الشرقية يقطعون المحيط الهندي إما إلى الشحر مباشرة وإما إلى جزر عبدالكوري فالشحر، على حسب سماحة الرياح الموسمية أو ركودها أو هيجانها.

---

(١) أبطال منسيون، مرجع سابق، ص ١٣٢.

(٢) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٤٠، ٦٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وأهل الحامي رجال بحر موهوبون، خبراء بالنجوم وبمسالك الملاحة الساحلية وأعالي البحار، وهم أهل دراية بالبحر وعواصفه وأنوائه وتقلباته وأحواله، خبراء بالقياسات الفلكية[1].

وقد استنتج المرحوم بدر أحمد الكسادي في أبحاثه الملاحية القيمة أن سكان قرية الحامي منذ فجر التاريخ، ومن قبل ظهور الإسلام، كان لهم أسطول بحري، وكانوا يشكلون قسمًا كبيرًا من بحَّارة السفن التجارية الجنوبية التي كان مركزها الرئيس بالشحر على عهد الملك الحميري (العزيلط) أو (العذيلط) على رواية بعض المؤرخين[2].

[1] أبطال منسيون ، مرجع سابق، ص٩، ٧٨.

[2] المرجع السابق ص ١٣٧، ١٤٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

خاتمة:

لقد أسهم الحضارمة في بناء حضارة المحيط الهندي إسهامًا فعَّالًا منذ فجر التاريخ، وأدوا دورًا ريادِيًّا في مجالي الملاحة والتجارة البحرية، وإنعاش موانئه التجارية المتعددة، حتى قال عنهم المؤرخ القدير حسن صالح شهاب: "لا نُغالي إن قلنا إن الحضارمة كانوا بحقٍّ فينيقيي المحيط الهندي، فهم الذين أسسوا المستوطنات العربية على الشريط الساحلي الإفريقي الممتد من مقديشو حتى سفالة، وعلى الجزر المجاورة له، وهم الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا والهند والفلبين وماليزيا وغيرها من بلدان الشرق الأقصى، وكانت مراكبهم تغدو وتروح بين بلاد العرب وشرق افريقية والهند"[1].

بل تذكر عدَّةٌ من الدراسات العلمية المعاصرة أن الفينيقيين المشهورين بمعارفهم ومغامراتهم البحرية انتقلوا من سواحل حضرموت وجنوب الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج العربي، التي كانت إحدى مجالات التحرك الملاحي والتجاري للحضارمة القدماء في تلك الحقبة السابقة لظهور الإسلام، ثم انتقلوا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية والغربية، والدليل على ذلك تلك المؤثرات الحضرمية في الحضارة الفينيقية من خلال الشواهد التاريخية والأثرية التي لاحظها بعض الباحثين المعاصرين، ومنها:

(١) أضواء على تاريخ اليمن البحري، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- إن الفينيقيين كانوا يضعون بعض الرموز والأشكال على قبورهم مثل شكل لعينين، وهو الرمز نفسه والشكل نفسه الذي يضعه قدماء الحضارمة على قبورهم.
- وجود تشابه بين هندسة وعمران المدن في المستوطنات الفينيقية ومستوطنات حضرموت، وكذلك وجود تشابه في بعض الفنون التجارة والملاحة البحرية بين الفينيقيين وقدماء الحضارمة.
- تشير الاكتشافات الأثرية في تونس إلى أن الفينيقيين قد أطلقوا اسم (حضرموت) على واحدة من كبريات مستوطناتهم في ساحل تونس الشرقي؛ ذكرى لموطنهم الأصلي، وهي المعروفة اليوم باسم (سوسة) التي أسسوها في القرن التاسع قبل الميلاد.
- إن الأسلوب الذي سلكه الفينيقيون في تعاملهم التجاري مع الشعوب من حيث عدم الاندفاع في استخدام القوة وفرض السيطرة على المناطق التي يصلونها يكاد يكون هو الأسلوب الهادئ والسلمي نفسه الذي استخدمه قدماء الحضارمة في هجراتهم البحرية ورحلاتهم التجارية إلى السواحل الآسيوية والإفريقية المطلة على المحيط الهندي في عهود ما قبل الإسلام.

وعلى العموم فقد بدأت المسيرة التاريخية للفينيقيين -كما يبدو- بنفر من أبناء حضرموت، وكانوا من ذوي المهارات والقدرات الخاصة في التجارة والملاحة البحرية، واستعانوا بخبرتهم الطويلة في ارتياد مياه بحر العرب والمحيط الهندي، وبمعرفتهم بموعد واتجاه الرياح الموسمية الهابَّة على شواطئ حضرموت، وكذلك درايتهم

بالتيارات البحرية المارة بقرب هذه الشواطئ، مما ضاعف من تحريك سفنهم نحو الآفاق البعيدة[1].

ولما كانت الملاحة في المحيط الهندي تتعذر على من يجهل سر الرياح الموسمية في هذا المحيط؛ كان من المؤكد أن الحضارمة وغيرهم من عرب الجنوب قد عرفوا هذا السر، وتوارثه ملاحوهم جيلًا بعد جيل، وعنهم عرفه اليونان القدامى، أما الرومان فقد جهلوه في مبدأ حكمهم، إلى أن اكتشف أول دليل ملاحي عن البحر الأحمر والمحيط الهندي عُرِف باسم (بريبلوس)، الذي يمكن ترجمته إلى العربية بـ(المراحل الملاحية للبحر الأحمر)، وقد كتبه مؤلف يوناني مجهول عاش في مصر في المائة الأولى بعد الميلاد، وذكر فيه ما يتعلق بتجارة العرب، وكذلك التيارات البحرية الموسمية في المحيط الهندي، وذكر فيه أسماء الموانئ الحضرمية القديمة، ويَرِدُ فيه ذكر ملَّاح يوناني قديم يدعى (هيبالوس) عرف سر الرياح الموسمية، ومن ثَمَّ عرف طريق الهند[2].

وبذلك يرد الحضارمة وغيرهم من عرب الجنوب على تلك الآراء والمزاعم الخاطئة التي يزعم أصحابها من الباحثين أن العرب الجنوبيين لم يكونوا إلا أصحاب قوافل وتجارة برية كتجار قريش فقط، أما الملاحة والتجارة البحرية فكانتا بيد غيرهم من الشعوب المتطورة كالهنود والفرس وغيرهم، وأن سفن هؤلاء كانت تنقل السلع الشرقية إلى

(١) عبدالله سعيد باحاج، مآثر حضرمية في الديار التونسية من الفينيقيين إلى الهلاليين إلى الحضارمة الأندلسيين، ص١٣-٢٤، دار دوعن للنشر والتوزيع، المكلا، ٢٠١٣م.

(٢) الملاحة وعلوم البحار عند العرب، مرجع سابق، ص ١٨، ١٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

موانئ بلاد العرب الجنوبية، وتعود منها بسلع أقطار حوض البحر الأبيض المتوسط. وأن بلاد العرب لم تنتج في يوم من الأيام الأخشاب الصالحة لبناء السفن، وأنها كانت تستورد من الهند ما تحتاجه من السفن والأخشاب، إلى آخر تلك المزاعم الباطلة[1].

لكن الحقيقة الناصعة هي ما يشير إليه صاحب الدليل أو التقرير المسمى (الطواف حول البحر الإرثري)، وهو يعد وثيقة تاريخية مهمة، من ذلك الدور الريادي التاريخي الذي قامت به موانئ حضرموت وغيرها من موانئ جنوب الجزيرة العربية، وما قام به أبناؤها من نشاطات ملاحية وتبادلات تجارية عبر موانئ المحيط الهندي منذ ما قبل الميلاد.

وفي ختام هذه الدراسة نأمل أن نكون قد أوضحنا بعضًا من ذلك الدور الذي قام به الحضارمة في ملاحة وتجارة المحيط الهندي منذ ما قبل الإسلام، وقد استمر نشاطهم بعد ظهور الإسلام إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وهو جدير بالدراسة والاهتمام، وإبراز تلك المناقب والمآثر الحضرمية التي تركها لنا أولئك الأسلاف، والتي يحاول بعض الباحثين الغرب والعرب -للأسف الشديد- أن يتجاهلوها، أوينفوها، أويشككوا فيها، معرضين عن عشرات الشواهد والأدلة الأثرية والكتابية التي تثبت بما لم يدع مجالًا للشك أن عرب جنوب الجزيرة العربية من حضارمة وعُمانيين كان لهم دور حيوي في العهد القديم في الملاحة والتجارة البحرية في حوض المحيط الهندي.

نرجو من الله التوفيق، وعليه الاعتماد.

---

(١) أضواء على تاريخ اليمن البحري ، مرجع سابق، ص ١٧٥.

المصادر والمراجع

- **باحاج، عبدالله سعيد**، مآثر حضرمية في الديار التونسية من الفينيقيين إلى الهلاليين إلى الحضارمة الأندلسيين، دار دوعن للنشر والتوزيع، المكلا، ٢٠١٣م.

- **بافقيه، محمد عبدالقادر**، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.

ـ **بامطرف، محمد عبدالقادر**:

- الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع، مطبعة السلام، عدن، ١٩٧٢م.
- الشهداء السبعة، مطبعة الجمهورية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م.
- الهجرة اليمنية، وزارة شؤون المغتربين، الآفاق للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠١م.

- **باهارون، محمد علوي**، ميناء بروم - تاريخ ملاحي عريق لمرسى آمن، مجلة شعاع الأمل، العدد (١١٧)، يناير ٢٠١٢م، جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية الثقافية بمدينة بروم - م/ حضرموت.

- **الحداد، علوي بن طاهر**، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، تحقيق: محمد يسلم عبدالنور، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، ٢٠١٦م.

- **شهاب، حسن صالح**، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- **روجل**، آكسل، الحفريات الأثرية في شرمة ــ حضرموت مواسم ٢٠٠١و٢٠٠٢م، حوليات يمنية ٢٠٠٣، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء.

- **زيادة، نقولا**، دليل البحر الإرثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني- الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض ١٩٨٤م.

- **عبدالعليم، أنور محمد**، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة (١٣)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٧٩م.

- **عثمان، شوقي عبدالقوي**، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (٤١-٩٠٤هـ ـــ ٦٦١- ١٤٩٨م)، سلسلة عالم المعرفة (١٥١)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو ١٩٩٠م.

- **عربش، منير**، معطيات جديدة حول تاريخ مملكة حضرموت القديمة (القرن السابع ق.م -القرن الثالث الميلادي)، حوليات يمنية ٢٠٠٣، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء.

- **الكسادي، بدر أحمد**، أبطال منسيون من ربابنة الملاحة البحرية العربية، تحقيق: محمد علوي باهارون، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.

- **الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم**، الطريق التجاري البحري بين مسقط والمخا في مرشدات الربان باطايع، من أبحاث ندوة التبادل الحضاري العماني اليمني، جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان، ٧-٨ فبراير ٢٠١٠م.

الحياة الدينية في العصور القديمة في حضرموت

محمد عوض محروس

ارتبط تطور حياة الناس في العصور القديمة في حضرموت بتطور الوضع الاقتصادي فيها، وبقدر ذلك التطور حدث تطور في حياة الناس الاجتماعية، ففي الجانب الاجتماعي كان المجتمع القديم في حضرموت يُدار ذاتيًّا، أي إن كل منطقة من مناطق حضرموت كان فيها من أهلها من كان يقوم بإدارة شؤونها كاملةً تحت إشراف المؤسسة الدينية القديمة. وكان التطور الاقتصادي المهم خلال العصور القديمة في حضرموت هو تصدير الكميات الكبيرة الفائضة عن حاجة أهل البلاد من اللبان والمر والصبر والتمر والملح والمنتجات الصناعية الحرفية، بالإضافة إلى دور الوسيط الذي كان يقوم به قدماء الحضارم في تجارة إعادة التصدير بين بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط وشرق إفريقيا والهند، وهذا يعني أن قدماء الحضارم اهتموا بالعمل والإنتاج في الداخل، والتجارة في الداخل والخارج. وقد أدى ذلك التطور إلى زيادة كبيرة في عائدات التجارة انعكست بمزيد من الاستقرار في حياة الناس الاجتماعية في حضرموت في ذلك الزمان.

وكانت المؤسسة الدينية القديمة أهم مؤسسات المجتمع المدني القديم في حضرموت؛ نظرًا للدور المهم الذي اضطلعت به في إدارة شؤون ذلك المجتمع، فهي بالإضافة إلى مهامها الدينية كانت تقوم بإدارة مختلف الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١- تحصيل الضرائب على كل ما هو معروض في الأسواق، وعلى كل الصادرات التي تمر عبر المنافذ المختلفة لحضرموت.

٢- دور المكرب بصفته موجهًا وقائدًا سياسيًّا وعسكريًّا وإداريا.

٣- إدارة مناطق بكاملها دون أي تدخل مباشر من الدولة المركزية.

٤- تنظيم الأسواق بجانب المعابد.

وقد سيطرت على الحياة الدينية القديمة في حضرموت العبادة الشركية التي تمثلت في عبادة بعض مظاهر الطبيعة التي لها علاقة بحياة الناس، إذ اعتقدوا أنها هي الآلهة المسيرة للحياة على الأرض، وأن حياتهم مرتبطة بتلك الظواهر، ممَّا جعلهم يشيدون دُورًا لعبادتها، ويقيمون الطقوس والشعائر والمناسك المختلفة الخاصة بتلك العبادات، ويتقربون لآلهتهم تلك بتقديم الأضحية والقرابين والنذور والهبات، وقد تمثلت تلك المعتقدات في الآتي:

أ- عبادة الأجرام السماوية (القمر، والشمس، ونجم الزهرة) التي شكلوا منها عائلة مقدسة، مثَّل فيها القمر دور الأب، وكانت الشمس هي الأم، ونجم الزهرة كان الابن الذكر في تلك العائلة الفلكية المقدسة.

ب- الاعتقاد في الظواهر الطبيعية المرتبطة بشكل مباشر بالإنتاج المادي، إذ جعلوا للمطر إلهًا سموه (حول)، وللخصب والنماء الزراعي إلهًا سموه (عثترم ذات خضرن)، وللبحر إلهًا سموه (سوبان).

وفيما بعد القرن الرابع الميلادي، وسقوط مملكة حضرموت، وسيطرة جيش أعراب مملكة حِمْيَر عليها، واستيطان القبائل الناقلة فيها؛ ظهرت في حضرموت ديانات وثنية، بالإضافة إلى الديانات التوحيدية، يقول سرجيس فرانتسوزوف: ((تميزت حضرموت في القرن السادس – بداية القرن السابع الميلادي بتنوع العقائد الدينية فيها، ويعود هذا التنوع في كثير من جوانبه إلى اختلاف التركيب الاثني لسكان المنطقة في هذه الفترة، فلقد تعايشت المعتقدات الوثنية للبدو الرحل النازحين من وسط الجزيرة العربية جنبًا إلى جنب مع بقايا عبادات الشرك للسكان الحضارمة الأصلاء، ومع الديانتين التوحيديتين اليهودية والمسيحية اللتين دخلتا إلى المنطقة))[1].

وقد تمثلت المعتقدات الوثنية التي دخلت إلى حضرموت في تلك الحقبة في الآتي:

١- الوثن الجلسد.

٢- الوثن أو الصنم ذريح.

٣- الوثن مرحب.

أما الديانات التوحيدية فكانت:

١) الرسالات السماوية التي خصها الله بأهل الأحقاف في قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النُذُر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾[2]. وهي رسالات سابقة لكل الديانات التوحيدية التي دخلت أو ظهرت في حضرموت في أوقات متأخرة من ذلك الزمان.

(١) تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، ص ٨٢.

(٢) سورة الاحقاف الآية (٢١).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢) اليهودية.

٣) المسيحية.

٤) عقيدة التوحيد التي كانت تدعو إلى عبادة الرحمن رب السماء.

وفيما يأتي نتعرف بشيء من التفصيل إلى ما ورد في الاستعراض السابق عن الحياة الدينية القديمة في حضرموت.

العبادة الشِّركية والمعتقدات الوثنية في العصور القديمة في حضرموت:

يبدوأن هذه العبادة كانت قديمة كما يشير فيلبي الذي يرى أن الموجات المتعاقبة من المهاجرين الساميين الذين خرجوا من جنوب جزيرة العرب حملوا معهم كل ما يملكونه من أشياء ثمينة، وأولها الإله القمر[١]. وهجرة الساميين من جنوب جزيرة العرب بدأت منذ الألف الخامس قبل الميلاد كما يقول العالم الإيطالي كيتاني (L. caetani)[٢]، واستمرت إلى حوالي الألف الثالث أو الثاني قبل الميلاد. وتنقل ثريا منقوش ((رأي بعض العلماء كديتلف نلسن الذي يرى أن تسمية سيناء إنما هي مأخوذة

(١) د. جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٤.

من الإله الحضرمي سين ... ويعتقد فيلبي أن الإله سين الذي ورد في النقوش البابلية إنما هو إله قبائل حضرموت، حمله الحضارمة إلى العراق في رحلاتهم التجارية))[1].

من ذلك يتضح أن قدماء الحضارم سموا إله القمر عندهم باسم (سين) كما ورد في نقوشهم باسم (إل) و(إيل)، وقد رمزوا له بالهلال والوعل والثور وقرني الوعل، وقد ظهرت تلك الرموز في الرسومات والمخربشات المدونة على الصخور، وعلى المقاطر والمجامر، وعلى العملة الحضرمية القديمة، وعلى جدران المعابد وألواح الكتابات الحجرية المسندة إلى جدران المعابد، وعلى الألواح المعدنية المهداة إلى المعابد، كما ظهرت في مصاغ المرأة الحضرمية التي كانت تلبسها إلى وقت قريب[2]، إذ كانت المرأة في مناطق مختلفة من حضرموت تتزين بالراعي، وهو حرز من الفضة على شكل هلال يرمز للإله القمر وبوسطه نجمة ترمز للإله (عثتر) نجم الزهرة، وكانت المرأة تعلقه على صدرها إلى البطن، وكانت النساء وهن يطحنَّ الذُّرة (الطعام) على المرهاة، أو البر على الرحى، يغنين بأصواتهن الشجية:

ريت من حب حد يلقيه راعي عا الكبد ما يفكه ليل ونهار

القمر شارقة من فوق لصبار

(١) قضايا تاريخية وفكرية من اليمن، ص ٧٣.

(٢) ينظر: عبدالقادر محمد الصبان: عادات وتقاليد بالأحقاف ص ١٤٦، وأحمد ضياء شهاب: عادات بادت، ص ١٠٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويبدو أن معابد الإله (سين) قد انتشرت في كل ربوع حضرموت القديمة وفي خارجها، ومن أهم تلك المعابد وأكبرها:

١- معبد الإله القمر سين (ذو علم) في شبوة عاصمة مملكة حضرموت، الذي كان أضخم وأفخم معابد حضرموت.

٢- معبد الإله سين (ذو ميفعن) في (ريبون) الذي كان مجمعًا دينيًا فخمًا من حيث التصميم، وضخمًا من حيث البناء.

٣- معبد الإله سين (ذو مذبم) في مدينة مذاب (حريضة حاليًّا)، وقد اكتشفته ونقبت فيه بعثة كانون تومبسون البريطانية في عام ١٩٣٧.

٤- معبد الإله (سين ذو علم) في ميناء سمهرم في ظفار، وهو اسم المعبد الرئيس للإله سين في العاصمة شبوة نفسه، و((يشتمل ذلك المعبد على نظام معقد لمزاولة طقوس الوضوء والاغتسال الديني))، كما وُجد في المعبد عدد من الكتابات التي توضح اسم المدينة وعلاقتها بحضرموت وملكها العذيلط[1].

٥- معبد الإله (سين ذو حلسم) في باقطفة بشرق وادي حضرموت الذي وُجد فيه عدد من النقوش والمساند.

وقد شُيدَت مباني المعابد كأفخم المباني من طابق واحد على قواعد حجرية أُقيم عليها هيكل خشبي محشو بالمدر أي اللبِن النيئ، وكانت مساحة المعابد مستطيلة أو

(١) محمد عبدالقادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٤٨.

تقارب المربع، داخل المدن والقرى أو خارجها في الوديان وعلى سفوح الجبال، لها سلالم واسعة تؤدي إلى المدخل، وأحيانًا رواق وأعمدة مربعة الشكل[1]. وقد وصفت د.أسمهان سعيد الجرو معبد الإله ((سين ذو علم)) في شرق شبوة والمخطط الهندسي لهذا المعبد المتميز بفن معماري رائع وفريد في بنائه وتصميمه الهندسي[2].

وهناك سبعة معابد ((تنفرد عن القرى القديمة، أولها في سونة، والثاني في مشغة بوادي عدم، والثالث في ريبون في وادي الهجرين، والأربعة المتبقية في وادي حضرموت ذاته، في هجرة، ومكينون، وحصن الكيس، وباقطفة، كلها أبنية صغيرة تستند على المنحدرات الصخرية الأولى التي تشرف على المواقع، وكلها بذات مخطط التوزيع المعماري، سلَّم يصل إلى شرفة مفتوحة على السماء حيث تنتصب صالة على عواميد))[3].

وقد وصف ب. أ. جريز نفتش معبد الإله ((سين ذو ميفعن)) في ريبون بأنه مجمع ديني فخم وفني من حيث التصميم، وضخم من حيث البناء[4]. وقد عُثر في المعبد على أكثر من خمسمائة نقش[5].

---

(١) ي. كوجين: الفن المعماري الديني نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٥م، ص ٩٠.

(٢) موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، ص ١٢٠.

(٣) جاك سنيني: الفن المعماري الديني تنقيبات البعثة الفرنسية لعام ١٩٧٨ - ١٩٧٩م، ص ٢٥.

(٤) الأبحاث الكاملة للبعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٨م، ج ١، ص ٢٩.

(٥) أفرام لوندن: النظام الاجتماعي في ريبون من واقع نقوش معبد ميفعن نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٩م، ص ٦٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وترى ثريا منقوش ((أن النقوش التي تحمل اسم الإله سين من الكثرة بحيث تعطي انطباعًا لدى دارسي التاريخ أن هذا الإله قد أدى دوره في تاريخ التمدن على الشريط الساحلي لجنوب الجزيرة العربية وعلى امتداد أرض الأحقاف اليمنية))[1].

الإلهة (ذات حميم) الشمس مثلت دور الأم في العائلة الفلكية المقدسة، وقد سموها باسمها الشمس، ولقبوها بـ(ذات حميم) ربما لشدة حرارتها، ورمزوا لها بالقرص أي الدائرة. وقد تم العثور على معبد (رحبان) للإلهة (ذات حميم) الشمس في ريبون، الذي كان من أكبر معابد المنطقة[2]، كما عُثر على معبد آخر لـ(ذات حميم) الشمس في بئر حمد في مخرج وادي رخية[3]، وتظهر (ذات حميم) في حريضة، وفي هجرة، وبئر هود في شرق وادي حضرموت[4]. وكان من ضمن سدنة معبد (رحبان) في ريبون عدد من النساء اللاتي كان لهن دور بارز في سدنة المعبد[5].

كان نجم الزهرة هو الابن الذكر في العائلة الفلكية المقدسة قديمًا في حضرموت، وقد سموه (عثتر)، ورمزوا له بالنجمة، وبنوا دورًا للعبادة الخاصة به، إذ وُجدت معابد الإله (عثتر) نجم الزهرة في ريبون، وحصن العر، وجوجا[6]،

(١) التوحيد في تطوره التاريخي ص ٧٣.

(٢) قلب ميخائيلوفتش باور: النقوش نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٤م، ص ٤٠.

(٣) أسيدوف وس.أوزيانوف: المواقع الأثرية في وادي رخية نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٤م، ص ٦٢.

(٤) جاك سنيني: مصدر سابق، ص ٣٠.

(٥) غليب باور: أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن في نقوش ريبون نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٩م، ص ٧٩.

(٦) جاك سنيني: مصدر سابق، ص ٣٠.

وفي إحدى مستوطنات وادي العين[1]. ويظهر رمز (عثتر) النجمة مرافقًا لرمز الإله (سين) الهلال في الراعي الذي كانت تلبسه المرأة الحضرمية في ضمن مصاغها على شكل نجمة داخل الهلال. وكان ((رجال البحر على ساحل حضرموت يرسمون على جوانب مراكبهم أهلَّةً ونجومًا ويكتبون آيات قرآنية. ورسم الهلال والنجمة عادة انحدرت من عصور الوثنية في العربية الجنوبية ... وجاء الإسلام فأضافوا إلى الهلال والنجمة الآيات القرآنية)). كما يقول حسن صالح شهاب[2].

وقد ظهر الاسم (عثتر) في أسماء الناس في حضرموت وغيرها من مناطق العربية الجنوبية في (هـوف ع ث ت) و(أ وس ع ث ت) و(ل ح ي ع ث ت) على صيغة (فعل – عثت)[3]. وقد دخل نجم الزهرة في حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم، إذ يربط بعض المؤرخين بين عبادة هذه الإله وختان الأولاد منذ القدم، ومن ذلك ما كتبه عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي بقوله: ((تشير مصادر تاريخية إلى تعبد اليمنيين القدامى للعائلة الفلكية، وهي الشمس والقمر والزهرة. وأن الزهرة ابن العائلة المقدسة تقدم له قرابين الصبيان عند تألقه فجرًا))[4]، إذ ((يقيم المشقاصيون ختان صبيانهم فجرًا مع بزوغ نجم الزهرة وتألقه، ولا شك أنه تقليد قديم متوارث ... ظل حتى العقود الأخيرة من هذا القرن العشرين))[5].

(١) إسكندرسيدوف وس. أوزيانوف: المواقع الأثرية في وادي العين نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٤م، ص ٥٧.

(٢) أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ٣٣٨.

(٣) غليب باور: مصدر سابق ص ٧١، محمد عبدالقادر بافقيه تاريخ اليمن القديم، ص ٢٠٢.

(٤) الدلالات الاجتماعية والتاريخية والثقافية لختان صبيان قبائل المشقاص ثعين والحموم (مخطوط)، ص ٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٦.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ثانيـًا: الاعتقـاد في الظـواهر الطبيعيـة المرتبطـة بشـكل مباشـر بالإنتاج المادي (آلهة المطر والخصب والنماء الزراعي والبحر):

١- ورد ذكر (حول) في نقش النصر (جلارز A 1000)، إذ جاء فيه أن (كرب إل وتر بن ذمار علي) مكرب سبأ عندما انتصر على مملكة أوسان في منتصف القرن السادس قبل الميلاد ((أعاد لسين وحول ويدع إل وحضرموت مناطقها التي كانت تحت سيطرة ذي أوسان))[١]، وذكر (حول) مع (سين) في ذلك النقش السبئي يدل على المكانة الخاصة لهذين المعبودين القديمين عند الحضارم والسبئيين معًا. وتحدث د. جواد علي عن (حول) بقوله: ((ومن الآلهة التي وردت في الكتابات العربية الجنوبية الإله (حول) (حويل) ... وهومن آلهة حضرموت))[٢]. وكتب محمد عزَّة دروزة يقول: ((وقد قُرئ في نقش حضرموتي اسم (حول) مع أسماء سين وعثتر وشمس دون ورود بيان ما))[٣]، وفي ضمن حديثه عن الآلهة القديمة المتعددة في حضرموت ذكر محمد عبدالقادر بامطرف أن (حول) هو إله المطر في حضرموت[٤].

---

(١) د. حسين على العمري والأستاذ مطهر علي الإرياني و د. يوسف محمد عبدالله: في صفة بلاد اليمن عبر العصور، ص ١٥.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦ ص ٣٠٥.

(٣) تاريخ الجنس العربي، ج ١ ص ٨٨.

(٤) الرفيق النافع، ص ٢١.

وقد تم العثور على معابد (حول) في ريبون وفي حريضة وتريم[1]، وهناك احتمال كما يقول (دبليو إتش إنقرامس) أن تكون قبَّة (مولى مطر) في الطريق القبلية (المكلا – دوعن) أحد المعابد القديمة لإله المطر (حول)[2]. وربما كان لاسم منطقة (حول) في أقصى الغرب من وادي حجر علاقة قديمة بإله المطر الحضرمي القديم (حول).

وظلت مناجاة (حول) في التحويلة (حول، يا حول، يا حولاه)، تتردد منذ العصور القديمة وحتى اليوم في حضرموت وفي جوارها، وهي تتكرر في الأغاني التراثية للكبار والصغار، وحتى في الأغاني الحديثة، وفي الأمثال، وعند ظهور الإشارات الدالة على المطر (الشارة)، وعند نزول المطر وتدفق السيول، وحتى عند احتباس المطر، كما يقول عبدالقادر محمد الصبان: ((التحاويل هي رفع الصوت بالدعاء بأن يشرب كل وادٍ ويأتي المطر والسيل))[3]. وقال الشاعر عبدالرحمن بن محمد بن شهاب في مدونة النخيل:

النخل زين العثاكيل لا خيبته التحاويل

والقرع مهياه في الخيل لا قرب وقت لفطار

ماشي كما التمر في الدار

وترتفع التحويلة من حناجر الناس رجالًا ونساءً بتلقائية عند تجمع الناس في رقصة القنيص، وفي كثير من الاحتفالات الاجتماعية والدينية، وحتى بعد صلاة الاستسقاء،

(١) جاك سنيني: مصدر سابق، ص ٣٠.

(٢) حضرموت ١٩٣٤ – ١٩٣٥م، ترجمة: د. سعيد عبد الخير النوبان، ص ٢٦ هامش ٦.

(٣) عادات وتقاليد بالأحقاف، ص ٤٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد أصبحت في وجدان الناس موروثًا ارتبط بالمطر، أما مدلولها الديني القديم فلم يعد له وجود لا في اعتقادهم ولا حتى في ذاكرتهم.

وقد تحور اسمها عند عامة الناس إلى (عفتور). يقول عبدالقادر محمد الصبان: كان هذا الاسم (عيال عفتور) يطلق على الفلاحين في ساحل حضرموت[1]. وقد جاء في قصيدة الشاعر عبدالله عبود بامدحج التي وصف فيها مقاومة أهالي مدينة الشحر للغزو البرتغالي عام ٩٢٩هـ[2]:

خرجت في النائبة عالعز باحادي بالحيك والصيغ والبحار والحداد
وأهل المناسع وبلخطب وباشادي وأهل السفن والقوارب جو على الميعاد
وعيال عفتور هم زادي ومزنادي كم من فتى يعجبك عند اللقاء هداد.

كما وردت تلك التسمية في قول الشاعر سعيد ناصر بن حيمد (ت ١٩٤٠):

عادنا با دخل للواسط إذا الله قدَّر وبا عصب أربعمائة من قوم عفتر وعفتور.

وعفتور هو الإله (عثترم ذات خضرن)، ومن خلال التسمية (ذات) يبدو أنها أنثى، وهي إلهة الخصب والنماء الزراعي في العصور القديمة في حضرموت، وقد ظهرت بقايا معبدها في ريبون[3]. وتوضح النقوش التي عُثر عليها في معبد هذه الآلهة في ريبون أن

(١) المصدر السابق، ص ١٧١، هامش ٥٢.

(٢) محمد عبدالقادر بامطرف: الشهداء السبعة، ص ١٢٨، هامش ٧١.

(٣) بطرس قرياز نفتش: حضرموت تكشف عن أسرارها، مجلة آفاق العدد السابع ١٩٨٤م، ص ٢٣.

زوَّارها كانوا بصورة عامة من النساء[1]، وهذا ربما يعني أن الخصوبة عند قدماء الحضارم هي خصوبة الأرض وخصوبة المرأة، نظرًا لأن الخصوبة في الأساس هي استمرار الحياة وتجددها بالنمو والتكاثر.

كان صيادو الأسماك بمدينة الشحر يحتفلون في حوالي منتصف نجم البلدة (من ١٥ – ٢٧ يوليو) من كل عام بيوم (سوبان)، يقول المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف: ((نحن في الشحر نحتفل كل عام بيوم (سوبان)، ونؤدي فيه طقوسًا لا نعلم مصدرها ولا مدلولها، ولكننا نرجو من كل ذلك أن يكون الحصاد السمكي وفيرًا))[2]. وما قاله المؤرخ بامطرف يؤكد أنَّ الاحتفال بيوم سوبان من الموروث القديم في المنطقة، وهذا ما يؤكده أيضًا عبدالله صالح حداد بقوله: ((في العودة إلى ماضي اليمن ودراسة حضارته نجد أن كثيرًا من الرقصات الشعبية العقائدية على اتصال بالعمل ... وخير دليل على ذلك رقصة (سوبان) إله البحر، وهي قديمة جدًّا، أي قِدَم الوثنية بحضرموت، والرقصة خاصة بصيادي الأسماك في مدينة الشحر))[3]. فقبل الاحتفال بيوم (سوبان) يبدأ كل ربَّان بالمشاورات الخاصة بتكوين مجموعة الصيادين الذين سوف يعملون معه في موسم الصيد القادم، ويقدم لهم ذبيحة لوجبة

(١) أ. لوندين، م. بيتروفسكي: نقوش حضرموت الداخل نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٤م، ص٧٥.

(٢) الرفيق النافع، ص ٢١.

(٣) من الرقص الطقوسي بمحافظة حضرموت مجلة الحكمة العدد (١٠٠) سبتمبر ١٩٨٢م، ص ٥٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

الغداء في يوم الاحتفال بسوبان، ويكون لزامًا على كل من حضر تلك الوجبة من الصيادين العمل مع الربان نفسه في موسم الصيد الجديد[1].

وكانت مراسيم الاحتفال بيوم (سوبان) تُقام في بعض مساجد مدينة الشحر، كما يقوم الصيادون في اليوم نفسه بزيارة بعض أضرحة الأولياء، وكان الصيادون بعد قراءة الفاتحة يشكلون من أنفسهم زورقًا داخل المسجد، وينشدون الأغاني والأهازيج الخاصة بسوبان، ويقومون بأداء رقصتهم الخاصة بالمناسبة التي تُصوِّر عملهم داخل البحر. ورقصة (سوبان) هذه تشبه رقصة بني مغراة التي يؤديها قنَّاصة الوعول بعد خروجهم من الجبال والزف برؤوس الوعول التي اصطادوها، ويمثلون كيفية اصطيادهم لها. وقد اندثرت رقصة (سوبان)؛ ربما لأنها رقصة تخص قطاعًا محددًا من الناس في مدينة الشحر، أمَّا رقصة بني مغراة فهي رقصة عامة يشترك فيها إلى جانب القناصة عدد كبير من أهل القرية أو الحي أو المدينة في مختلف مناطق وادي حضرموت، ولذلك لم تندثر.

(١) المصدر السابق، ص ٥٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ثالثاً: الديانات التوحيدية والمعتقدات الوثنية التي دخلت إلى حضرموت بعد القرن الرابع الميلادي:

وأقدمها هي الرسالات السماوية التي خصها الله بأهل الأحقاف في قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النُذُر من بين يديه ومن خلفه﴾[1]. وهي رسالات سابقة على كل الديانات التوحيدية التي دخلت إلى حضرموت بعد القرن الرابع الميلادي، والحضارم ينسبون كل المواقع الأثرية القديمة -خاصة في وادي حضرموت- إلى قوم عاد، ويسمونها (العَادِيَات) مفردها (عَادِيَة)، وحتى الطين المحروق الذي يأخذه الفلاحون من هذه المواقع ويستفيدون منه في تسميد أرضهم فهو (عادي)، وكل ما لا يساير الموضة فهو عندهم (عادي)، أي قديم. وبالرغم من ذلك فإن نتائج البحث الأثري الذي بدأ في حضرموت منذ عام ١٩٣٧م[2]، وكذا الموروث الشفهي الحضرمي، لا يحتويان على أي إشارات واضحة إلى تلك الرسالات السماوية القديمة، وربما يعود ذلك إلى طغيان عبادة الشرك في العصور القديمة في حضرموت، وربما تكشف نتائج البحث الأثري القادمة في منطقة الأحقاف عن آثار قوم عاد بما يفيد عن تلك الرسالات السماوية إليهم.

---

(١) سورة هود الآية (٢١).

(٢) نقبت بعثة الدكتورة جرترود كيتون تومبسون في عام ١٩٣٧م في معبد الإله القمر (سين ذو ندبم) في حريضة وبعض المقابر الكهفية والمنشآت الزراعية القريبة من المعبد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أما الديانتان التوحيديتان اليهودية والمسيحية ((فلا توجد معلومات ذات شأن حول بداية تغلغلها في حضرموت لا في المصادر النقشية ولا مدونات التاريخ))[1]، كما لا توجد أي إشارات في الموروث الشفهي عن تلك الديانتين، وفي الوقت نفسه لا يمكن نفي دخول تلك المعتقدات بعد القرن الرابع الميلادي إلى بعض مناطق حضرموت، خاصة تلك المناطق التي استوطنتها قبائل كندة، هذا فيما يتعلق بالديانة اليهودية، أما الديانة المسيحية فيبدو أن انتشارها لم يكن كثيرًا بين سكان المنطقة.

وقبل ظهور الإسلام بمدة قصيرة ظهرت في بعض مناطق حضرموت عقيدة التوحيد التي كانت تدعو إلى إله واحد هو (ذو سموي)، أي رب السماء، و(رحمتن) أي الرحمن، إذ وجد نقشان في شبوة يشيران إلى إقامة حج على شرف (رحمتن)[2]، ويبدو أن عقيدة التوحيد التي ظهرت في حضرموت في وقت متأخر بعد القرن الرابع الميلادي كانت متأثرة بدعوة الأحناف في مكة ووسط الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية وظهور نور الإسلام.

الوثنية هي الاعتقاد في الأوثان والأصنام وعبادتها والتقرب لها بتقديم القرابين والهدايا والأضاحي. وهي نوع من الاعتقاد البدائي في بعض الأشياء أو الأشكال الطبيعية الموجودة في البيئة المحلية، فالوثن هو شكل أو شيء طبيعي في البيئة المحيطة بالإنسان،

(١) –سرجيس فرانتسوزوف: مصدر سابق، ص ٨٩.

(٢) جاك سنيني وجان فرانسوا بريتون: ملاحظات تاريخية وأثرية حول حضرموت تنقيبات البعثة الفرنسية لعام ١٩٧٨ – ١٩٧٩م ص ٢٢.

كأن يكون جزءًا من جبل أو صخرة كبيرة أو شجرة أو غير ذلك مما كان يعتقد فيه بعض القدماء، ويتقربون له بالقرابين والأضاحي والهدايا المختلفة والنذور؛ خوفًا من أي أذًى قد يصيبهم منه. أما الصنم فهو مادة مصنوعة كان الإنسان نفسه يقوم بصناعتها كالتماثيل الذهبية أو الفضية أو النحاسية أو الخشبية أو الحجرية، وهي في الغالب تُقدَّم وتُهدى للمعابد، ولذلك فالصنم تمثال مصنوع يرمز لإله معين، أما الوثن فهو الإله نفسه. ومن الأوثان والأصنام التي وُجدت بحضرموت بعد القرن الرابع الميلادي:

وهو ((عبارة عن صخرة بيضاء (عظيمة) لها رأس أسود إذا تأمله الناظر من بعيد رأى فيه كصورة إنسان، وتقدم له القرابين من الحيوانات المنزلية والجمال، وكان له حِمًى ترعى فيه الإبل التابعة له، ويفقد المالك حق ملكيته لحيواناته إذا اضطرها الجوع لأن تدخل حِمى الجلسد))[1]. ويرى توفيق فهد ((أن كلمة (الجلسد) هي تحريف لهجوي لكلمة (الجلمد) التي تعني الصخرة أو الإنسان القوي))[2]. ويبدو أنها خليط من لفظتي (الجلمد) و(الجسد)، ومن معاني (الجلمد): القطيع الضخم من الإبل[3].

ويرى سرجيس فرانتسوزوف أن عبادة هذا الوثن ((بين أوساط السكون وكندة وحضرموت، وحتى بين أوساط بني الآمري الذين يعودون بأنسابهم للمهرة، تشير إلى

(١) سرجيس فرانتسوزوف: مصدر سابق، ص ٨٥.

(٢) -المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣) المنجد في اللغة، الطبعة الجديدة، مادة جلم ص ٩٩.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

التقارب الإثني لمجاميع السكان النازحة والأصلية في حضرموت مع فجر الإسلام))[1]. وهذا ما يؤكد أن هذا الوثن من الآلهة الوثنية الدخيلة على حضرموت بعد القرن الرابع الميلادي، على الرغم من عدم تحديد مكان وزمان إقامة هذا الوثن في حضرموت.

وكان لكندة بالنجير، وكان له بيتٌ يُقصد للحج، بدليل وجود تلبية له تقول[2]:

لبيك اللهم لبيك لبيك كلنا كنود

وكلنا لنعمةٍ جحود فاكفنا كلَّ حيَّةٍ رصود.

ولا يُعرف هل (ذريح) صنم مصنوع أو هو عبارة عن وثن؟ والاسم (ذرح) وكذلك (ذريح) من الأسماء الشائعة عند العرب الجنوبيين، ويعني كل منهما: الوضاح، أو المنير، أو المشرق. كما يقول الدكتور جواد علي[3]. وجاء الاسم (ذرح إل) من ضمن أسماء الأشخاص في ريبون[4]، ولأن (إل) من أسماء القمر عند قدماء الحضارم؛ فإن (ذريح) يمثل الإله القمر، وقد ارتبطت عبادة هذا الوثن أو الصنم ومكان إقامته بقبائل كندة، وكان دخولها إلى حضرموت بعد القرن الرابع الميلادي.

(١) سرجيس فرانتسوزوف: مصدر سابق، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٤.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٠٤.

(٤) غليب باور: مصدر سابق، ص ٧٠.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يقول سرجيس فرانتسوزوف: ((المعلومات المتوفرة عن (مرحب) هذا يسيرة جدًّا، وليست بواضحة، وهي لا تشير –على أغلب الظن– إلى تقبل الحضارمة الأصلاء للمعتقدات البدوية))[1]. وهذا يعني نفور الحضارم في ذلك الزمان لا من المعتقدات البدوية فقط، بل من مجاميع البدو الغرباء المحتلين لأرضهم أيضًا. وفي ((النقش CIH ٣٦٥ يجري الحديث عن المكان المسمى (مرحب) الذي قام ببنائه (تبعكرب) قائد الملك الحميري (ذمر علي يهبر الثاني)، وتوجد بالمتحف الوطني بمدينة عدن قطعة حجرية بها نقش يذكر "شمسم بعلت مرحبم"))[2]. ويعني ذلك أن هذا الوثن مثل الإله الشمس، وقد أقامه المرحبيون الذين ينتمون لقبيلة سبأ والذين شاركوا في ضمن جيش أعراب مملكة حمير في غزو حضرموت وإذلالها في القرن الرابع الميلادي وما بعده، وقد تمركزوا في وادي سنا في شمال شرق حضرموت، ويذكر الدكتور جواد علي أن لهذا الوثن سادنًا اسمه (ذو مرحب)، وأنه كانت له تلبية تقول[3]:

لبيك لبيك، إننا لديك، لبيك، حببنا إليك.

(١) سرجيس فرانتسوزوف: مصدر سابق، ص ٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣) المفصل، ج ٦، ص ٢٨٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رابعًا: المؤسسة الدينية القديمة ودورها في إدارة شؤون المجتمع القديم في حضرموت:

لقد كانت المؤسسة الدينية القديمة في حضرموت تمتلك سيطرة كاملة على مختلف شؤون المجتمع القديم الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، بالإضافة إلى مهامها الدينية، ولذلك فقد كانت أهم مؤسسات المجتمع المدني القديم، ويمكن التعرف إلى دورها في إدارة مختلف شؤون المجتمع، والمهام التي كان يقوم بها رجال الدين في المجتمع القديم من خلال ما يأتي:

أ- سدنة المعابد والآلهة القديمة في حضرموت.

ب- دور المكرب في قيادة المجتمع المحلي من خلال ما ورد في نقش وادي البناء الموسوم بالرقم (RES ٢٦٨٧).

ج- دور رجال الدين في إدارة مجتمع (ش ر ك ر ي ب ن) أي طائفة أو شعب ريبون.

د- دور المعابد ورجال الدين في جباية الضرائب وتحصيلها.

هـ- علاقة المعابد بالأسواق القديمة.

وردت لفظة (رشو) في نقوش حضرموت بمعنى السادن، و(رشوت) هي السادنة، وإلى جانب السادن والسادنة وُجد (القين) في بعض المعابد، و(القين) هو القائم على شؤون المعبد، وهو المسؤول عن إدارة أملاكه وتصريف شؤونه المالية، وقد حظي

العاملون على شؤون المعابد والمواقع المقدسة القديمة بمنزلة اجتماعية عالية بين الناس في المجتمع القديم، وذلك بسبب مسؤوليتهم المباشرة عن إقامة العبادات والطقوس والمناسك والشعائر الدينية المختلفة، بالإضافة إلى مهامهم الأخرى في تحصيل وجباية الضرائب والمهام الاقتصادية والاجتماعية الأخرى.

وقد تحدثت بعض النقوش عن سدنة بعض المعابد والمواقع المقدسة، فسدنة الوثن (الجلسد) من بني علاق بن شبيب من قبيلة السكون، وسادن الوثن (مرحب) هو (ذو مرحب) كما ذكرت بعض المصادر التاريخية[1]، في حين ينفي بعضهم وجود سادن للوثن (مرحب)، إذ يقول سرجيس فرانتسوزوف: ((لم يميز المؤلفون العرب في العصور الوسيطة بين معتقدات سكان حضرموت الأصليين والمعتقدات التي كانت سائدة في أوساط بادية العرب ... ومثال على ذلك ما ذُكر عن صنم (مرحب) الذي كانت تعبده حضرموت، فلقد زعموا أن له سادنًا اسمه (ذو مرحب) مثله مثل أي صنم كان في وسط الجزيرة العربية))[2]. وهنا يذكر سرجيس فرانتسوزوف أن الوثن (مرحب) من ضمن معتقدات حضرموت، وفي الوقت نفسه ربط هذا الوثن بأحد البطون السبئية (ذي مرحب) التي دخلت إلى حضرموت بعد القرن الرابع الميلادي، فهو يقول: ((ويوحد بيستون بين آلهة مرحبت هذه والبطن السبئي الشهير ذي مرحبم ... وهذا ما يؤكده نقش إرياني (٣٦)، الذي يحكي عن حملة أحد أفراد هذه العائلة وهو لفعت يشع

(١) د. جواد علي: المفصل، ج ٦، ص ٢٨٥.

(٢) نفسه، ص ٨٣.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

على حضرموت في عهد ذمر علي يهبر الثاني في بداية القرن الرابع الميلادي))[1]. وهو القائل أيضًا: ((وفي نفس النقش CIH ٣٦٥ يجري الحديث عن المكان المقدس المسمى (مرحب) الذي قام ببنائه تبعكرب قائد الملك الحميري ذمر علي يهبر الثاني))[2].

ووردت لفظة (شوع) بمعنى (رشو) نفسه في اللغات العربية الجنوبية، أي السادن، و(شوع) في عربيتنا الحديثة تعود للفعل (شاع)، وفي المعجم الوسيط يعني تعبير (شَوِعَ الشعر) إنه انتشر وقام كأنه شوك[3]. وفي لهجة حضرموت اليوم فإن تعبير (شوَّع الشهر) تعني أن القمر برز عاليًا في السماء، والشوعة هي قرنا الوعل، وفي ألعاب الأطفال فإن (الشوع) هو المكان الذي تبدأ منه وتنتهي إليه الألعاب، ويحرم عنده الإمساك بأي من اللاعبين، و(بن شوع) هو مزار قديم في قرية هبورك في الديس الشرقية.

وفي ضمن سدنة المعابد فقد كان للنساء مكانة خاصة، ففي ضمن سدنة معبد (رحبان) للإلهة (ذات حميم) الشمس في ريبون حظيت (عبدات ذات حميم)، أي سادنات المعبد، بمكانة عالية في ضمن سدنة المعبد[4]. ورغم عدم إفصاح نقوش معبد الإلهة (عثترم ذات خضرن) إلهة الخصب والنماء الزراعي في ريبون عن دور النساء في ضمن سدنة ذلك المعبد؛ فإنه من المرجح أنه كان للمرأة الدور الأهم في سدانة ذلك المعبد الذي كان أغلب زواره من النساء كما جاء في النقوش[5].

---

(١) د. جواد علي، ص ٤٧.

(٢) نفسه، ص ٨٣.

(٣) مادة (شاع)، ص ٥٠٠.

(٤) غليب باور: أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن في نقوش ريبون البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٩م، ص ٧٩.

(٥) أ. لوندين، م. بيتروفسكي: نقوش حضرموت الداخل نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٤م، ص٧٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

(RES٢٦٨٧):

نقش وادي البناء المتفرع من وادي حجر في الطريق المؤدي إلى ميناء قنا (بير علي حاليًّا) موسوم بالرقم (RES٢٦٨٧)، نُقش على لوحة حجرية طويلة في الجدار الذي يقطع وادي البنا عند (حصن قِلت) القديم، ويتحدث هذا النقش عن تكليف المكرب الحضرمي (يشهر إل يهرعش بن أبيزع) لأحد أعيان حضرموت الذي يدعى (شكمم بن سلحن بن رضون) ببناء سور وباب وتحصينات لحصن (قلت) الذي يشرف على الطريق التي تربط وادي حجر بميناء قنا، وبإنشاء جدران وحواجز في ممرات الوادي المهمة لحماية منطقة حجر والمناطق المجاورة من غارات الأعداء ولا سيما الحميريين، بالإضافة إلى بعض التحصينات والأعمال الأخرى في مناطق محددة أخرى. وقد وضع تحت تصرفه موظفين ومعماريين للإشراف على العمل الذي تم خلال ثلاثة أشهر تقريبًا، وكان ذلك في السنة الثالثة من سني (يشرح إيل) من (آل عذذ)، ولا يعرف شيء عن هذا التقويم الحضرمي القديم الذي أُرِّخ به هذا العمل. ويرى بعض الباحثين أن إنشاء هذا الجدار كان في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد[1].

ويذكر النقش أن (شكمم بن سلحن) أنجز العمل المطلوب منه، فبنى سورًا وبابًا وتحصيناتٍ لحصن (قلت)، والحواجز الأخرى في ممرات وادي البنا، كما قام ببناء

(١) د. جواد علي: المفصل، ج ٢، ص ١٣٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

تحصينات في مدينة أو شعب (ضيفتهن)، فبنى سورًا قويًّا وبرجين هما: (برج يذأن) و(برج يذتان) و(باب يكن). ويرى الدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل أن هذا النقش يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول بعد الميلاد[1]، أما الدكتور جواد علي فيقول: ((يرجع بعض الباحثين زمن هذه الكتابة إلى القرن الخامس أو أوائل القرن الرابع قبل الميلاد))[2].

ويوضح مضمون هذا النقش أن المكرب (يشهر إل يهرعش بن أبيزع) كانت له سلطة دينية وسياسية وعسكرية وإدارية مكنته من إصدار تلك التوجيهات، كما كان تحت تصرفه من الطاقات البشرية المتخصصة والعادية ومن الإمكانات ما مكَّنه من تنفيذ تلك الأعمال خلال مدة قصيرة من الزمن، ويعني ذلك أن هذا المكرب جمع في يديه السلطة الدينية والدنيوية (السياسية والعسكرية والإدارية والإمكانات المادية)، أي سلطة إصدار القرار والإمكانات المادية لتنفيذه، وذلك يعني أنه كان المرجع الديني والحاكم السياسي والعسكري والإداري للمنطقة التي كان فيها، وهي وادي حجر، ووادي عماقين، وميفعة، وميناء قنا.

(١) سرجيس فرانتسوزوف: مصدر سابق، ص ٢٣٨.

(٢) المفصل، ج ٢، ص ١٣٤.

ورد في النقش ذي الرقم (٦٥ ريبون لعام ١٩٨٩م) مصطلح (ش ر ك ر ي ب ن) أي شرك ريبون. ويرى عالم النقوش (أفرام لوندن) أنه ((يسمح بالقول أن النظام الاجتماعي في ريبون يتطابق مع نظام الطائفة))[١]. ويرى سرجيس فرانتسوزوف أن مصطلح (شرك) في اللغة الحضرمية يقابل المصطلح السبئي (شعب)، وأن استخدام مصطلح (شعب) في النقوش الحضرمية بعد الغزو الحميري لحضرموت له ما يسوغه من وجهة نظر المصطلحات الرسمية لتلك الحقبة[٢]. وتوضح النقوش أن مجتمع ريبون ازدهر في المدة من القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادي، وقد شكل ذلك المجتمع وحدة اجتماعية واقتصادية متكاملة بمحتوى وشكل دينيين.

وقد تمتع مجتمع ريبون باستقلالية وسيادة كاملة عن النظام السياسي والإداري لمملكة حضرموت في إطار النظام الكنفدرالي العام الذي كان يحكم علاقات المركز بمناطق المملكة المختلفة، وكانت السلطة الفعلية في ريبون هي سلطة رجال الدين الذين كانوا يديرون مختلف شؤون المنطقة الاجتماعية والاقتصادية، ويقومون بكل الواجبات الدينية في معابد المنطقة المتعددة، التي كان أبرزها معبد الإله (سين ذو ميفعن)، ومعبد (رحبان) للإلهة (ذات حميم) الشمس، ومعبد الإله (عثتر) نجم الزهرة،

(١) النظام الاجتماعي في ريبون من واقع نقوش معبد ميفعن نتائج البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٩م، ص٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٤، هامش ١٥.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومعبد الإلهة (عثترم ذات خضرن) إلهة الخصب والنماء الزراعي، ومعبد الإله (حول) إله المطر في العصور القديمة في حضرموت. ويؤكد غياب أو نُدرة ذكر مملكة حضرموت وملوكها في نقوش ريبون تلك الاستقلالية النسبية التي تمتع بها مجتمع ريبون عن مركز المملكة في شبوة، ورغم ذلك فقد ظلت علاقة مجتمع ريبون بمملكة حضرموت محصورة في تحصيل وجباية الضرائب، ودفع ضرائب معينة للمملكة، إذ كانت ضرائب الدولة تُجمع بشكل ضرائب دينية إلى معبد الإله (سين ذي ميفعن) إله الأمة[1].

لقد كان أبناء الطائفة أو الشعب في ريبون يدفعون الضرائب، ويقدمون الهدايا والنذور والقرابين والتضحيات للمعابد، وتوضح النقوش الهدايا والتضحيات الجزيلة التي كان يقدمها الأغنياء للمعابد، وهذا يعني أن مجتمع ريبون كان مُشكَّلًا من فئات اجتماعية مختلفة غير متجانسة من حيث الملكية والمكانة الاجتماعية، ويبدو أن النقش ذا الرقم (٢١ ريبون ٤ لعام ١٩٨٩م) تحدث عن تشكيلة اجتماعية محددة لمجتمع ريبون، إذ ورد فيه: ((أ ب ع ل ي ن د ض وم ط ر ه ن وح ور ف ذ ت ه ن وب ك ل س م))[2]. والنقش يفصح عن ثلاث فئات اجتماعية في مجتمع ريبون هي:

١- فئة (الأبعل)، جمع (بعل)، وهم السادة أو الأعيان في منطقتي (يندض) و(مطرهن).

٢- فئة (الأحرار)، وهم الفئة الثانية في مجتمع ريبون، أي الفئة الوسطى في منطقة (فذتهن).

---

(١) أفرام لوندن: مصدر سابق، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٩.

٣- فئة (البكل)، وهم الأتباع، أي الفئة الدنيا في مجتمع ريبون، ولم يحدد النقش مكان إقامتهم، ربما لأنهم تابعون لسادتهم ويسكنون عندهم في أماكن خاصة بهم.

ويرى (أفرام لوندن) أنه ((من المحتمل أن تكون (هذه الفئات الثلاث) عامة لكل جنوب الجزيرة العربية))[١]. ولم يتحدث النقش عن فئة مهمة في مجتمع ريبون، وهم رجال الدين، كما لم تحدد الأبحاث الأثرية مواقع سكن (الأبعل) و(الأحرار) في (يندض) و(مطرهن) و(فذتهن) في (ريبون).

ومن الجدير بالملاحظة أن نقوش ريبون تحدثت عن الدور الفعال الذي كانت تقوم به المرأة في مجتمع ريبون، فـ((النقوش تدل بما فيه الكفاية على أن النساء لعبن دورًا هامًّا في حياة المدينة، فقد قدمن هدايا النقوش بأسمائهن الخاصة، وقد تمتعت المرأة بحقوق متساوية مع الرجل في امتلاك الملكية كما يشير أحد النقوش ... وبواسطة الكثير منهن شيدت بعض أجزاء المعابد))[٢]. كما تبوأت المرأة مواقع غير عادية في المؤسسة الدينية القديمة، إذ ((أثبتت النقوش التي عُثر عليها في معبد (رحبان) للإلهة ذات حميم في ريبون أن في سلم سدنة المعابد لعبن دورًا كبيرًا (عبدات ذات حميم)، وهن على ما يبدو كُنَّ نساء ذوات منزلة اجتماعية عالية، وبفضل استخدام نظام ترتيب الأسماء تمكَّنَّا من معرفة إحدى النساء التي شاركت بحيوية في حل عدد من النزاعات المرتبطة بملكية

(١) أفرام لوندن: مصدر سابق، ص ٦٢.

(٢) غليب باور: مدينة ريبون وفقًا للمواد المقتبسة حاليًّا نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٨م، ج ٢، ص ١٢٨.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المعبد، حتى إنها أصدرت أحكامًا باسم الآلهة))[1]. ويعني ذلك أن المرأة كانت عنصرًا فعالًا في مجتمع ريبون القديم المتدين، وكانت موضع احترام وتقدير في مجتمع حضرموت القديم بكامله.

لقد أسهم رجال الدين في المعابد القديمة بفعالية في إدارة المجتمع القديم وتقدمه الاقتصادي، إذ كانت المعابد مراكز لتحصيل الضرائب، كما قام رجال الدين أنفسهم بجباية الضرائب من الأسواق ومن رجال القوافل، فقد ذكر (ثيوفراست) حوالي (٣٧٢- ٢٧٨) أو (٣٨٤- ٣٢٢) قبل الميلاد أن بلاد العرب الجنوبية كانت تُصدر التمر واللبان والبخور، ووصف استخراج البخور وبيعه قائلًا: ((تحدث شقوق في الشجيرات يقطر منها سائل صمغي بقطرات شبيهة باللؤلؤ، ويكوّم كل واحد نصيبه من الصبر والبخور بالطريقة ذاتها، ويتركها في عهدة رجال يقومون بحراستها، بعد أن يكون قد نصب على كومته لوحة كتب عليها عدد الكيلات في الكومة وثمن البضاعة، ويُقبِل التجار، فإذا رأى أحدهم كومة (أعجبته) كالها ووضع ثمنها مكان البضاعة، ثم يأتي الكاهن فيأخذ ثلث الثمن للإله، تاركًا ما تبقى في أمان لصاحب البضاعة حتى يأتي فيأخذه))[2].

(١) غليب باور: أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن في ريبون نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٩م، ص ٧٩.

(٢) – حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ٢٩.

كما تحدث المؤرخ الروماني (جالوس بلينيوس) المعروف اختصارًا بـ(بليني) (ت ٧٩م) عن الضرائب التي يجبيها الكهان في شبوة على اللبان الذي تحمله القوافل المارة بشبوة عاصمة حضرموت في طريقها إلى نجد والحجاز والخليج العربي وبلاد الشام ومصر، فيقول: ((وهناك يأخذ الكهان قسطًا منه يساوي العُشُر بالتقدير وليس بالميزان، ثم يصدر البخور عن طريق القتبانين، ويقتضي ذلك دفع ضريبة أُخرى لملكهم ... وتدفع كميات من اللبان إلى الكهان والملك وأعوانه، وكذلك إلى الذين يقومون بخزنه وحراسته، وإلى حرس البوابة (مدخل المدينة) وموظفين آخرين، وعلى طول الطريق يستمر الدفع ... فهناك ضرائب أخرى متنوعة))[1].

وفي ريبون اقتصرت علاقتها بالسلطة المركزية في مملكة حضرموت ((على الاعتراف الشكلي ودفع ضرائب معينة، فضرائب الدولة كانت تجمع بشكل ضرائب دينية إلى معبد ميفعن – المعبد الرئيسي للإله سين (إله الأمة)))[2]. وبالإضافة إلى الضرائب التي تجبيها المعابد ورجال الدين كانت المعابد القديمة تتلقى الهبات والنذور والقرابين والتضحيات التي يقدمها الناس من مختلف الفئات الاجتماعية، ولا شك أن الأغنياء منهم هم المتقربون والواهبون الأكثر كرمًا، سواءً الرجال منهم أم النساء.

(١) محمد عبدالقادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٨٣.

(٢) أفرام لوندن: النظام الاجتماعي في ريبون من واقع نقوش معبد ميفعن نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٩م، ص ٦٢.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

هـ

لقد كانت المعابد القديمة دورًا للعبادة، وكان لها إسهام مباشر في إدارة شؤون المجتمع القديم، كما كانت تقوم بجمع الضرائب، وبالإضافة إلى تلك المهام وغيرها كان للمعابد دور مهم في تنظيم التجارة من خلال إقامة الأسواق التجارية، فقد أشار (رود كاناكيس) إلى دور المعابد كونها مراكز تجارية مهمة في العصور القديمة[1]. وذكر (سرجيس فرانتسوزوف) أن ((سوق الشحر الذي يقام بالقرب من قبر هود، في مكان تقع فيه –على أغلب الظن– المقدسات الوثنية في تلك الفترة. وكانت تشرف عليه المهرة))[2]. إذ تحولت الأسواق التجارية القديمة بعد سقوط مملكة حضرموت في القرن الرابع الميلادي إلى مواقع محرمة تقوم القبائل القوية التي توجد الأسواق في مناطقها بحمايتها وتأمينها والإشراف عليها، وذلك لحاجة المجتمعات المتناحرة إلى أماكن آمنة، وإلى مدة من الهدوء والسلام للتبادل التجاري والمصالح الدنيوية الأخرى، وقد كان لدى العرب قبل الإسلام ما يُعرف بالأشهر الحُرم والأماكن الحُرُم، ومن تلك الأماكن كانت مكة لوجود البيت الحرام فيها، بالإضافة إلى مواقع وأسواق ومقدسات قديمة أخرى ذكرها أهل الأخبار والمؤرخون أنها أماكن آمنة ومحددة، أو أسواق يؤمها العرب في أشهر معلومة كما يقول الدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل[3]، وكان من أشهرها الأسواق العشر المعروفة في جزيرة العرب، كسوق عكاظ، وسوق شحر مهرة في شرق

(١) الحياة العامة للدول العربية الجنوبية التاريخ العربي القديم، ص ١٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٣) الحوط في حضرموت الأبحاث الميدانية للبعثة اليمنية السوفييتية لعام ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٨٤.

وادي حضرموت، وسوق الرابية بوادي العين، التي يذكر صالح الحامد نقلًا عن اليعقوبي وابن حبيب أن قريش كانت تذهب إليها رغم تزامنها مع سوق عكاظ في النصف من ذي القعدة إلى آخر الشهر، وأن قريش كانت تتحفز ببني آكل المرار من كندة؛ لأنها لم تكن أرض مملكة[1].

ومن الأسواق القديمة المشهورة كانت سوق الأسعا (الشحر) على ساحل حضرموت التي كان يقصدها تجار البر والبحر عقب انفضاضهم من سوق دبا على ساحل عمان، كما يذكر حسن صالح شهاب[2]، وقد وردت الأسعا في خريطة بطليموس التي وضعها في أجواء عام (١٤٠م) باسم المركز التجاريALASA EMPORIUM [3]، ولم تعرف علاقة هذين السوقين (الرابية والأسعا) بالمعابد القديمة. و((بعد الإسلام وفي عصر الفتوحات الإسلامية وتحول طرق التجارة والمراكز التجارية؛ اندثرت كثير من المواضع والأسواق التي كانت لها مكانة خاصة في نفوس العرب قبل الإسلام، ليعود بعضها في فترات لاحقة حاملًا طابعًا إسلاميًّا))[4].

وقد تحولت سوق شحر مهرة في شرق وادي حضرموت إلى سوق هود، إذ يذكر محمد عبدالقادر بامطرف ((أن سوق هود كانت تقام بعد حصاد خريف التمر في حوالي النصف الثاني من شهر أغسطس من كل عام، كما يستفاد من سجل الربان باسباع عن

(١) تاريخ حضرموت، ج ١، ص ٩٢.

(٢) أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ٢٥٦.

(٣) الشهداء السبعة، ص ٢٤.

(٤) الحوط في حضرموت، مصدر سابق، ص ١٨٤.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حوادث عام ٩٢٦هـ، وكان الشيخ عبدالله محمد باعبَّاد المعروف بالقديم (توفي سنة ٦٨٧هـ) يعتاد حضور هذه الزيارة، ويصحبه أناس كثيرون من الحضارم بعد الفراغ من حصاد التمر، وذلك في القرن السابع الهجري ... وتذكر الروايات التاريخية أن ولي الله الصالح الشيخ أبابكر بن سالم مولى عينات جعل إقامة هذه الزيارة بالشهر القمري شعبان بدلًا عن الشهر الشمسي، وتذكر رواية أخرى أن الحبيب أحمد عبدالرحمن السقاف (٨٨٧ – ٩٤٦هـ) المعروف بشهاب الدين هو الذي غيَّر ميعاد الزيارة من الشهر الشمسي إلى الشهر القمري))[1]. ونستنتج من ذلك أن سوق شحر مهرة في شرق وادي حضرموت كانت تحت إشراف المهرة قبل الإسلام، ثم تحولت بعد الإسلام إلى سوق هود تحت إشراف آل باعبَّاد، لتتحول فيما بعد إلى زيارة نبي الله هود (عليه السلام) تحت رعاية السادة العلويين.

وقد ازدادت أعداد المساكن في شعب هود اليوم، وأصبح بلدة كبيرة تنتعش في النصف الأول من شهر شعبان من كل عام، وينتشر فيها الناس، وتضج بالحركة، وتنتعش فيها التجارة بمختلف أنواعها، حتى غدت موسمًا تجاريًّا كبيرًا يؤمه الناس من مناطق مختلفة من حضرموت ومن خارجها.

وفي الأخير ألا يمكننا اعتبار أداء المؤسسة الدينية القديمة –رغم علاتها– من ضمن الأسباب الرئيسة فيما حققه قدماء الحضارم من تطور حضاري داخل بلادهم وفي تواصلهم مع الآخرين؟ أم أن المؤسسة الدينية القديمة لا دخل لها فيما حصل من تطور حضاري في العصور القديمة في حضرموت؟

(١) المصدر السابق، ص ١٣٦، هامش ١٣٧.

المحتويات

- كلمة المركز .....أ. د. عبدالله سعيد بن جسَّار الجعيدي 5
- العلاقات الدبلوماسية في تاريخ مملكة حضرموت من خلال نقوش العقلة ..... أ.د. محمد بن هاوي باوزير 9
- ظاهرة دفن الجِمال في حضرموت قبل الإسلام ..... د. محمد عوض باعليان 44
- فنون الرسم والنحت وتطورها في حضرموت القديمة..... د. حسين أبوبكر العيدروس 75
- المدن والأماكن الحضرمية في نقشَيْ IR 31/32 (أواخر القرن الثالث – مطلع القرن الرابع الميلادي) ..... أحمد صالح الرباكي 89
- المعتقدات والطقوس الدينية بحضرموت قُبيل الإسلام (القرنين الخامس والسادس الميلاديين) علي سالم علي باهادي 124
- ميناء شُرْمَة التاريخي في العصور القديمة (من عصور ما قبل التاريخ إلى قبيل الإسلام) طاهر ناصر المشطي 154
- الحضارمة ودورهم في ملاحة وتجارة المحيط الهندي في عصور ما قبل الإسلام ..... محمد علوي عبدالرحمن باهارون 195
- الحياة الدينية في العصور القديمة في حضرموت .... محمد عوض محروس 218

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

في هذا الكتاب

ما هو إلا إطلالة منهجية على بحر زاخر وعميق يمتد في الزمان إلى أكثر من عشرة قرون صنع خلالها الإنسان الحضرمي إسهاماته الحضارية الإنسانية قبل بزوغ نور الإسلام، وخلال هذه المسافة التاريخية الموغلة في القدم لم تكن حضرموت معزولة عن جوارها الجغرافي فتأثرت به وأثرت فيه.

ومع هذا التدفق التاريخي الكبير فإن ما هو معروف عن تلك الحقبة من معلومات تاريخية ما هي إلا حصيلة نتف من الإشارات تكرمت بها النقوش والآثار بعد جهد في استنطاقها من قبل العلماء، وهذا القليل من القليل المكتشف من الآثار ما كان ليصلنا ونتعرف عليه لولا جهود البعثات الأجنبية الإنجليزية والفرنسية والسوفيتية والأمريكية وغيرها بما يتوفر للمؤسسات العلمية التابعة لهذه الدول من إمكانيات علمية كبيرة تعين عالم الآثار في مهمته الشاقة والصعبة والمكلفة، وهناك جهود علمية لعلماء النقوش والآثار المحليين تستحق الإشادة سواء تلك التي أنجزوها بجهودهم الذاتية أو باشتراكهم في العمل البحثي التنقيبي مع البعثات الأجنبية.

● مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+
9762022341